
الماويّة : نظريّة و ممارسة

عدد 46 / ديسمبر 2023

شادي الشماوي

المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ(الجزء الثانى)

تأليف بوب أفاكيان

مقدّمة الكتاب 46

المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ(الجزء الثانى)

فى ديسمبر 2015 ، ضمن العدد 22 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " ، قدّمنا الجزء الأوّل من كتاب بوب أفاكيان " **المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ** " ، الذى إنطوى على فصول ثلاثة من أصل سبعة ، هي الفصول المتّصلة بالفلسفة و الإقتصاد السياسي و دكتاتورية البروليتاريا و أجّلنا تعريب بقيّة الكتاب و تركنا لغيرنا المبادرة بترجمة الفصول الباقية . و اليوم ، أساسا تفاعلا مع الإبادة الجماعية الصهيونيّة الإمبرياليّة في حقّ الشعب الفلسطيني و تعريفا لجوانب أخرى من الماويّة ، وجدنا نفسنا مُجبرين على إتمام العمل الذى شرعنا فيه منذ سنوات ، سيما و أنّ فصلين من الأربعة فصول (1+2+5+7) التي عرّبناها بهذه المناسبة تتعلّق بالخطّ العسكريّ و الحرب الثوريّة و بالثورة في المستعمرات و أشباه المستعمرات . و بما أنّ بوب أفاكيان أشار في خاتمة كتابه إلى مقالين هامّين خطّهما الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكيّة عن شو آن لاي و إستراتيجيا " العوالم الثلاثة "، كان لا بدّ من القيام بواجب ترجمتهما و تقديمها كملحق أوّل و ملحق ثاني لهذا الجزء الثاني من الكتاب 46 .

و كي لا نطيل عليكم و لا نكرّر ما أعربنا عنه في فرصة آنفة ، نقترح عليكم مجدّدا مقدّمة الجزء الأوّل التي صغناها منذ 2015 :

" لقد مثّل هذا الكتاب علامة مضيئة و فارقة فى تاريخ الماويّين ليس فى الولايات المتّحدة الأمريكية فحسب بل فى العالم بأسره إذ خوّل لقرّائه أن يستوعبوا جيّدا الماركسية – اللينينية – فكر ماو تسى تونغ (الماوية لاحقا) و مساهمات ماو تسى تونغ العظيمة و الخالدة فى علم الشيوعية ما سلّحهم على أحسن وجه لمواجهة التحريفيّة الصينيّة و هجماتها ضد ماو تسى تونغ فى تلك السنوات و قبلها و بعدها و الردّ بسرعة وشموليّة و عمق على الدغمائيّة التحريفيّة الخوجيّة التى ستطلّ برأسها منذ أواخر 1978 و ستدحضهما الماوية و منذ 1979 .

و بطبيعة الحال ، الأفكار الواردة فى هذا الكتاب على أهمّيتها و صحّة غالبيّتها الساحقة فقد عاد إلى بعضها بوب أفاكيان وهو ينقّب فى التراث البروليتاري الثوري قصد إستخلاص الدروس الإيجابيّة منها و السلبيّة و إنجاز ما أفضل مستقبلا فعمّقها أو إستبعدها أو شدّد عليها ... و مثلا فى هذا الكتاب مع تسجيله لإختلافات حزبه مع ماو و الماويّين الصينيّين بشأن الوضع العالمي و طبيعة النضال الثوري فى البلدان الإمبريالية و علاقته بالدفاع عن الصين و مع دعوته فى الفصل الأخير لإنجاز بحث و تقييم شاملين لتجارب البروليتاريا العالميّة و تراثها ، لا يتعرّض أفاكيان للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى بالنقد لتشخيص بعض الأخطاء الثانوية و لكن الجدّية و كشفها . هذا ما سيشرع فى القيام به فى السنوات التالية – إلى جانب قيادة خوض الصراع الطبقي محلّيا و عالميا على كافة الجبهات - ومنذ 1981 ضمن " **كسب العالم ...** " ، طفق يضع الأسس الأولى لعمليّة تقييم و فحص شاملين و عميقين للتجارب الإشتراكية و النضالات المتراكمة سيتواصلان لعقود و سيكونان من جملة أعمال و مؤلفات ستفرز تحوّلا نظريّا نوعيّا جزئيّا تجسّد فى " الخلاصة الجديدة للشيوعية " ، حسب أنصارها .

و تجدر الملاحظة أنّ آجيث الشهير بمعاداة الخلاصة الجديدة للشيوعية التى أطلق عليها " الأفاكيانيّة " فى مقاله " **ضد الأفاكيانية** " ، قد أقرّ بأهمّية الكتاب و دوره و نوّه فى ذات المقال بأنّ : " هذا الكتاب يقدّم عرضا شاملا حقّا لمساهمات ماو فى شتّى الحقول " . أمّا ليني وولف ، القيادي فى الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية و صاحب كتاب " **مدخل إلى علم الثورة** " و الذى قدّم تعريفا مركزّا للخلاصة الجديدة للشيوعية (فى " **ما هي الخلاصة الجديدة لبوب أفاكيان ؟** " ؛ كتاب شادي الشماوي " **المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية** " بمكتبة الحوار المتمدّن) فقد أعرب فى مقال آخر عنوانه " **على الطريق الثوري مع رئيس الحزب بوب أفاكيان** " صدر فى 28 ديسمبر 2003 بجريدة الحزب الأمريكي " **العامل الثوري** " عدد 1224 :

" أرى فعلا أنّ رئيس الحزب قد عمّق أكثر المساهمات الفلسفيّة لماو تسى تونغ خاصة فى شيء من الخلاصة الأرقى . و يعود ذلك إلى كون الكثير من أفكار ماو الفلسفيّة الأخيرة و الأكثر إستفزازا – كما سجّلتها مجموعات نصوص و خطب و تعليقات غير رسميّة متنوّعة بعد 1949 – و كذلك الإنعكاسات الفلسفيّة لبعض تحاليل ماو السياسيّة الرائدة و بعض ما نجم عن القفزة الكبرى إلى الأمام و الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى (مثل الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكيّة ، و مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا و دور الوعي و البنية الفوقيّة ، و تجاوز الحقّ البرجوازي ، و دور الحزب فى ظلّ الإشتراكية إلخ) - لم يقع تلخيصها أبدا فى كلّ منسجم إلى أن كتب بوب أفاكيان **" المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ "** . "

وعندما وجدنا بين أيدينا هذا الكتاب الذى صار متوفّرا على الأنترنت فى موقع الفكر الممنوع و رابطه :

http://www.bannedthought.net/USA/RCP/Avakian/MaoTsetungImmortal-Avakian.pdf

كان لزاما علينا أن نطّلع علي مضامينه عن كثب و ندرسها بتمعّن و حين خلصنا من هذه المهمّة الأوّلية تنازعتنا حقيقة مشاعر متباينة فمن ناحية نظرا لقيمته و تلخيصه الجيّد لعلم الثورة البروليتارية العالمية ، و لكونه أرقى ما ألّف فى تلك السنوات ، نهاية السبعينات، لشرح الماركسية – اللينينية – الماوية والتشديد على مساهمات ماوتسى تونغ العظيمة و الخالدة، و لمواجهته وفضحه الجريئين و الصريحين للإنقلاب التحريفي فى الصين على أيدى دنك سياو بينغ و إعادة تركيز الرأسمالية هناك منذ 1976؛ إرتفعت داخلنا أصوات و شحنة حماس تحثّنا على الإشتغال عليه وترجمته برمّته ؛ و من ناحية ثانية ، وجدنا العقل و المشاريع الكثيرة الموضوعة أمامنا وهي تنتظر الإنجاز منذ مدّة طويلة أو قصيرة مقابل الوقت الضيق تدعونا جميعها إلى الهدوء و التفكير مليّا و برويّة . و دام الصراع أيّاما بل أسابيعا و حسم على النحو التالي : الإشتغال كلّما كانت هناك فسحة من الزمن على بعض الفصول المفيدة حاليّا للماويّات و الماويّين و المناضلات و المناضلين الثوريّين فى البلدان العربية و إرجاء العمل على الفصول الأخرى لوقت لاحق حسب متطلّبات الرفيقات و الرفاق و مجريات الأحداث موضوعيّا، دون أي إلتزام بالإنجاز فى غضون مدّة معيّنة .

و إنكببنا على الإشتغال بكلّ ما أوتينا من جهد لكن على فترات متقطّعة لتعريب ثلاث فصول من أصل سبعة ، هي الفصول المتّصلة بالفلسفة و الإقتصاد السياسي و دكتاتورية البروليتاريا بإعتبارها تتطرّق لمصادر الماركسية الثلاثة و أقسامها المكوّنة الثلاثة و تبرز مساهمات ماوتسي تونغ فيها جميعا و بالطبع لا تخرج الفصول الأخرى عن هذا النطاق و لكنّها وفق تقييمنا ثانوية راهنا فى فهم غالبية الماويّين و الماويّات و المناضلين والمناضلات الثوريّين و تكوين أجيال من الشيوعيّين الثوريّين . و نعلم جيّدا أنّ الثانوي ماويّا لا يعنى عدم الأهمّية و إنّما يعنى أنّه لا يحتلّ الموقع الرئيسي فى الوقت الراهن و قد يصبح فى المستقبل القريب أو البعيد رئيسيّا أي قد تفرض علينا ضرورة ذاتيّة أو موضوعيّة التركيز عليه لاحقا . و الفصول المؤجّلة هي الفصل الأوّل – الثورة فى البلدان المستعمَرة ، و الفصل الثاني – الحرب الثوريّة و الخطّ العسكري، و الفصل الخامس – الثقافة و البناء الفوقي ، و الفصل السابع – ماو تسى تونغ أعظم ثوري فى زمننا .

و مع ذلك ، لا ينبغى لجهدنا الذى إنصبّ بالأساس على الثلاثة فصول المذكورة أعلاه و إمكانية تعريب الباقي جزئيّا أو كلّيا، أن يقفا حاجزا دون قيام رفاق و رفيقات آخرين بترجمة أيّ فصل يرون ضرورته ملحّة أو دون إبلاغنا مقترحاتهم المعلّلة فى الغرض .

و من نافل القول أن للرفيقات و الرفاق و المناضلات و المناضلين الثوريّين و الباحثين عن الحقيقة من المثقّفين و الجماهير الشعبيّة أن يستغلّوا أعمالنا بلا حدود و قيود – و لا نطالبهم بأكثر من ذكر المرجع – فى التكوين و الدراسة و البحث و النقد و الجدال و الصراع النظري و لهم كذلك أن ينقدوا أعمالنا و مضامينها و خياراتنا – دون شتائم رجاء فهذا لا يليق بالأخلاق الشيوعية - و يقترحوا ما يرونه صالحا لقطع أشواط أخرى و ترسيخ السابقة فى نشر النظرية الثورية ، فى إرتباط بمعارك الصراع الطبقي على كافة الجبهات بلا إستثناء قصد إنجاز المهمّة المركزيّة المرحليّة ألا وهي تأسيس فبناء الحزب الشيوعي الماوي الثوري كمحور للحركة الثوريّة و طليعتها و هدف برنامجه الأدني إنجاز الثورة الديمقراطية الجديدة و المضي بها إلى المرحلة التالية الإشتراكية كتيّار من تيّاري الثورة البروليتارية العالمية ، وهدفه الأقصى و الأسمى الشيوعية عالميّا .

و بغية أن نزيد فى تأكيد البعد الراهن لهذا الكتاب بالنسبة للماويّين وصراع الخطّين فى صفوفهم خاصة و الخوض فى مسائل الجدلية و جوهر الماويّة و الثورة الثقافيّة و مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا و حرب الشعب و الحزب

و الوعي الشيوعي و الجبهة المتّحدة إلخ ، راينا من الضروري أن نضيف ملحقا هو وثيقة للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية صدرت سنة 1986 [و يترتّب علينا طبعا أن نتفطّن إلى أنّ بعض المحتويات تطوّرت أو تعمّقت أو تمّ تجاوزها لاحقا] ضمن العدد السابع من مجلّة الحركة الأممية الثوريّة **" عالم نربحه "** تحت عنوان له دلالته ألا وهو **" الثورة فى البلدان الإمبريالية تتطلّب الماركسية-اللينينيّة - فكر ماو تسى تونغ [الماوية] "**. و للتعريف ببوب أفاكيان أرفقنا الملحق الأوّل بملحق ثاني يقدّم الكاتب و مؤلّفاته . وفى الملحق الثالث عرض لمضامين كتب المترجم شادي الشماوي المتوفّرة بمكتبة الحوار المتمدّن .

و كيما نعطي فكرة عامة أوّلية فى هذه المقدّمة عن مضامين كتاب أفاكيان برمّته **" المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ "** ، نورد بشيء من التفصيل محتويات الفصول بكلّيتها .

" المساهمات الخالدة لماوتسى تونغ " كتاب لبوب أفاكيان ، صدر فى ماي 1979 عن منشورات الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية ، و قد نشرت فصوله تباعا كمقالات فى مجلّة الحزب حينذاك ، **" الثورة "** ، بين أفريل 1978 و جانفي 1979 و مضامينه حسب الفهرس هي :

<u>فهرس الكتاب :</u>

==========

<u>تفاصيل الفصول السبعة (إضافة من المترجم) :</u>

<u>الفصل الأوّل : الثورة فى البلدان المستعمرة :</u>

- مقدّمة
- ماركس و إنجلز
- حروب التحرّر الوطني فى أوروبا فى فترة صعود الرأسمالية
- الإمبريالية تغير الثورة فى المستعمرات
- روسيا : جسر بين الشرق و الغرب
- لينين و ستالين يحلّلان التطوّرات
- ماو حول الثورة الصينية
- الإرتكاز بصلابة على التحليل الطبقي
- تشكّل الجبهة المتحدة

الفصل الثالث : الإقتصاد السياسي ، والسياسة الإقتصادية و البناء الإشتراكي :

الفصل الرابع : الفلسفة :

الفصل الأوّل

الثورة فى البلدان المستعمَرَة

ماو تسى تونغ أعظم ثوريّ ، أعظم قائد ماركسيّ لينينيّ ، في زمننا . لأكثر من خمسين سنة ، قاد الشعب الصيني فى نضالات و ألهم و أنار الطريق أمام الطبقة العاملة و الشعوب المضطهَدَة في كلّ البلدان . و في ظلّ قيادته ، تحوّلت الصين من حديقة خلفيّة للإمبريالية إلى القلعة الأكثر تقدّما للبروليتاريا العالميّة في القتال ضد الإمبرياليّة و الرجعيّة ، و حصن و قلعة للثورة العالميّة . و مساهمات ماو تسى تونغ في الحركة الثوريّة العالميّة ، و في علم ثورة الطبقة و تدشين العصر الشيوعي ، خالدة فعلا .

و مثّل القيام بالثورة في بلد كالصين – بلد مستعمَر (أو شبه مستعمَر) بأكبر عدد سكّان في العالم و إمتداد جغرافي كبير ، إقتطع أجزاء منه إمبرياليّون متنوّعون و رجعيّون محلّيون متنازعون متحالفون مع الإمبرياليّين – و التقدّم بتلك الثورة نحو الإشتراكيّة مكسبا غير مسبوق للشعب الصيني لم يغيّر راديكاليّا الصين ذاتها فحسب بل غيّر كذلك وجه العالم بأسره . و قد قاد ماو إنجاز هذا طوال عقود من النضال الشرس و المتعرّج مطبّقا بالملموس المبادئ العالميّة للماركسيّة – اللينينيّة على الوضع الملموس في الصين ، في إطار الثورة العالميّة . و بالقيام بذلك أثرى هذه المبادئ .

و هذا الفصل الأوّل من هذا الكتاب حول مساهمات ماو تسى تونغ سيُركّز بوجه خاص على المسائل الأساسيّة في النظريّة و الإستراتيجيا الماركسيّة في ما يتعلّق بالثورة في البلدان المستعمَرة اللذين طبّقهما ماو تسى تونغ و أثراهما و هو يقود الشعب الصينيّ في كسب التحرّر و التقدّم نحو الإشتراكيّة ، و خاصة بتطويره لخطّ الثورة الديمقراطيّة الجديدة .

ماركس و إنجلز

لأجل فهم أفضل لمساهمات ماو ، لا بدّ بداية من أن نراجع تطوير الماركسيّة و اللينينيّة لمسألة النظرة للإضطهاد القومي و الإستعمار ، و الثورة الوطنيّة و الثورة في البلدان المستعمَرَة . فقد أسّس ماركس و إنجلز الإشتراكية العلميّة أواسط القرن التاسع عشر . وقتها ، حلّلا تطوّر الرأسماليّة و توسّع الإنتاج السلعي الرأسمالي و تأثيره ليس في البلدان الرأسماليّة ذاتها و حسب بل كذلك في كلّ أنحاء العالم . و في " **بيان الحزب الشيوعي** " أشارا إلى :

" خلقت الصناعة الكبرى السوق العالميّة التي هيّأها إكتشاف أمريكا . و أدّت السوق العالميّة إلى توسّع التجارة و الملاحة و تقدّم المواصلات البرّية بصورة هائلة . ثمّ عاد هذا التوسّع فأثّر بدوره في مجرى الصناعة ، و كلّما كانت الصناعة و التجارة و الملاحة و السكك الحديديّة تتقدّم و تنمو ، كانت البرجوازيّة كذلك تنمو و تتعاظم و تضاعف رساميلها و تدفع إلى الوراء جميع الطبقات التي خلقتها القرون الوسطى ...

و بدافع الحاجة الدائمة إلى أسواق جديدة تنطلق البرجوازيّة إلى جميع أنحاء الكرة الأرضيّة . فينبغى لها أن تدخل و تتغلغل في كلّ مكان ، و توطّد دعائمها في كلّ مكان ، و تقيم الصلات في كلّ مكان ...

و تجرّ البرجوازيّة إلى تيّار المدنيّة كلّ الأمم ، حتّى أشدّها همجيّة ، تبعا لسرعة تحسين جميع أدوات الإنتاج و تسهيل وسائل المواصلات إلى ما لا حدّ له . فإنّ رخص منتجاتها هو في يدها بمثابة مدفعيّة ضخمة تقتحم و تخرق كلّ ما هناك من أسوار صينيّة ، و تنحنى أمامها رؤوس أشدّ البرابرة عداء و كرها للأجانب . و تُجبر البرجوازيّة كلّ الأمم ، تحت طائلة الموت ، أن تقبل الأسلوب البرجوازي في الإنتاج و أن تدخل إليها المدنيّة المزعومة ، أي أن تصبح برجوازيّة ، فهي ، بالإختصار، تخلق عالما على صورتها و مثالها . " (1) (" **مختارات ماركس و إنجلس** " في أربعة أجزاء ، الجزء الأوّل ؛ الطبعة العربيّة لدار التقدّم ، موسكو ؛ صفحات 49 و 52-53)

و ساند ماركس و إنجلز نضالات الأمم المضطهَدَة و الجماهير الشعبيّة للمناطق المستعمَرَة المتعرّضة إلى هذا الشكل من الإستعمار الرأسمالي – بما في ذلك نضال الشعب الإيرلندي و الإنتفاضات الكبرى في أماكن مثل الهند و إيران و الصين .
و على سبيل المثال ، في مقال عنوانه " **الثورة في الصين و في أوروبا** " كتبه ماركس سنة 1853 محلّلا تأثيرات ما بات يسمّى بتمرّد تايبنغ ، فأشار ماركس إلى أنّ أنجلترا ، من خلال فرض تجارة الأفيون في الصين و من خلال وسائل أخرى، كانت تهين الصين و الجماهير الشعبيّة الصينيّة و تضطهدها ، و لكن في الوقت نفسه ، كان هذا ينحو كذلك إلى كسر العُزلة التي ساهمت في الحفاظ على النظام الإقطاعي القديم في الصين و في هذا المقال ، سجّل ماركس :

" لقد كانت العزلة التامة الشرط الأوّل لبقاء الصين القديمة . و لكن عندما وضع حدّ بالعنف لهذه العزلة بمساهمة أنجلترا ، كان لا بدّ أن يحلّ التفسّخ بصورة محتّمة ، مثلما تتفسّخ حتما المومياء المحفوظة بدقّة في قبر مغلق بإحكام ما أن يلامسها الهواء الطريّ . أمّا الآن ، و قد إستثارت أنجلترا الثورة في الصين ، فينهض السؤال التالي : أيّ تأثير ستحدثه هذه الثورة مع مرّ الزمن في أنجلترا و بواسطة أنجلترا في أوروبا . ليس من العسير الإجابة عن هذا السؤال ...إذا تقلّصت فجأة إحدى الأسواق الكبيرة ، فإنّ وقوع الأزمة يتسارع حتما . و الحال ، لا بدّ للإنتفاضة الصينيّة في الظرف الراهن من أن تحدث على وجه الضبط الأثر نفسه في أنجلترا ." (2) (" **في الإستعمار** " ماركس و إنجلس ؛ الطبعة العربيّة لدار التقدّم ، موسكو؛ الصفحات 14 و 15)

و بعد عدّة عقود ، في ثمانينات و تسعينات القرن التاسع عشر ، قام إنجلز بمزيد التحليل الهام لتطوّر الإضطهاد الإستعماري في مثل هذه البلدان كالصين و ألمح لإنعكاس ذلك على الظروف في أوروبا و على العلاقة الأساسيّة بين الثورة في البلدان الرأسماليّة ذاتها و الثورة في البلدان المستعمَرة . و على سبيل المثال في رسالة إلى كارل كاوتسكى مؤرّخة في 1894 ، قال إنجلز :

" تعنى الحرب بين الصين و اليابان نهاية الصين القديمة ، و التثوير الكامل و إن تدريجيّا لكلّ قاعدتها الإقتصاديّة ، بما فيها إلغاء الروابط القديمة بين الفلاحة و الصناعة في الريف من قبل الصناعة الثقيلة و السكك الحديديّة إلخ ، و هكذا كذلك الهجرة الكبرى للحمّالين الصينيّين إلى أوروبا ؛ و من هنا ، تسريع بالنسبة لنا للكارثة و إحتدام التناقضات العدائيّة إلى أزمة. و مرّة أخرى ، السخرية المذهلة للتاريخ : وحدها الصين لم يغزها بعدُ الإنتاج الرأسمالي و بهذا يجعل الأخير وجوده الخاص في البلد غير ممكن . "(3) (" **في الإستعمار** " ماركس و إنجلس ؛ الطبعة الأنجليزيّة لدار التقدّم ، موسكو 1968 ؛ الصفحة 347)

لكن حينها لم يستطع إنجلز أن يتنبأ بالصلة الفعليّة بين الثورة في الغرب و الشرق ، و لم يستطع أن يتوقّع الشكل الخاص الذى ستتّخذه الثورة في مثل هذه البلدان كالصين . و لاحظ ، مثلا ، في رسالة إلى كارل كاوتسكى قبل ذلك في 1882 ، أنّ " أيّة أطوار إجتماعيّة و سياسيّة يترتّب على هذه البلدان إجتيازها قبل أن تبلغ أيضا التنظيم الإشتراكي ، فهذا ما لا نستطيع اليوم ، كما أعتقد ، أن نجيب عليه إلاّ بفرضيّات لا طائل تحتها ." (4) (" **في الإستعمار** " ماركس و إنجلس ؛ الطبعة العربيّة لدار التقدّم ، موسكو ؛ الصفحة 194)

بإختصار ، حينذاك ، تفحّص ماركس و إنجلز المسألة الإستعماريّة أثناء المرحلة الأولى من تطوّر الرأسماليّة ، الرأسماليّة ما قبل الإحتكاريّة ، قبل أن تتطوّر إلى إمبرياليّة . فى تلك فترة تميّز الإستعمار إقتصاديّا بتصدير السلع والمنتوجات التامة الصنع بدلا من ما سيحصل لاحقا ، في عصر الإمبرياليّة ، بتصدير رأس المال نفسه ، كما سيحلّل لينين في " **الإمبرياليّة أعلى مراحل الرأسماليّة** ".

و هكذا ، السيرورة التي وصفها ماركس و إنجلز في " **بيان الحزب الشيوعي** " ، نزعة إدخال السلع المنتجة في البلدان الرأسماليّة إلى المناطق المتخلّفة من العالم لتحويل هذه المناطق على صورة البلدان الرأسماليّة – لم تتطوّر تطوّرا تاما .
عوض ذلك ، خاصة مع صعود الإمبرياليّة و التغيّر الناجم عن ذلك في طبيعة العلاقات بين البلدان الرأسمالية و مستعمراتها (كما لخّص ذلك لينين) ، نزعت الهيمنة الإستعماريّة الإمبرياليّة نحو عرقلة تطوّر الرأسماليّة في المستعمرات و الحفاظ عليها في وضع تخلّف مفروض .

حروب التحرّر الوطني في أوروبا في فترة صعود الرأسماليّة

من البداية ، أعار ماركس و إنجلز أيضا إنتباها معتبرا لتحليل تطوّر حركات التحرّر الوطني البرجوازيّة غربي أوروبا حيث كانت مثل هذه الحركات متركّزة آنذاك . و ساند ماركس و إنجلز حركات تحرّر برجوازيّة متنوّعة طالما و حينما كانت تمثّل نضالا ضد الحكم المطلق الإقطاعي و ضد الدول الرجعيّة التي تكبح تطوّر الرأسماليّة ، ما كان حينها لا يزال تاريخيّا على جدول الأعمال في عدد من البلدان مثل إيطاليا و ألمانيا و سواهما .

و على سبيل المثال ، في 1870-1871 ، خاضت ألمانيا التي لم تُكمل بعدُ ثورتها الديمقراطيّة – البرجوازيّة حربا ضد فرنسا نابليون الثالث الذى كان مع روسيا القيصريّة يمنع توحيد ألمانيا على قاعدة رأسماليّة . و بما أنّ مثل هذا التوحيد كان يمثّل خطوة تقدّميّة زمنها ، ساند ماركس و إنجلز هذا الصراع من قبل ألمانيا . و لينين وهو يعرض و يقاتل من أجل الخطّ الصحيح بشأن الحرب العالميّة الأولى في تعارض مع الإشتراكيّة – الشوفينيّة (الإشتراكيّة في الكلام ، و الشوفينيّة القوميّة و مساندة البرجوازيّة الخاصة في الأفعال) ، حلّل سياسة ماركس و إنجلز هذه ، مبرزا ، على سبيل المثال :

" إنّ حرب 1870-1871 قد كانت ، من جانب ألمانيا ، حربا تقدّميّة تاريخيّا حتّى هزيمة نابليون الثالث ، لأنّه إضطهد ألمانيا زمنا طويلا بالإشتراك مع القيصر ، و حافظ فيها على التجزّؤ الإقطاعي . و ما أن إنقلبت الحرب إلى نهب لفرنسا (إلحاق الألزاس و اللورين) ، حتّى شجب ماركس و إنجلس الألمان بقوّة . ثمّ إنّ ماركس و إنجلس قد حبّذا ، منذ بداية الحرب المذكورة ، رفض بيبل و ليبكنخت التصويت بالموافقة على الإعتمادات ، و أوصيا الإشتراكيّين – الديمقراطيّين بعدم الإندماج مع البرجوازيّة بل بالذود عن المصالح الطبقيّة الخاصة بالبروليتاريا . إنّ تطبيق تقدير ماركس و إنجلس لتلك الحرب ، البرجوازيّة التقدّميّة و التحرّريّة الوطنيّة ، على الحرب الإمبرياليّة الحاليّة ، هو سخر بالحقيقة . و الأمر كذلك ، و بصورة أبرز ، فيما يتعلّق بحرب 1854-1855 و فيما يتعلّق بجميع حروب القرن التاسع عشر ، حين لم تكن آنذاك لا الإمبرياليّة الحاليّة ، و لا الظروف الموضوعيّة الناضجة لظهور الإشتراكيّة ، و لا الأحزاب الإشتراكيّة الجماهيريّة في جميع البلدان المتحاربة ، أي أنّه حين لم تكن هناك تلك الشروط التي إستخلص منها بيان بال تكتيك " الثورة البروليتاريّة " في حال الحرب بين الدول الكبرى .

إنّ من يستشهد اليوم بموقف ماركس من الحروب في عهد البرجوازيّة التقدّميّة وينسى قول ماركس : " ليس للعمّال وطن "، وهو قول ينطبق بالضبط على عهد البرجوازيّة الرجعيّة التي ولّى زمانها ، على عهد الثورة الإشتراكيّة ، إنّما يشوّه ماركس بقحة و يستعيض عن وجهة النظر الإشتراكية بوجهة النظر البرجوازيّة ." (5) (لينين ، " **الإشتراكية و الحرب** "؛ ص 381-382 ، المجلّد الخامس من " **المختارات في 10 مجلّدات** " ، الطبعة العربيّة لدار التقدّم ، موسكو ؛ 1976)

و شرح لينين بإتّساق لماذا ساند ماركس و إنجلز حركات تحرّر برجوازيّة متنوّعة في أوروبا الغربيّة في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، حتّى مع نهاية 1891 عندما ، كما أشار لينين ، قال إنجلز إنّه في حال حصول حرب ضد روسيا و فرنسا سيكون من واجب الإشتراكيّين الألمان أن يدافعوا عن وطنهم .

و متصدّيا للإشتراكيّين الشوفينيّين الذين حاولوا إعادة إستعمال مواقف ماركس و إنجلز هذه ، أشار لينين بدقّة إلى أنّ في هذه الظروف كان ماركس و إنجلز قد إتّخذا مقاربة تحديد أيّ إنتصار في حرب بين الدول في أوروبا يكون مرغوبا فيه أكثر ، كان الحال أنّه " ما من سؤالٍ آخر كان يمكن طرحه في تلك اللحظة ، عدا التالي : نجاح أيةِ بورجوازية ، نجاح أية مجموعةٍ من القوى ، فشل أية قوى رجعية (قوى الإقطاع - الاستبداد التي كانت تعيق صعود البرجوازية) سيمنح فسحةً أوسع للديموقراطية المعاصرة ؟ " (6) (لينين ، " **تحت راية زائفة** " ، الحوار المتمدّن :

https://www.ahewar.org › debat › show.art.asp?aid=621921

(https://www.ahewar.org/debat/s.asp?aid=622723&t=4

بكلمات أخرى ، شدّد لينين ، كان سؤال " « أيَّ جانبٍ سيكون نجاحُه مرغوبًا أكثر » يعني السؤال عن « أيَّ برجوازيةٍ سيكون نجاحُها مرغوبًا أكثر»." و كان هذا لأنّه ، كما أنفت ملاحظة ذلك ، حركات التحرّر البرجوازيّة في أوروبا الغربيّة، كان بإمكانها أن تنهض بدور تقدميّ وقتها في ظروف معيّنة . و أسرع لينين ليضيف ، " في وقتٍ لا يتصور فيه أحدٌ وجود حركات بورجوازية تقدمية ، سواء أكانت ليبراليةً باعتدال أو ديموقراطيةً عاصفة ، في بريطانيا ، ألمانيا ، أو فرنسا." لأنّ عهد هذه الحركات قد فات مع تطوّر هذه البلدان إلى الإمبرياليّة .(7) (نفس المصدر السابق)

و مرّة أخرى ، تعاطى ماركس و إنجلز مع المسألة الوطنيّة و الإستعماريّة و مع مسألة نضالات التحرّر الوطني في مرحلة صعود الرأسماليّة ، لمّا كانت حركات التحرّر ضد الإضطهاد القومي و بقايا الإقطاعيّة لا يمكن أن تؤدّى ، حتّى و إن مضت إلى أبعد مدى ممكن ، إلاّ إلى تعزيز الحكم البرجوازي و الرأسماليّة . و بوجه عام ، بينما حلّلا و ساندا إنتفاضات الجماهير في بلدان الشرق ، كان إنتباه ماركس و إنجلز للمسألة الوطنيّة منصبّا أساسا على حركات التحرّر البرجوازيّة في أوروبا الغربيّة أين كانت مثل هذه الحركات حينها الأكثر تطوّرا و تأثيرا في تحديد الأحداث العالميّة .

الإمبرياليّة تغيّر الثورة في المستعمرات

أحدث تطوّر الرأسماليّة إلى الإمبرياليّة في حفنة من البلدان الرأسماليّة تغيّرات هائلة ليس في هذه البلدان ذاتها فقط بل أيضا عالميّا و بخاصة في علاقاتها مع مستعمراتها و العلاقات الداخليّة ضمن المستعمرات نفسها . و في حين كانت هذه المستعمرات تتعرّض إلى إضطهاد وحشيّ أكبر حتّى ، و في حين تتمّ عامة عرقلة تطوّر إقتصاديّاتها ، فإنّ التوغّل و الهيمنة المتناميين للإمبرياليّة في هذه المستعمرات أفضى إلى مزيد كسر الأشكال الأكثر بدائيّة في العلاقات الإقتصاديّة و إلى تغيير العلاقات الإقطاعيّة إلى علاقات إنتاج شبه إقطاعيّة ، لا سيما في الريف في عديد بلدان الشرق ، كالصين و غيرها .

و أعطى هذا دفعا لمزيد تطوّر البروليتاريا في هذه البلدان المستعمَرَة بينما في الوقت نفسه جرى تقليص تطوّر البرجوازيّة الوطنيّة هناك و التي إستمرّ إخضاعها لسيطرة الإمبرياليّين . و في الآن نفسه ، كانت الجماهير الشعبيّة العريضة ، في معظم الأحوال الغالبيّة العظمى من السكّان ، لا تزال من الفلاّحين في الأرياف يرزحون تحت نير العلاقات الإقطاعيّة و شبه الإقطاعيّة في ظلّ الإضطهاد و الإستغلال الساحقين للملاّكين العقّاريّين الذين كانوا يمثّلون الركن الأساسيّ لسيطرة الإمبرياليّين على هذه البلدان . و هكذا ، بالضبط مثلما هو الحال في البلدان الرأسماليّة ، خلق التطوّر ظروف الإطاحة بها و أنشأ حفّاري قبرها الخاصّين ، البروليتاريّون ، و كذلك ، مع تطوّر الرأسماليّة إلى إمبرياليّة ، أفرزت الهيمنة الإمبرياليّة في البلدان المستعمَرَة الظروف التي ستقود إلى هزيمتها هناك .

في هذه المستعمرات ، يجب خوض النضال المباشر ضد الإمبرياليّة و الإقطاعيّة و القوى التي يمكن توحيدها في هذا النضال تشتمل ليس على الطبقة القائدة ، البروليتاريا ، فحسب بل أيضا على أوسع جماهير الفلاّحين و البرجوازيّة الصغيرة في المناطق المدينيّة و فئات من البرجوازيّة عينها ، خاصة الفئات الوطنيّة من البرجوازيّة الوطنيّة التي بينما هي مرتبطة و بعدّة طرق مرتهنة بالإمبرياليّة في الآن ذاته ، تُعرقل تطوّرها بطرق لها دلالتها الهيمنة الإمبرياليّة و العلاقات الإقطاعيّة في البلاد و يمكن في ظلّ ظروف معيّنة أن تكون حليفا في النضال ضد الإمبرياليّة و الإقطاعيّة .

لذا ، مع تطوّر الرأسماليّة إلى إمبرياليّة في حفنة من البلدان الرأسماليّة ، تغيّر وضع حركات التحرّر الوطني و دورها وفق ذلك . ففي هذه البلدان الإمبرياليّة عينها لم يعد يوجد طبعا أيّ دور تقدّميّ لحركات التحرّر البرجوازيّة . فهكذا أشياء باتت من الماضي .

و في مستعمرات هذه القوى الإمبرياليّة ، لم تقدر حركات التحرّر من النهوض بدور تقدّميّ و ثوريّ هائل فحسب و لم تكن الجماهير تنهض في مقاومة الإمبرياليّين فحسب ، بل ، فضلا عن ذلك ، مع التغيّرات الملخّصة سابقا ، ظهرت إمكانيّة أن تسير البروليتاريا على رأس حركات التحرّر الوطني هذه و أن تقودها ليس في الهدف المباشر لإلحاق الهزيمة بالإمبرياليّين و عملائهم المحلّيين ، خاصة طبقة الملاّكين الإقطاعيّين فقط ، بل أيضا إمكانيّة المضيّ قُدُما و تجاوز ذلك إلى المرحلة الإشتراكيّة من الثورة . و بالتالى ، وُجد وضعان مختلفان و متعارضان جوهريّا في أوروبا الغربية من جهة و في البلدان المستعمَرَة في الشرق من الجهة الأخرى في ما يتعلّق بالمسألة الوطنيّة .

لكن ، وُجد في الآن نفسه وضع ثالث ، في أوروبا الشرقيّة . فهناك مسألة الإطاحة بالإضطهاد القومي و الهيمنة الإقطاعيّة لم تُحلّ بعدُ بالتمام ، و الحركات القوميّة يمكن أن تستمرّ في لعب دور تقدّميّ ، بخلاف ما هو عليه الحال في أوروبا الغربيّة أين تلك الحقبة قد فات أوانها و أين الرأسماليّة عامة تطوّرت إلى إمبرياليّة .

و لم ينجز لينين تحليلا شاملا للإمبرياليّة و حسب بل حلّل أيضا بوجه خاص المسألة الوطنيّة في عصر الإمبرياليّة . في **" كاريكاتور الماركسيّة "** ، صنّف لينين أنواع البلدان في ما يتّصل بالمسألة الوطنيّة كما يلى :

" النموذج الأوّل – البلدان المتقدّم في أوروبا الغربيّة (و أمريكا) حيث الحركة القوميّة من **الماضي** .النموذج الثاني – شرق أوروبا حيث هي من **الحاضر** . النموذج الثالث – البلدان شبه المستعمَرَة و المستعمرات حيث هي – بمقدار كبير –

من **المستقبل** . " (8) (الصفحة 167 ، المجلّد السادس من " **المختارات في 10 مجلّدات** " الطبعة العربيّة لدار التقدّم ، موسكو ، 1977)

روسيا جسر بين الشرق و الغرب

كانت روسيا ذاتها نوعا من الجسر بين الشرق و الغرب ؛ أي ، بينما تطوّرت الرأسماليّة في روسيا و بلغت بالفعل مرحلة الرأسماليّة الإحتكاريّة ، من الناحية الأخرى ، في الريف حيث لا تزال تعيش الغالبيّة العظمى من الشعب ، كانت بقايا الإقطاعيّة منتشرة إنتشارا واسعا و كانت الشكل المهيمن . و في الوقت نفسه ، تواصل حكم روسيا إلى فيفري 1917 من قبل الأوتوقراطيّة القيصريّة . بإختصار ، لم تكتمل الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة في روسيا ، بالرغم من كون روسيا قد تطوّرت إلى مرحلة الإمبرياليّة . و إضافة إلى ذلك ، في روسيا ، وُجدت أعداد كبيرة من القوميّات المضطهَدَة التي كان نضالها ضد الأتوقراطيّة القيصريّة و ضد هيمنة روسيا العظمى لا يزال ينهض بدور تقدّميّ و كان حليفا للبروليتاريا في نضالها . و طرح لينين و ستالين و ناضلا من أجل حقّ تقرير مصير هذه القوميّات كجزء حيويّ من الثورة الروسيّة .

و إلى ذلك ، بحدود 1905 ، ، أثناء فترة النهوض الثوريّ في روسيا وقتها ، عرض لينين في عمله الشهير " **خطّتا الإشتراكيّة الديمقراطيّة في الثورة الديمقراطيّة** " حاجة البروليتاريا إلى الوحدة مع جماهير الفلاّحين للإطاحة بالأوتوقراطيّة القيصريّة كخطوة أولى و مرحلة ضروريّة للثورة الروسيّة وقتها . و أشار لينين إلى أنّ البرجوازيّة في روسيا ليس بوسعها و لن تنجز الثورة الديمقراطيّة و وحدها الجهود المتّحدة للعمّال و جماهير الفلاّحين ، في ظلّ قيادة البروليتاريا و حزبها ، قادرة على إنجاز هذه المهمّة . و في الوقت نفسه ، أكّد لينين على أنّ الثورة الديمقراطيّة بالنسبة على البروليتاريا ليست هدفا في حدّ ذاته ، بل خطوة ضروريّة للتمكّن من التقدّم نحو الثورة الإشتراكيّة . في " **خطّتا الإشتراكيّة -الديمقراطيّة في الثورة الديمقراطيّة** " ، كتب لينين :

" إنّ دكتاتوريّة و الفلاّحين الديمقراطيّة الثوريّة ليست ، بلا جدال ، سوى مهمّة عرضيّة ، مؤقّتة ، بالنسبة للإشتراكيّين ؛ بيد انّه من باب الرجعيّة على وجه الضبط تجاهل هذه المهمّة في عصر الثورة الديمقراطيّة ...إنّ شعارنا يقرّ ، كشيء أكيد، بالطابع البرجوازي الذى تتّصف به ثورة تعجز عن الخروج مباشرة من نطاق الإنقلاب الديمقراطي الصرف ، و يدفع هذا الإنقلاب المعين إلى الأمام ؛ و يقصد جهده أن يعطي هذا الإنقلاب أفضل الأشكال الملائمة للبروليتاريا ؛ وهو يقصد بالتالي أن يستخدم الإنقلاب الديمقراطيّ إلى أقصى حدّ بغية تأمين النجاح على وجه أفضل لنضال البروليتاريا المطّرد في سبيل الإشتراكيّة ." (9) (لينين ، " **خطّتا الإشتراكيّة – الديمقراطيّة في الثورة الديمقراطيّة** " ؛ الصفحات 488-490 المجلّد الثاني من " **المختارات في 10 مجلّدات** " الطبعة العربيّة لدار التقدّم ، موسكو ، 1979)

و لخّص لينين الطريق إلى الإشتراكيّة في روسيا في هذه الصيغة : يجب على الطبقة العاملة أن تقاتل لإنجاز الثورة الديمقراطيّة بجماهير الفلاّحين كحليفها الأوثق في هذا القتال ؛ ثمّ يجب أن تتقدّم بالنضال ، مقاتلة لبلوغ الثورة البروليتاريّة – الإشتراكية و دكتاتوريّة البروليتاريا بجماهير الفلاّحين الفقراء و العناصر شبه البروليتاريّة في الريف خاصة ، كحليفها الأوثق . (10) (من أجل ملاحظات لينين الملخّصة في هذه الفقرة ، أنظروا ، لينين ، **" الأعمال الكامل "** بالأنجليزيّة ، المجلّد التاسع ، صفحة 100)

و رغم أنّه وقع سحق ثورة 1905 في روسيا ، في فيفري 1917 ، تمّت الإطاحة بالأوتوقراطية القيصريّة بواسطة إنتفاضة شعبيّة . و في تلك اللحظة ، خلُص لينين إلى أنّ الثورة الديمقراطيّة – البرجوازيّة أُنجزت إلى أبعد مدى ممكن في روسيا و أنّ المرحلة الموالية المباشرة من النضال هي النضال من أجل دكتاتوريّة البروليتاريا و تركيز الإشتراكيّة . و بالفعل في تلك السنة ، في أكتوبر ، نجحت الثورة البروليتارية الإشتراكيّة في روسيا .

و أحدث هذا تغييرات أساسيّة في العالم ؛ و أشّر إلى تركيز أوّل دولة إشتراكيّة ، و إلى جانب التغييرات التي رافقت الإمبرياليّة ، جعل من الممكن تحويل طابع حركات التحرّر الوطنيّ في المستعمرات . متحدّثين عن الطابع العام لنضال التحرّر الوطني في البلدان المستعمَرَة ، يلاحظ أنّها لم تعد جزءا من الحركة الديمقراطيّة – البرجوازيّة القديمة ، جزءا من الثورة الرأسماليّة القديمة المفضية إلى حكم البرجوازيّة و إرساء الرأسماليّة ، بل صارت جزءا لا يتجزّأ من الثورة البروليتاريّة الإشتراكيّة العالميّة ، حليفا للبروليتاريا في البلدان الرأسماليّة في نضالها ضد الإمبرياليّة و في سبيل الإشتراكيّة على الصعيد العالمي . وهو يكتب سنة 1918 ، لخّص ستالين هذا التطوّر :

" إنّ المغزى العالمي العظيم لثورة أكتوبر يتمثّل بصورة رئيسيّة في أنّها :

1) وسّعت إطار المسألة القوميّة إذ حوّلتها من مسألة جزئيّة خاصة بالنضال ضد الإضطهاد القومي في أوروبا إلى مسألة عامة متعلّقة بتحرّر الأمم المضطهَدَة و المستعمرات و شبه المستعمرات من نير الإمبرياليّة ؛

2) أتاحت إمكانيّات عريضة و شقّت طرقا واقعيّة نحو تحقيق هذا التحرّر ، وهي بذلك دفعت كثيرا قضيّة تحرّر الأمم المضطهَدَة في الغرب و الشرق و إجتذبت هذه الأمم إلى التيّار العارم للنضال الظافر ضد الإمبرياليّة ؛

3) أنشأت بذلك جسرا بين الغرب الإشتراكي و الشرق المستعبد ، إذ خلقت جبهة جديدة من الثورات ضد الإمبرياليّة العالميّة تمتدّ من البروليتاريا في الغرب ، عبر الثورة الروسيّة ، إلى الأمم المضطهَدَة في الشرق ." (11) (" **ثورة أكتوبر و المسألة القوميّة** " ؛ ذكره ماو تسى تونغ في " **حول الديمقراطيّة الجديدة** " ، قسم " الثورة الصنيّة جزء من الثورة العالميّة " ؛ الصفحة 481 ، المجلّد الثاني من " **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** ")

لينين و ستالين يُحلّلان التطوّرات

طوال عدّة سنوات تلت إنتصار ثورة أكتوبر في روسيا سنة 1917 ، لم يقم لينين و ستالين بتحليل التغيّر في الطابع العام للحركات الوطنيّة فحسب بل أيضا أعارا إنتباها خاصا لتطوّر هذه الحركات و رسما السياسات الصحيحة للشيوعيّين في علاقة بها . و أصدر لينين توجيها للأمميّة الثالثة (الأمميّة الشيوعيّة أو الكومنترن) في سنواتها الأولى لتطوير خطّها بخصوص المسألة الوطنيّة و الإستعماريّة و بالأخصّ خطّها و عملها في علاقة بحركات التحرّر الوطني في الشرق .

و نشر إنتصار ثورة أكتوبر في روسيا الماركسيّة – اللينينيّة عبر العالم و أعطى دفعا لتشكيل الأحزاب الشيوعيّة بأسلوب ماركسي – لينيني و بخطّ ماركسي – لينينيّ بما في ذلك في عدّة بلدان مستعمَرَة . و مثّل هذا كذلك عاملا له دلالة كبرى و عزّز دور البروليتاريا في القتال لأجل قيادة نضال التحرّر الوطنيّ في المستعمرات و توجيهه من خلال إكمال الثورة الديمقراطيّة – البرجوازيّة إلى المرحلة الإشتراكيّة .

و في المؤتمر الثاني للكومنترن ، أشرف لينين على لجنة المسألة القوميّة و الإستعماريّة و في تقرير بهذا الصدد ، أكّد من ناحية على حاجة الشيوعيّين إلى تقديم كامل الدعم إلى حركة التحرّر الوطني في المستعمرات و الإجتهاد للتقدّم بها ؛ و من ناحية ثانية ، على الحاجة إلى الحفاظ على إستقلاليّة الشيوعيّين و تعزيز القوى الثورية ضمن حركات التحرّر الوطني هذه.

و زيادة على ذلك ، أثيرت مسألة ردّ عليها لينين متعلّقة بما إذا كان من الممكن أم لا لهذه البلدان أن تتقدّم نحو الشيوعيّة دون المرور بمرحلة الرأسماليّة . في تقريره للجنة المختصّة بالمسألة القوميّة و مسألة المستعمرات في مؤتمر الكومنترن هذا ، كتب لينين الآتى ذكره :

" لقد طُرحت المسألة بالشكل التالي : هل يمكننا أن نعتبر أنّ التأكيد القائل بأنّ المرحلة الرأسماليّة في تطوّر الاقتصاد الوطني محتومة بالنسبة للشعوب المتأخّرة التي تتحرّر الآن و التي تلاحظ في أوساطها بعد الحرب حركة في إتّجاه التقدّم ، هو تأكيد صحيح . و قد كان جوابنا على هذا السؤال سلبيّا . فإذا ما قامت البروليتاريا الثوريّة الظافرة بدعاية منتظمة بين هذه الشعوب، و إذا ما ساعدتها الحكومات السوفياتيّة بجميع الوسائل الموجودة تحت تصرّفها ـ عندئذ يصبح من غير الصحيح التأكيد بأنّ مرحلة التطوّر الرأسمالي هي مرحلة محتومة بالنسبة للأقوام المتأخّرة . إنّ واجبنا في جميع المستعمرات و البلدان المتأخّرة لا يقتصر على تكوين ملاكات مستقلّة من المناضلين ، لا يقتصر على تشكيل المنظّمات الحزبيّة و القيام حالا بالدعاية من أجل تنظيم سوفييتات الفلاّحين و السعي كي تصبح هذه السوفييتات ملائمة لظروف ما قبل الرأسماليّة ، إنّما يتوجّب كذلك على الأمميّة الشيوعيّة أن تقرّ و أن تثبت نظريّا أنّه بمساعدة البروليتاريا في البلدان المتقدّمة ، يمكن للبلدان المتأخّرة أن تنتقل إلى النظام السوفييتي و إلى الشيوعيّة عبر درجات معيّنة من التطوّر ، متجنّبة مرحلة التطوّر الرأسمالي . " (12) (الصفحة 96 ، المجلّد العاشر من " **المختارات في 10 مجلّدات** " الطبعة العربيّة لدار التقدّم ، موسكو ؛ 1978)

و في الوقت نفسه ، توصّل إلى إستخلاص أنّه :

" يستحيل أن نشير سلفا إلى الوسائل اللازمة لهذا الأمر. " (13) (نفس المصدر السابق)

عقب وفاة لينين ، لم يقم ستالين بقيادة بناء الإشتراكيّة في الإتّحاد السوفياتي فقط بل قاد أيضا تقديم الدعم و المساعدة لصياغة خطّ النضالات الثوريّة عبر العالم ، بما في ذلك في البلدان المستعمَرَة ، في الصين بوجه خاص . ففي عديد خطاباته

و مقالاته في فترة النهوض الثوريّ في الصين في سنوات 1924 -1927 ، ساعد ستالين في تحليل الملامح الخاصة بالثورة الصينيّة : واقع أنّها كانت نضالا مناهضا للإمبرياليّة ؛ و واقع أنّ الهيمنة الإقطاعيّة في الريف و الإستغلال الإقطاعي للفلاّحين يضطلع بدور مركزيّ في الاقتصاد الصينيّ ، و بالتالى أنّ الثورة الزراعيّة في الصين تقع في موقع القلب من النضال وهي وثيقة الإرتباط بنضال الأمّة الصينيّة المناهض للإمبرياليّة ؛ و أنّه يمكن للبروليتاريا و من واجبها أن تقود الثورة الديمقراطيّة – البرجوازيّة و تتقدّم بالحركة و تمضى بها أبعد من تلك المرحلة نحو مرحلة الثورة الإشتراكيّة . و علاوة على ذلك ، أشار ستالين إلى أنّه من البداية في الصين كانت الثورة المسلّحة تقاتل الثورة المضادة المسلّحة و أنّ ذلك كان فى الآن نفسه مظهرا خاصا و ميزة خاصة للثورة الصينيّة .

ماو بصدد الثورة الصينيّة

و هكذا ساعد ستالين في تحليل بعض المظاهر الأساسيّة للثورة الصينيّة . لكن ماو تسى تونغ ، وهو يساهم في الثورة الصينيّة و يطبّق المبادئ العالميّة للماركسيّة – اللينينيّة عليها ، هو الذى طوّر تطويرا تاما و صاغ صياغة تامة الخطّ و النظريّة و الإستراتيجيا الأساسيّين لثورة الديمقراطيّة الجديدة .

منذ مراحلها الأولى ، أدرك ماو أنّ الثورة الصينيّة ستتميّز بدور قويّ جدّا و محوريّ لإنتفاضات الفلاّحين و الثورة الزراعيّة للفلاّحين . و كان هذا يتعارض مع خطوط إنتهازيّ متنوّعة و خاطئة صلب الحزب الشيوعي الصيني الى شطب الفلاّحين الصينيّين كقوّة ثوريّة و حاول تركيز النضال في المدن و / أو جعل نضال البروليتاريا ضد البرجوازيّة نضال مرحلة – واحدة و من ثمّة أتت المحاولة الخاطئة لتجاوز مرحلة النضال الديمقراطي – البرجوازي في ظلّ قيادة البروليتاريا . و كان خطّ ماو متعارضا أيضا مع الإنتهازيّين اليمينيّين في صفوف الحزب الشيوعي الصينيّ الذين سعوا إلى تسليم قيادة الثورة إلى طبقات البرجوازيّة و الملاّكين الكبار . و أنكروا الحاجة إلى إستقلاليّة و مبادرة البروليتاريا و حزبها الشيوعي ، و حاجة الحزب الشيوعي إلى تسليح الجماهير و قيادتها كركن أساسي في الكفاح المسلّح و في إلحاق الهزيمة بالعنف المعادي للثورة للقوى الرجعيّة بواسطة العنف الثوريّ الجماهيريّ .

سنة 1927 ، وضع ماو عملا غاية في الأهمّية ، " **تقرير عن تحقيقات في حركة الفلاّحين في خونان** " فيه شدّد على الدور المركزيّ لمئات ملايين الفلاّحين في الصين في الحركة الثورية . و في ذلك العمل ، أوضح بقوّة :

" النهضة الراهنة التي تشهدها حركة الفلاّحين هي حدث هائل . و لن تنقضي إلاّ فترة قصيرة حتّى يهبّ في هذه النهضة مئات ملايين من اللاّحين في مقاطعات الصين الوسطى و الجنوبيّة و الشماليّة بسرعة خارقة و قوّة جارفة كالعاصفة العاتية، لا تستطيع أيّة قوّة أخرى ، مهما تكن عظيمة ، أن تقف في وجهها . و هم سوف يحطّمون جميع القيود و الأغلال التي تكبّلهم ، و ينطلقون قُدما في الطريق المؤدّية إلى التحرّر . و سوف يقذفون في غياهب القبور بجميع الإمبرياليّين و أمراء الحرب و الموظّفين الفاسدين و العتاة المحلّيين و الوجهاء الأشرار . أمّا الأحزاب الثورية و الرفاق الثوريّون فإنّهم سيجدون أنفسهم جميعا أمام إختبار الفلاّحين الذين سيقرّرون قبولهم أو رفضهم . أتسير على رأس الفلاّحين و تقودهم ؟ أم تقف وراء ظهورهم معيبا لهم ؟ أم تقف في وجوههم تناهضهم ؟ إنّ لكّل صينيّ الحرّية في أن يختار أحد هذه المواقف الثلاثة ، بيد أنّ الظروف ستجبرك على الإختيار العاجل . " (14) (**مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد 1 ، الصفحة 30 ؛ من هنا فصاعدا المجلّد /"م " و الصفحة /" ص")

" فظيع جدّا " هذا التمرّد الجماهيريّ للفلاّحين ، مسألة " تجاوزت الحدود " كما كان البعض ، بمن فيهم عدد من الناس في صفوف الحزب الشيوعي الصيني ، يتذمّرون و يشتكون ؟ لا ، الأمر جيّد ، ذلك أنّه كما ذكّر ماو هؤلاء الناس وهو يقاتل نظرتهم الكنفشيوسيّة :

" إنّ الثورة ليست مأدبة و لا كتابة مقال و لا رسم صورة و لا تطريز ثوب ، فلا يمكن أن تكون بمثل تلك اللباقة و الوداعة و الرقّة ، أو ذلك الهدوء و اللطف و الأدب و التسامح و ضبط النفس . إنّ الثورة إنتفاضة و عمل عنف تلجأ إليه إحدى الطبقات للإطاحة بطبقة أخرى . و ثورة الريف هي ثورة تطيح بها طبقة الفلاّحين بسلطة طبقة الملاّك الإقطاعيّين . فإذا لم يستخدم الفلاّحون قوّة هائلة لا يمكنهم أبدا أن يطيحوا بسلطة ملاّك الأراضي التي تعمّقت جذورها مدى آلاف السنين . و لا بدّ من مدّ ثوريّ عات في المناطق الريفيّة لأنّ هذا هو الشيء الوحيد الذى يقدر على إستنهاض ملايين الناس ليصبحوا قوّة هائلة . إنّ جميع الأعمال التي ذكرتها آنفا و التي وصمت بأنّها " تجاوزت الحدّ " قد نبعت من قوّة الفلاّحين التي إنبثقت من المدّ الثوري العاتي في الريف . " (15) (م 1 ، ص 37)

و معتمدا بطريقة صحيحة على الدور المحوريّ للثورة الزراعيّة و نهوض الفلاّحين في الصين ، و كذلك مظاهر أخرى خصوصيّة من المجتمع الصينيّ زمنها النابعة من طبيعته كمجتمع شبه مستعمر شبه إقطاعي ، أنجز ماو تحليلا إستراتيجيّا هاما للغاية بأنّ طريق إفتكاك السلطة بواسطة النضال المسلّح لا يكمن في الإنتفاضة في المدن متبوعة بحرب أهليّة بل في إرساء قواعد إرتكاز في الأرياف و بالبروليتاريا و حزبها كقوّة قياديّة ، و إستنهاض جماهير الفلاّحين كقوّة أساسيّة لخوض حرب الشعب الطويلة الأمد لمحاصرة المدن وفى النهاية إفتكاكها . و كان هذا هو بالفعل الطريق الذى قاد فيه ماو الشعب الصينيّ لتحقيق الظفر عبر البلاد ، محرّرين الصين و متقدّمين نحو الإشتراكيّة ، طوال مسار أكثر من عشرين سنة . و طبعا ، لهذا صلة وثيقة بمسألة مساهمات ماو في مجال الإستراتيجيا العسكريّة – موضوع سنتناوله بالحديث في الفصل الثاني – كان جزءا لا يتجزّأ من تطوير ماو للخطّ العام للثورة في الصين و لا تزال له بعدُ صلوحيّة و أهمّية كبرى ، خاصة بالنسبة إلى البلدان حيث الظروف هي نفسها أو تشبه كثيرا تلك الظروف في الصين إبّان ثورتها الديمقراطيّة الجديدة .

مرتكز بصلابة على تحليل طبقيّ

بحدود 1926 ، أثار ماو مسألة حيويّة في الحركة الثوريّة و أجاب عليها : " من هم أعداؤنا ؟ و من هم أصدقاؤنا ؟ هذه مسألة في الدرجة الأولى من الأهمّية بالنسبة للثورة ." (16) (م 1 ، ص 15) و أجاب ماو على ذلك بإنجاز تحليل لطبقات المجتمع الصينيّ ، ختمه على النحو التالي :

" نعلم ممّا تقدّم ذكرهأنّ أعداءنا هم كلّ من يتواطأون مع الإمبرياليّة و هم أمراء الحرب و الإداريّون الكبار و طبقة الكمبرادوريّين و طبقة كبار ملاّكالأراض و فئة المثقّفين الرجعيّين التابعين لهم . و القوّة القائدة لثورتنا هي البروليتاريا الصناعيّة . و أقرب أصدقائنا هو أشباه البروليتاريا و البرجوازيّة الصغيرة بمختلف فئاتهم . أمّا البرجوازيّة الوسطى المتذبذبة فقد يصبح جناحها اليميني عدوّا لنا و جناحها اليساري صديقا لنا – و لكن علينا أن نتّخذ دائما حذرنا حيالها لئلاّ تخلق الفوى في جبهتنا . " (17) (م 1 ، ص 24)

و أشار ماو بوجه خاص ، ليس في تلك اللحظة فحسب بل إبّان قيادة الثورة الصينيّة عبر كامل مرحلة الديمقراطيّة الجديدة، إلى أنّ مسألة دور البرجوازيّة الصينية في الثورة الصينيّة مسألة ذات أهمّية خاصة . و لاحظ على سبيل المثال أنّ في روسيا ، بينما وُجدت مرحلة ثورة ديمقراطيّة – برجوازيّة مع ذلك حتّى في تلك المرحلة لم تكن البرجوازيّة في روسيا حليفا للبروليتاريا كما كانت في الصين . و أفصح ماو بعد بضعة سنوات ، أثناء فترة الحرب الأهليّة المناهضة لليابان لمّا توسّعت الجبهة المتّحدة لتضمّ فئات واسعة من البرجوازيّة لأجل توحيد كلّ من يمكن توحيدهم ضد اليابان ، أنّه :

" عبر هذا النوع من العلاقة المعقّدة مع البرجوازيّة الصينيّة ، تقدّمت الثورة الصينيّة و الحزب الشيوعي الصيني في مجرى التطوّر . و هذه خاصيّة تاريخيّة تتميّز بها الثورات في المستعمرات و شبه المستعمرات ، خاصيّة لم يشهدها تاريخ الثورة في ايّ بلد رأسمالي ." (18) (م 2 ، ص 395)

كما لاحظ ماو في العمل نفسه أنّ العلاقة الخاصة بين البروليتاريا و البرجوازيّة في الثورة الصينيّة كانت على نحو مكّن أحيانا البروليتاريا من تركيز جبهة متّحدة ثوريّة مع البرجوازيّة و أحيانا أخرى نظرا لتحرّكات الإمبرياليّين و البرجوازيّة الصينيّة ، كانت مضطرّة إلى القطع مع هذه الجبهة المتّحدة . ما ميّز تحليل ماو و مقاربته هنا و في جميع الأوقات كان أنّه تركّز على تحليل طبقي . و فضلا عن ذلك ، مختلف السياسات و الخطوط التي وقع تبنّيها أثناء شتّى مراحل الثورة الديمقراطيّة الجديدة كانت متجذّرة دائما في هذا المنهج من التحليل الطبقيّ . و في كلّ لحظة ، داخل الحزب ، و بقدر الإمكان في صفوف الجماهير ، جرى بشكل تام شرح الأساس الطبقي لتحرّكات مختلف القوى في المجتمع الصيني .

و لمّا تحوّل تشانغ كاي تشاك في الثورة سنوات 1924- 1927 إلى خائن للشعب الصينيّ و وجّه بنادقه ضد الجماهير الصينيّة خائنا آلاف الشيوعيّين و شغّالين آخرين ، شرح ماو أنّ إستيلاء تشانغ على مقاليد الكيومنتانغ (كان سابقا منظّمة ثوريّة متكوّنة من قوى طبقيّة متباينة و ضمنها الشيوعيّون) و الخيانة العامة لتشانغ كاي تشاك مردّهما واقع أنّه يمثّل البرجوازيّة الكبيرة و الملاّكين العقّاريّين في الصين الذين كانوا متحالفين مع الإمبرياليّة ، خاصة الإمبرياليّة الأمريكيّة و الإمبرياليّة البريطانيّة . و لاحقا ، عقب غزو اليابانيّين لمحافظات شمال الصين و كانوا يعدّون لمواصلة الإجتياح جنوبا عبر الصين كافة ، إقترح الحزب الشيوعي الصيني هدنة و من ثمّة جبهة متّحدة مع الكيومنتانغ و حتّى مع تشانغ كاي تشاك إلى درجة معيّنة . و هنا مرّة أخرى ، تمّ شرح الأساس الطبقيّ لهذا . فأوضح ماو أنّ طبيعة تشانغ كاي تشاك لم تتغيّر

و أنّه و القوى الطبقيّة التي يمثّلها لا يزالان تابعين و عميلين للإمبرياليّة الأمريكيّة و البريطانيّة ، لكن إعتبارا للتناقضات صلب الإمبرياليّين و خاصة بين الإمبرياليّة البريطانيّة و الأمريكيّة من جهة و الإمبرياليّة اليابانيّة من الجهة الأخرى ، كان من الممكن بناء جبهة متّحدة مع تشانغ كاي تشاك و القوى التي كان يمثّلها . و بعد ذلك ، أوضح ماو أنّه كان من الضروري بناء مثل هذه الجبهة المتّحدة لأجل تركيز نضال الأمّة الصينيّة ككلّ ضد اليابان التي كانت تحاول تحويل الصين من شبه مستعمرة إلى مستعمرة تامة تابعة لليابان .

و لعدّة سنوات بعد إنطلاق الغزو الياباني سنة 1931 ، و رفض تشانغ كاي تشاك و المجزرة التي إرتكبها في حقّ الشيوعيّين و شغّالين آخرين سنة 1927 ، وجد الحزب الشيوعي الصيني نفسه مجبرا على و قد خاض حربا أهليّة دامت سنوات عشر، كان عليه فيها إلى درجة كبيرة أن يقطع مع الجبهة المتّحدة مع البرجوازيّة بما أنّ معظم فئاتها إتّبعت و ساندت تشانغ كاي تشاك و إنقلابه الرجعيّ صلب الكيومنتانغ و دوره الرجعيّ داخل المجتمع الصينيّ ككلّ .

و مع ذلك ، في صفوف الحزب الشيوعي ، قاد ماو صراعا ضد خطوط خاطئة و إنتهازيّة متنوّعة رفضت ، حتّى بعد الغزو الأوّلي لليابان سنة 1931 ، الموافقة على سياسة تطوير أوسع جبهة متّحدة ممكنة لمقاومة اليابان و هزم مساعيها إلى تحويل الصين إلى مستعمَرَتها . و جرّاء هذه الأخطاء الفئويّة / السكتاريّة و غيرها و الأخطاء " اليساريّة المتطرّفة " ضعُف الحزب الشيوعي الصيني في ظلّ قيادة ماو الذى أرسى قواعد إرتكاز في الأرياف ، خلال هذه الحرب الأهليّة التي دامت سنوات عشر من مقاومته للهجمات المستمرّة لقوّات تشانغ كاي تشاك ؛ و في عدّة مناسبات وجد نفسه معزولا عن الفئات الشعبيّة بما فيها الجماهير الشعبيّة في الأرياف .

ونظرا لما تقدّم ، سنة 1934 ، إضطرّ الحزب الشيوعي بصحبة القوّات المسلّحة تحت قيادته إلى التخلّي عن قواعد إرتكازه و الإبحار في ما أضحى ، كما سمّاه ماو ، " مَعلم تاريخي " ، المسيرة الكبرى ، التي في مجراها لحوالي سنتين عنت القتال بمعدّل أكثر من معركة في اليوم و قطعت طريقا بآلاف الأميال عبر الصين . و بات هذا نقطة تحوّل حيويّة في الثورة الصينيّة . و على الرغم من خسارة أعداد كبيرة من أعضاء الحزب الشيوعي و القوّات المسلّحة التي كان يقودها في مسار المسيرة الكبرى ، آلت هذه الأخيرة إلى نهاية مظفّرة . و بالنتيجة ، خلال المسيرة الكبرى ، تعزّز الخطّ الأساسي لماو تسى تونغ و قيادته صلب الحزب الشيوعي الصيني في بدايات سنة 1935 . (19) (19- و بينما وضع هذا الحزب على الطريق الصحيح ، لم يقع إلاّ فى سنوات لاحقة ، في بدايات أربعينات القرن العشرين ، أثناء توازن في الحرب ، الإجتثاث التام للخطوط الإنتهازيّة بطريقة شاملة . فقد قاد ماو حملة تصحيح داخل الحزب إستهدفت الذاتيّة و بوجه خاص النزعات التي أخفقت في المزج بين الحقائق العالميّة للماركسيّة – اللينينيّة و الممارسة الملموسة للثورة الصينيّة . و قد رفعت هذه الحملة بدرجة معتبرة المستوى الماركسي – اللينيني للحزب كلّه .)

تشكّل الجبهة المتّحدة

على أساس إنتصار خطّ ماو أثناء المسيرة الكبرى ، تمكّن الحزب الشيوعي من صياغة مقترح الجبهة المتّحدة ضد اليابان و النضال من أجلها و في النهاية من أجل تحقيقها في الواقع . و في النهاية ، في أواخر سنة 1936 ، تمّ إختطاف تشانغ كاي تشاك و إحتجزه جنرالان من جنرالاته كانا يناصران نداء الحزب الشيوعي لتشكيل جبهة متّحدة ، و أُجبر تشانغ على القبول بالجبهة المتّحدة . و كان تشكيل مثل هذه الجبهة مع الكيومنتانغ يتطلّب بعض التعديلات في النضال داخل الصين . و بخاصة في الريف ، كان يتطلّب العدول عن سياسة مصادرة أرض الملاّكين العقّاريّين و توزيعها على الفلاّحين ، و تعويض هذه السياسة بسياسة محدودة أكثر للتقليص في الإيجار و الفوائد في الديون .

و قاد ماو صراعا في صفوف الحزب الشيوعي الصيني لتوحيد الحزب حول هذا التعديل بينما فى الوقت نفسه عارض خطّ الإستسلام الطبقيّ و إلحاق الحزب الشيوعي و القوّات المسلّحة التي يقودها بالكيومنتانغ و القوّات المسلّحة للكيومنتانغ ، خطّ كان عمليّا سيؤدّى إلى الهزيمة في حرب المقاومة المناهضة لليابان و ذبح و سحق الشيوعيّين و جماهير الشغّيلة بما فيها الفلاّحين في المناطق المحرّرة ، على يد تشانغ كاي تشاك .

و أعرب ماو عن أنّه من جهة يجب تعديل الصراع الطبقي داخل الصين وفق مقتضيات حرب المقاومة ضد اليابان لكن من الجهة الأخرى ، كما شدّد على ذلك ، يتواصل الصراع الطبقي في الوجود بمعزل عن إرادة المرء . لا يمكن إنكار ذلك و حتّى أقلّ لا يمكن إلغاؤه ، و إنّما يمكن و يجب إدخال تعديلات عليه . و فيما كان لا بدّ مطلقا من تشكيل أوسع جبهة متّحدة

ممكنة ، بما فيها فئات من البرجوازيّة الكبيرة و بعض الملاّكين العقّاريّين لإلحاق الهزيمة بالعدوان الياباني ، في بعض الأحيان ، ضمن هذه الجبهة المتّحدة ، يتعيّن على الحزب الشيوعي الصيني أن يستمرّ في القتال من أجل و أن يمارس إستقلاليّته و مبادرته في جميع المجالات و منها المجال العسكريّ . لا يتعيّن بأيّ شكل كان أن يلحق نفسه بالبرجوازيّة الكبيرة و الملاّكين العقّاريّين أو أيّة قوى طبقيّة أخرى ، و بدلا من ذلك ، ينبغي أن يقاتل لكسب قيادة الجبهة المتّحدة .

طوال هذ الفترة من الجبهة المتّحدة ، وصولا إلى إلحاق الهزيمة بالمعتدين اليابانيّين سنة 1945 ، إستمرّ تشانغ كاي تشاك و أتباعه في توجيه نارهم الأساسيّة ضد الحزب الشيوعي و القوّات المسلّحة و قواعد الإرتكاز المحرّرة التى كانت تحت قيادته . و رفض الكيومنتانغ حتّى تطبيق سياسة التقليص في الإيجار و الفوائد ما كان يمثّل ، كما تمّت الإشارة إليه أعلاه ، تسوية ، تعديلا من جانب الحزب الشيوعي الصيني ذاته خدمة للجبهة المتّحدة الواسعة ضد اليابان . و قد هاجم الكيومنتانغ بلا توقّف الحزب الشيوعي لإنجازه مثل هذه الإصلاحات في الريف و لسعيه إلى إرساء الحقوق الديمقراطيّة للجماهير الشعبيّة عبر الصين كافة .

في **" حول الحكومة الإئتلافيّة "** ، التقرير السياسي الذى قدّمه ماو إلى المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الصيني سنة 1945، غداة الإنتصار في الحرب المناهضة لليابان ، لخّص ماو ضمن أشياء أخرى ، الصراع حول مسألة الإصلاحات خاصة في الأرياف . و لاحظ أنّه :

" بدون الإصلاحات السياسيّة فإنّ جميع القوى المنتجة ، الزراعيّة منها و الصناعيّة ، سيكون مصيرها الدمار .

و إذا أخذنا الأمر من جميع جوانبه و جدنا أنّه من المحال تطويرالصناعة بدون صين مستقلّة حرّة ديمقراطيّة و موحّدة ." (20) (م 3 ، ص345)

بكلمات أخرى ، كلّ شيء حينها كان متوقّفا على إلحاق الهزيمة باليابان و إنجاز الثورة الديمقراطيّة الجديدة . لأنّه كما إسترسل ماو ليقول :

" في الصين شبه المستعمَرَة و شبه الإقطاعيّة و المنقسمة فإنّ عددا كبيرامن الناس كانت قد راودتهم ، لسنين طويلة ، الأحلام في تطوير الصناعة و بناء الدفاع الوطني و تحقيق الرفاهيّة للشعب و كسب الإزدهار و القوّة للأمّة ، لكن أحلامهم كلّها تبدّدت . إنّ الكثيرين من رجال التربية و العلماء و الطلاّب ذوى النوايا الطيّبة قد إنهمكوا في أعمالهم أو دراساتهم دون أن يعيروا السياسة أدنى إهتمام إعتقادا بأنّهم يستطيعون أنّ يخدموا البلاد بما تعلموه ، لكن هذا أيضا قد أصبح ، في نهاية الأمر ، حُلما مبدّدا . و إنّ هذا لخبر سار ، إذ أنّ تبدّد هذه الأحلام الصبيانيّة هو بالذات نقطة الإنطلاق للصين نحو الإزدهار و القوّة . إنّ الشعب الصينيّ قد تعلّم أشياء كثيرة خلال حرب المقاومة ضد اليابان ، فقد أدرك أنّه من الضروري بناء صين قائمة على الديمقراطيّة الجديدة مستقلّة حرّة ديمقراطيّة موحّدة مزدهرة و قويّة بعد هزيمة الغزاة اليابانيّين ، و أن هذه العوامل مترابطة لا يستغنى عن أي منها . و إذا تحقّق ذلك فستنفتح أمام الصين الآفاق . إنّ تحرير القوى المنتجة للشعب الصينيّ و تقديم إمكانيّات وافرة لتطوّرها هما مرهونان بتحقيق الشروط السياسيّة للديمقراطيّة الجديدة في جميع أرجاء الصين . إنّ عدد الذين يفهمون هذه النقطة أخذ يزداد يوما بعد يوم . " (21) (م 3 ، ص 345-346)

هنا شدّد ماو على المبدأ الأساسيّ و مفاده أنّ الثورة كانت القوّة المحرّكة للمجتمع و أساس إطلاق العنان للقوى المنتجة و أنّ تحرير الأمّة الصينيّة و الشغّالين الصينيّين بصورة خاصة و بناء بلد مزدهر يلبّى حاجيات الجماهير الشعبيّة كلّها ، كلّ هذا مرتهن ب " وضع السياسة في مصاف القيادة " . كانت تلك الحقيقة الجوهريّة التي شدّد عليها مرارا و تكرارا ماو، ليس في المضيّ بالثورة الديمقراطيّة الجديدة نحو النصر فقط بل أيضا في مرحلة الثورة الإشتراكيّة التي تبعت ذلك النصر.

قتال الإنهزاميّة

مثلما جرت الإشارة إلى ذلك قبلا ، وُجدت قوى داخل الحزب الشيوعي ذاته ، و بعضها عارض أصلا تشكيل الجبهة المتّحدة ضد اليابان ، عندما تشكّلت الجبهة المتّحدة إنتقلت إلى سياسة إستسلاميّة تماما و دعت إلى إخضاع المفترض أو حتّى الفعليّ للحزب الشيوعي و القوّات المسلّحة و حتّى المناطق المحرّرة في ظلّ قيادته ، إلى تحكّم الكيومنتانغ . و عند خوض صراع حاد جدّا صلب الحزب الشيوعي لهزم هذه النزعات ، أجلى ماو العلاقة بين خطّ الإستسلام الطبقي المقدّم في صفوف الحزب الشيوعي و خطّ إستسلام وطني للإمبرياليّة اليابانيّة في ما يتّصل بصراع الأمّة الصينيّة ككلّ . و بيّن ماو

كيف أنّ هتين النزعتين الإستسلاميّتين كانتا مرتبطتين و كلّ منهما تعزّز الأخرى . (22) (أنظروا مثلا " **الوضع و المهمّات في حرب المقاومة ضد اليابان بعد سقوط شانغهاي و تاي يوان** " المكتوب في نوفمبر 1937 ؛ م 2 ، ص 92-93)

وحدها البروليتاريا و حزبها الشيوعي ، كما أكّد ماو بصفة متكرّرة و ناضل من أجل ذلك ، إستطاعا أن يقودا مقاومة شاملة لليابان و إستطاعا أن يخوضا النضال إلى بلوغ الإنتصار النهائيّ . وحدها البروليتاريا و حزبها الشيوعي بوسعهما ، في الظروف التاريخيّة الملموسة للصين و الوضع العالمي ، أن يقودا الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة في الصين إلى النصر ، ناهيك عن قيادها قُدما إلى مرحلة الثورة الإشتراكيّة .

أثناء فترة الجبهة المتّحدة ضد اليابان و حرب المقاومة ضد اليابان ، و كذلك أثناء الثورة الصينيّة ككلّ ، لم يؤسّس ماو خطّ و سياسة الحزب الشيوعي على تحليل القوى الطبقيّة داخل الصين و الوضع في البلاد ككلّ فحسب بل أيضا على تحليل الوضع العالمي في ما يتّصل بمختلف المراحل و ما يتّصل بالقوى الطبقيّة المشاركة في الصراع على الصعيد العالمي . و في سبتمبر 1939 ، عندما إندلعت الحرب العالميّة الثانية ، حلّل ماو في الحال طابعها الإمبريالي من الجانبين و أكّد :

" إنّ الحرب التي إندلعت الآن ، أكانت من الجانب الأنجلوفرنسي أم من الجانب الألماني ، حرب غير عادلة ، حرب قرصنة، حرب إمبرياليّة . فيجب على جميع الأحزاب الشيوعيّة و جميع الشعوب في بلدان العالم أن ينهضوا لمعارضة هذه الحرب و أن يفضحوا الطابع الإمبريالي الذى يحمله كلّ من الجانبين المتحاربين ، أي الطابع الذى لا يجلب لشعوب العالم سوى الأضرار من دون أيّة منفعة على الإطلاق ، كما يجب أن يفضحوا تلك الأعمال الإجراميّة التي إرتكبتها الأحزاب الإشتراكية الديمقراطيّة وهي خيانتها لمصالح البروليتاريا بتأييدها الحرب الإمبرياليّة ...لقد شنّت ألمانيا الحرب من أجل نهب الشعب البولندي و من أجل سحق أحد أجنحة الجبهة الإمبرياليّة الأنجلوفرنسيّة . فهذه الحرب من حيث طبيعتها ، حرب إمبرياليّة لا ينبغي العطف عليها بل يجب مناهضتها . " (23) (م 2 ، ص 382-383-385)

و من الناحية الأخرى ، ثابر ماو على التطبيق الصحيح لسياسة إستخدام التناقضات صلب القوى الرجعيّة بما في ذلك بين الكتلتين الإمبرياليّتين المنخرطتين فى الحرب الإمبرياليّة زمنها . و جعل هذا من الممكن أن تتواصل الجبهة المتّحدة مع تشانغ كاي تشاك ، عميل الإمبرياليّة الأمريكيّة و البريطانيّة ، و على قاعدة أوسع وحدة ممكنة لخوض مقاومة العدوان الياباني في الصين دون السقوط في سياسة الوقوف إلى جانب كتلة من الكتلتين الإمبرياليّتين ضد الكتلة الأخرى . و واقع أنّ الطابع العام للحربالعالميّة حينها كان إمبرياليّا لم ينفِ الدور الثوري لحرب مقاومة الأمّة الصنيّة ضد اليابان ، و العكس بالعكس .

الإستقلاليّة و المبادرة صلب الجبهة المتّحدة

و قد كانت مسألة الحفاظ على إستقلاليّة و مبادرة الحزب الشيوعي و القوّات المسلّحة و المناطق المحرّرة تحت قيادته حيويّة للحفاظ على الخطّ الثوريّ في هذا الوضع و الإستيعاب الصحيح و معالجة العلاقةب ين النضال في الصين والنضال العالمي . و دون هذا ، كان الحزب الشيوعي ، بالفعل ، سيقود جماهير الشعب الصينيّ إلى الإلتحاق و الإرتهان بكتلة إمبرياليّة في وضع حرب بين القوى الإمبرياليّة . و بالضبط بالحفاظ على و القتال لأجل المبادرة و الإستقلاليّة ، تمكّن الحزب الشيوعي من أن يواصل الحفاظ الصحيح على الجبهة المتّحدة و من أن يخوض حرب المقاومة ضد اليابان .

و لاحقا ، أدخل الهجوم الألماني على الإتّحاد السوفياتي سنة 1941 تغييرا في الطبيعة العامة للحرب العالميّة الثانية من حرب بين القوى الإمبرياليّة إلى حرب طابعها الأساسيّ و هدفها العام كان الدفاع عن الإشتراكيّة و إنتصار القوى المتحالفة مع الإتّحاد السوفياتي . في تلك الظروف ، إستمرّ ماو في معارضة الخطّ الذى صار أقوى في تلك الفترة ، خطّ ربط الحزب الشيوعي و القوّات المسلّحة و المناطق المحرّرة تحت قيادته بالكيومنتانغ و سادته البريطانيّين و الأمريكان . و إستمرّ في القتال من أجل سياسة الحفاظ على الإستقلاليّة و المبادرة و في النضال من أجل قيادة البروليتاريا في الحرب المناهضة لليابان . و مرّة أخرى ، هذا المنهج الصحيح و هذا الخطّ الصحيح الذى قاد إلى انتصار الشعب الصينيّ في الحرب ضد اليابان و حال دون قطف تشانغ كاي تشاك و أسياده الإمبرياليّين لثمار إنتصار النضال البطولي للشعب الصينيّ .

و كجزء هام من الإستراتيجيا الثوريّة ، عرف ماو كيف يأخذ بعين النظر و يستخدم التناقضات في صفوف المعسكر الرجعيّ بهدف التقدّم بالثورة في كلّ لحظة . لكنّه عرف أيضا و سلّح الناس بفهم الإختلاف بين مثل هذه التناقضات

و التناقض الأساسي بين الشعب و الرجعيّين . فكان هذا حيويّا لكلّ من إنجاز الثورة في مرحلة معيّنة و بناء القوى الثوريّة للجماهير و الإعداد للتقدّم بالثورة إلى المرحلة التالية و في نهاية المطاف إلى الإنتصار الكامل .

الثورة الديمقراطيّة الجديدة

خلال الحرب المناهضة لليابان ، طوّر ماو أكثر نظريّة و إستراتيجيا الديمقراطيّة الجديدة و تطبيقها على الظروف الملموسة في الصين وقتها . **" الثورة الصينيّة و الحزب الشيوعي الصيني "** المكتوب في ديسمبر 1939 ، و **" حول الديمقراطيّة الجديدة "** المكتوب في جانفي 1940 و كلاهما عملان كبيران لتلك الفترة فيهما زاد ماو من تطوير و صياغة خطّ الثورة الديمقراطيّة الجديدة . في **" الثورة الصينيّة و الحزب الشيوعي الصينيّ "** بوجه خاص ، طوّر ماو أكثر التحليل الطبقي الذى أنجزه أوّل ما أنجزه في **" تحليل لطبقات المجتمع الصيني "** سنة 1926 و بوجه خاص طبّق التحليل الطبقي على الوضع حينها و على إصطفاف القوى المتباينة في الصين في الحرب ضد اليابان .

و بعد ذلك ، في العمل نفسه (**" الثورة الصينيّة و الحزب الشيوعي الصيني "**) ، عند عرض طبيعة الثورة الصينيّة ، شرح ماو بصفة شاملة :

" إلى أيّ نوع من الثورات تنتمى الثورة الصينيّة في مرحلتها الحاليّة على وجه التحديد ؟ أهي ثورة ديمقراطيّة برجوازيّة أم ثورة إشتراكيّة بروليتاريّة ؟ من الواضح أنّها ليست من النوع الثاني ، بل من النوع الأوّل ...

بيد أنّ الثورة الديمقراطّة البرجوازيّة الجارية حاليّا في الصين ، ليست ثورة ديمقراطيّة برجوازيّة من الطراز القديم و العام، إذ أنّ هذا الطراز من الثورة قد فات أوانه ، بل هي ثورة ديمقراطيّة برجوازيّة من طراز جديد و خاص . و يأخذ هذا الطراز من الثورة في النهوض حاليّا في الصين و في كافة البلدان المستعمَرَة و شبه المستعمَرَة الأخرى ، و نحن نسمّيه ثورة الديمقراطيّة الجديدة . إنّ ثورة الديمقراطيّة الجديدة هذه جزء من الثورة الإشتراكيّة البروليتاريّة العالميّة ، فهي تناهض بكلّ حزم الإمبرياليّة أي الرأسماليّة الدوليّة . إنّها تسعى ، في المجال السياسيّ ، إلى تحقيق دكتاتوريّة مشتركة لعدّة طبقات ثوريّة على الإمبرياليّين و الخونة والرجعيّين ، و هي تعارض تحويلاالمجتمع الصينيّ إلى مجتمع تمارس البرجوازيّة فيه الدكتاتوريّة. و إنّها تهدف ، في المجال الاقتصادي ، إلى تأميم رؤوس الأموال الضخمة و المشروعات الكبرى التابعة للإمبرياليّين و الخونة و الرجعيّين ، و توزيع الأراضي التي في حوزة ملاّك الأراضى على الفلاّحين ، مع الإبقاء على المشروعات الرأسماليّة الخاصة بصورة عامة ، و عدم إلغاء إقتصاد الفلاّحين الأغنياء . و هكذا و رغم أنّ هذه الثورة الديمقراطيّة من الطراز الجديد هي ، من جهة ، تمهّد السبيل أمام الرأسماليّة ، إلاّ أنّها ، من جهة أخرى ، تخلق أيضا الشروط الأوّليّة للإشتراكيّة . إنّ المرحلة الحاليّة من الثورة الصينيّة هي مرحلة إنتقال بين إنهاء المجتمع المستعمَر و شبه المستعمَر و شبه الإقطاعي و بين إقامة مجتمع إشتراكي ، هي مرحلة ثورة الديمقراطيّة الجديدة . و لم تبدأ هذه المرحلة إلاّ بعد الحرب العالميّة الأولى و ثورة أكتوبر الروسيّة ، و قد بدأت في الصين مع حركة 4 مايو (أيار) 1919 . إنّنا نقصد بثورة الديمقراطيّة الجديدة الثورة المناهضة للإمبرياليّة و الإقطاعيّة التي تخوضها جماهير الشعب الغفيرة بقيادة البروليتاريا . و لا بدّ أن يمرّ المجتمع الصينيّ بهذه الثورة لكي يتقدّم خطوة أخرى إلى الأمام و يصل إلى المجتمع الإشتراكي ، و إلاّ فلن يستطيع الوصول إليه . " (24) (م 2 ، ص 451-452)

وفى ختام هذا العمل ، لخّص ماو تطوّر الثورة الصينيّة على النحو التالي :

" إنّ إنجاز ثورة الصين الديمقراطيّة البرجوازيّة (ثورة الديمقراطيّة الجديدة) ، و الإنتقال منها إلى الثورة الإشتراكيّة عندما تتوفّر جميع الشروط الضروريّة – إنّ هذا ليشكّل كلّ المهمّة الثوريّة المجيدة و العظيمة التي تقع على كاهل الحزب الشيوعي الصيني ... الثورة الديمقراطيّة هي التمهيد اللازم للثورة الإشتراكيّة ، و الثورة الإشتراكيّة هي النتيجة الحتميّة للثورة الديمقراطيّة . و الهدف النهائي لجميع الشيوعيّين هو أن يحقّقوا بكلّ الجهود مجتمعا إشتراكيّا و مجتمعا شيوعيّا تحقيقا كلّيا. و لا يمكننا قيادة الثورة الصينيّة قيادة صحيحة إلاّ إذا فهمنا جيّدا أوجه الخلاف و الروابط على السواء بين الثورة الديمقراطية و الثورة الإشتراكيّة ." (25) (م 2 ، ص 456-457)

القيادة البروليتاريّة المفتاح

ما مثّل الصلة بين الثورتين و الظروف الضروريّة ككلّ من إنتصار الثورة الديمقراطيّة و التقدّم نحو الثورة الإشتراكيّة كان قيادة البروليتاريا . و هذا شيء قاتل ماو من أجله بصفة مستمرّة و قدّم القيادة لبلوغه . كان نقطة أساسيّة شرحها المرّة تلو المرّة بما في ذلك في هذا العمل ، و شرط صارع بصفة متكرّرة و مصمّمة داخل الحزب الشيوعي وخارجه لتحقيق ذلك و تطويره .

و في **" حول الديمقراطيّة الجديدة "** ، حلّل ماو و طوّر الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة في الصين و خطّ الديمقراطيّة الجديدة. و شرح أنّ الديمقراطيّة الجديدة ستكون مرحلة الثورة الصينيّة لفترة معبّرة و أنّها " ستمرّ خلال سيرها بعدّة مراحل بسبب التبدّلات الطارئة على معسكر العدوّ و على صفوف الحلفاء ، بيد أنّ طبيعتها الأساسيّة ستبقى كما هي دون تبدّل . " (26) (م 2 ، ص 480)

و مرّة أخرى ، في هذا العمل ، أعار ماو إهتماما خاصا لتحليل دور البرجوازيّة في الثورة الصينيّة و شرح كيف أنّها تحتلّ مكانة مختلفة في الصراع مقارنة بالبرجوازيّة في روسيا القيصريّة . و مثّل هذا مظهرا هاما كانت فيه الثورة الصينيّة تختلف عن الثورة الروسيّة حتّى و إن وُجدت في الأخيرة مرحلة ثورة ديمقراطيّة برجوازيّة سبقت الثورة البروليتاريّة الإشتراكيّة. و في الآن نفسه ، فسّر ماو نزعة البرجوازيّة الصينيّة إلى إقامة تسوية مع العدوّ و واقع أنّها لم تكن طبقة ثوريّة صراحة في الصين وقتها كما كانت البرجوازيّات في البلدان الرأسماليّة الغربيّة في فترة صعود الرأسماليّة هناك . (27) (م 2 ، ص487)

و مطبّقا هذا على الوضع في الصين زمنها ، أكّد ماو أنّ " من يستطيع اليوم أن يقود الشعب لطرد الإمبرياليّة اليابانيّة و يطبّق السياسة الديمقراطيّة فإنّه منقذ الشعب . و لقد أثبت التاريخ أنّ البرجوازيّة الصينيّة لا تستطيع أن تتحمّل هذه المسؤوليّة التي لا بدّ أن تقع على عاتق البروليتاريا ." (28) (م 2 ، ص 487)

و أسترسل ماو ليشير إلى أنّ " في الصين الحاليّة فإنّ الجبهة المتحدة ضد اليابان هي بالضبط التي تمثّل شكل دولة الديمقراطيّة الجديدة . " (29) (م 2 ، ص 489) و كان هذا منسجما ليس مع التحليل الصحيح للمرحلة الضروريّة من الديمقراطيّة الجديدة عامة فحسب بل كذلك نضال الأمّة الصينيّة ضد اليابان والخونة الصينيّين الذين تواطؤوا مع اليابان . لكن مجدّدا ، في هذه المرحلة الفرعيّة الخاصة من الثورة الصينيّة ، و بصورة أعمّ ، عامة ما أعطى الجبهة المتّحدة طابعها الثوريّ و ما حدّد المرحلة العامة من النضال على أنّها ديمقراطيّة **جديدة** هو ، كما أكّد ماو ، قيادة البروليتاريا و حزبها الشيوعي .

هذا هو الخطّ و هذه هي نظريّة و إستراتيجيا الديمقراطيّة الجديدة ، الذين قادوا البروليتاريا و الجماهير الشعبيّة الصينيّة و الأمّة الصينيّة ككلّ في كسب الإنتصار في حرب المقاومة المناهضة لليابان . و مثّل هذا النصر نهاية مرحلة فرعيّة خاصة ضمن المرحلة العامة للديمقراطيّة الجديدة . و هزيمة اليابان لم تستطع و لا تعنى نهاية الثورة الديمقراطيّة الجديدة في الصين لأنّها لم تمثّل بعدُ الإنتصار التام للشعب الصيني على الإمبرياليّة و عملائها المحلّيين ، خاصة طبقة الملاّكين العقّاريّين و البرجوازيّة الكبيرة (لا سيما الرأسماليّين – البيروقراطيّين الذين دُمجت مراكمة رأسمالهم بموقعهم في الحكم في الدولة و دكتاتوريّة الحزب الواحد للكيومنتانغ).

الحرب الأهليّة ضد الكيومنتانغ

بطبيعة الحال ، مع هزيمة الإمبرياليّة اليابانيّة ، حاول الإمبرياليّون الأمريكان ، إلى جانب و من خلال عميلهم تشانغ كاي تشاك ، أن يقطفوا ثمار هذا النصر . فقاد ماو الحزب الشيوعي الصيني في التفاوض بمهارة مع الكيومنتانغ ، و حتّى مقدّما بعض التنازلات بينما رفض المساومة على المبادئ الأساسيّة – التخلّى عن بعض المناطق المحرّرة لكن رفض التخلّى عن السلاح و تفكيك قوّاته المسلّحة و رفض الإستسلام إلى و رهن نفسه بالإمبرياليّة الأمريكيّة و عملائها الذين يمثّلهم تشانغ كاي تشاك .

كان خطّ الحزب الشيوعي الصيني في ظلّ قيادة ماو ، خلال و مع إنتصار الحرب ضد اليابان ، تحقيق تفكيك دكتاتوريّة تشانغ كاي تشاك للحزب الواحد ، ممثّلة مصالح الإمبرياليّة و الإقطاعيّة و الرأسماليّة – البيروقراطيّة ، و تعويضها بالدكتاتوريّة المشتركة للطبقات الثوريّة في الصين ، بقيادة البروليتاريا . كان ذلك هو شكل سلطة الدولة المناسب لمرحلة الديمقراطيّة الجديدة . وكان الشكل الأساسي للحكم الذى جرت ممارسته في المناطق المحرّرة في ظلّ قيادة الحزب الشيوعي.

لكن تشانغ كاي تشاك ، و من يقف وراءه من الإمبرياليّين ، خاصة الولايات المتّحدة ، رفض القبول بهذا . و لم يواصل الهجوم على الحزب الشيوعي و القوّات المسلّحة و المناطق المحرّرة تحت قيادته طوال كامل الحرب المناهضة لليابان فحسب ، و إنّما بالضبط بعد تحقيق الظفر في تلك الحرب ضد اليابان أقام الإستعدادات و شنّ هجوما شاملا ساعيا إلى فرض حكمه الرجعيّ على الصين بأكملها . إلاّ أنّ النتيجة كانت العكس بالضبط . و بفضل الخطّ الصحيح و قيادة ماو تسى تونغ ، عندما أطلق تشانغ كاي تشاك العنان للحرب الأهليّة ، تمكّن الحزب الشيوعي الصينيّ من فضح قوّات تشانغ كاي تشاك و عزلها التدريجي و هزمها ، لتتوسّع المناطق المحرّرة ، و خلال معركة سنوات ثلاث ، طُرد تشانغ كاي تشاك من الأراضي الأساسيّة و تمّ تحرير تقريبا كامل الصين ، موصلا الثورة الديمقراطيّة الجديدة إلى نهاية مظفّرة و مدشّنا عصر الإشتراكيّة في الصين .

لكن ، مجدّدا ، في الفترة الممتدّة بين هزيمة اليابان و بداية هذه المعركة النهائيّة لإتمام الثورة الديمقراطيّة الجديدة نشب صراع معتبر و شديد في صفوف الحزب الشيوعي الصيني بشأن مسألة ما إذا كان من الممكن أم لا خوض نضال ضد تشانغ كاي تشاك و إلحاق الهزيمة به و الحال أنّه مدعوم من قبل الإمبرياليّة الأمريكيّة . و قاد ماو هذا الصراع في صفوف الحزب الشيوعي الصيني ضد الذين بالغوا في قوّة الإمبرياليّة الأمريكيّة و وضعوا تشديدا كبيرا على القنبلة النوويّة و إعتقدوا أنّها جبّارة و حاسمة و الذين زرعوا الشكّ في قدرة الشعب الصيني و القوّات الثوريّة الصينيّة على خوض حرب تحرير مظفّرة ضد الإمبرياليّة الأمريكيّة و عميلها تشانغ كاي تشاك .

الصراع من أجل الإنتصار الثوري

و كجزء من هذا الصراع الهام و الحيويّ الداخلي في صفوف الحزب ، كتب ماو مقال **" بعض التقديرات حول الوضع الدوليّ الراهن "** في أفريل 1946 و فيه أكّد على أنّه بينما الإتّحاد السوفياتي سيتوصّل بطريقة صحيحة إلى بعض الإتّفاقيّات و التسويات مع البلدان الإمبرياليّة المنتصرة ، خاصة بريطانيا و فرنسا و الولايات المتّحدة ، مع ذلك ، " مثل هذه التسوية لا تتطلّب من شعوب العالم الرأسمالي بأن تقوم بالتالى بتسويات في داخل بلدانها ، إذ أنّ تلك الشعوب سوف تواصل خوض نضالات مختلفة طبقا لظروفها المغايرة ." (30) (م 4 ، ص 108)

لا مجال للشكّ هنا في أنّ ماو كان يفكّر ليس في النضال في البلدان الرأسماليّة ذاتها ، مثل بريطانيا و فرنسا و الولايات المتّحدة فقط بل أيضا في تلك المناطق حيث هذه القوى الإمبرياليّة و الولايات المتّحدة بصفة خاصة ، كانوا يبذلون طاقتهم للحفاظ على الهيمنة الإستعماريّة بشكل أو آخر . و مثلما شرح هامش لهذا المقال لماو تسى تونغ ، صيغت هذه الوثيقة إذ " أظهر بعض الرفاق من جرّاء مبالغتهم في تقدير قوّة الإمبرياليّة و إستصغارهم قوّة الشعوب و خوفهم من الإمبراليّة الأمريكيّة و خشيتهم من نشوب حرب عالميّة جديدة ، ضعفا أمام الهجمات المسلّحة التي شنّتها رجعيّة تشانغ كاي شيك الأمريكيّة ، و لم يجرؤوا على معارضة الحرب المعادية للثورة بالحرب الثوريّة معارضة حازمة . إنّ الرفيق ماو تسي تونغ كافح هذا التفكي الخاطئ في هذه الوثيقة ." (31) (م 4 ، ص107)

و أيضا كان ماو يعارض رأي ستالين الذى نصح وقتها الحزب الشيوعي الصيني بعدخوض صراع شامل من أجل السلطة ضد تشانغ كاي تشاك و بدلا من ذلك السعي إلى الحصول على أفضل إتّفاق ممكن معه حينها . و في هذا الصدد ستالين كذلك بالغ في قوّة الإمبرياليّة الأمريكيّة و إستهان بقوّة الشعب و قد مدّ هذا بالقوّة أولئك داخل الحزب الشيوعي الصيني الذين " لم يجرؤوا على معارضة الحرب المعادية للثورة بالحرب الثوريّة معارضة حازمة " . و ينبغي أن نلاحظ ، مع ذلك ، أنّ ستالين (مثلما سيعلّق هو نفسه لاحقا) كان فرحا لأنّ النضال الثوريّ امظفّرفى الصين أثبت خطأه . و ليس هناك ما يقال من أنّه كان على الشيوعيّين الصينيّين أن يقبلوا بالنصيحة الخاطئة لستالين. أن يفعلوا أو لا يفعلوا أمر مرتبط بخطّهم الخاص، كما تبيّن بنبذ ماو لهذه النصيحة و تجرّئه على قيادة حرب التحرير ضد تشانغ كاي تشاك و الإمبرياليّة الأمريكيّة - و لخوضها تماما إلى تحقيق النصر .

و كان هذا الصراع الإيديولوجي في صفوف الحزب الشيوعي الصيني حاسما في إرساء أسس القيادة الناجحة للجماهير في خوض حرب التحرير و بلوغ النهاية المظفّرة للثورة الديمقراطية الجديدة ، مقيّما مسارها المظفّر و معدّا للمرحلة التالية من الثورة ، لخّص ماو المسألة الحيويّة ، مسألة قيادة البروليتاريا . و أعاد التذكير بكيف أنّه قبلا كان التقدّميّون الصينيّون ييممون شطر الغرب لإنقاذ الصين و أخذوا " العلم الجديد " المستوردة و المتبنّاة من هناك كسلاح ضد الثقافة الإقطاعيّة القديمة في الصين .

" لمدّة طويلة " ، قال ماو ، متحدّثا عن الفترة الممتدّة من أربعينات القرن التاسع عشر إلى بدايت القرن العشرين ،

" ظلّ الذين تعلّموا هذا العلم الجديد مقتنعين ... بأنّ من شأنه أن ينقذ الصين ، و بإستثناء أتباع المدرسة القديم ، قلّما كان أنصار المدرسة الجديدة يشكّون في ذلك . إذن لا يمكن إنقاذ البلاد بغير تحديثها ، و لا سبيل إلى تحديثها سوى التعلّم من البلدان الأجنبيّة . و بين البلدان الأجنبيّة في ذلك العهد ، كانت البلدان الرأسماليّة الغربيّة وحدها تمثّل التقدّم ، إذ أسّست بنجاح دولا برجوازيّة حديثة . و لمّا أحرز اليابانيّون نتائج جيّدة بتعلّمهم من الغرب ، كان الصينيّون يتمنّون أيضا أن يتعلّموا من اليابانيّين ...

إنّ العدوان الإمبريالي حطّم أحلام الصينيّين الذين كانوا يجهدون للتعلّم من الغرب . إنّه لأمر عجيب ، لماذا كان المعلّمون يقترفون العدوان دائما ضد تلاميذهم ؟ إنّ الصينيّين تعلّموا أشياء كثيرة من الغرب و لكنّهم كانوا يصطدمون بالواقع ، مثلهم لم تكن تتحقّق دائما . إنّ نضالاتهم المتكرّرة ، بما فيها الحركة ذات النطاق الوطني كثورة عام 1911 ، إنتهت جميعا بالفشل. و كان وضع البلاد يسوء من يوم إلى يوم و ظروفها تسدّ على الحياة مسالكها . و تولّدت الشكوك و نمت و تطوّرت . إنّ الحرب العالميّة الأولى هزّت الكرة الأرضيّة كلّها . لقد قام الروس بثورة أكتوبر و أنشأوا أوّل دولة إشتراكيّة في العالم . و تحت قيادة لينين و ستالين ، فإنّ الطاقة التي ظلّت كامنة و غير منظورة بالنسبة إلى الأجانب ، تفجّرت فجأة كبركان ، فإذا الصينيّون و البشريّة قاطبة بدأوا ينظرون إلى الروس نظرة جديدة . حينذاك و حينذاك فقط ظهر عهد جديد تماما في تفكير الصينيّين و حياتهم . و لمّا إكتشفوا هذه الحقيقة الشاملة الصحّة ، الماركسية – اللينينيّة أخذ وجه الصين يتغيّر ." (32) (م 4 ، ص 521-522)

و على هذا النحو ، إستخلص ماو ، تمكّنت الصين من الإبحار على الطريق الثوري للديمقراطيّة الجديدة . و على هذا النحو، تمكّنت من التقدّم نحو " جمهوريّة شعبيّة بقيادة الطبقة العاملة " ، و إلى الإشتراكيّة المنقذ الحقيقيّ للشعب الصيني .

المساهمات الفلسفيّة

لم يصغ ماو خطّ الديمقراطيّة الجديدة في إطار الصراع السياسي و لم يقد المعركة على كافة اجبهات لتركيز قيادة البروليتاريا من أجل إنجاز الثورة الديمقراطيّة الجديدة و التقدّم صوب المرحلة الإشتراكيّة و حسب بل قام كذلك بمساهمات هامة في مجال الفلسفة الماركسيّة كجزء ضروريّ من تطوير خطّ الثورة الديمقراطية الجديدة و الدفاع عنه و تطبيقه .

سنة 1937 ، في الفترة الأولى من الجبهة المتّحدة ضد اليابان و الحرب المناهضة لليابان ، ألّف ماو عملين فلسفيّين عميقين هما " **في الممارسة العمليّة** " و " **في التناقض** " . و أسهم هذان العملان إسهاما هائلا في تطوير الفلسفة الماركسيّة عامة. لكن بالأخصّ إستهدفا الكفاح ضد نزعات خاطئة داخل الحزب الشيوعي الصيني وقتها في ما يتّصل بالصراع الدائر : كلاّ من نزعة إنكار الحاجة إلى الجبهة المتّحدة و الإخفاق في الإعتراف بالمرحلة الراهنة للصراع المتميّزة بحرب المقاومة ضد اليابان ، من جهة ، و من الجهة الأخرى ، نزعة إنكار الحاجة إلى الدور القيادي للبروليتاريا في الجبهة المتّحدة ، لربط البروليتاريا و الحزب الشيوعي بالكيومنتانغ و القوى الطبقيّة التي كان يمثّلها و بالتالى الإخفاق في القيام بالتحضيرات في المرحلة الراهنة من الصراع للتقدّم مستقبلا نحو إستكمال الثورة الديمقراطية الجديدة و الشروع في الثورة الإشتراكيّة .

في " **في الممارسة العمليّة** " ، أوضح ماو الأساس الفلسفي بالخصوص لنظريّة المعرفة لكلّ من هذين الخطّين اليميني و " اليساري " :

" بيد أنّه كثيرا ما يحدث أن يتخلّف التفكير عن الواقع ، و السبب في ذلك يعود إلى أنّ معرفة الإنسان مقيّدة بظروف إجتماعيّة عديدة . إنّنا نعارض المتعنّتين في صفوف الثورة ، إذ أنّ تفكيرهم يعجز عن مجاراة تغيّرات الظروف الموضوعيّة فأظهروا أنفسهم تاريخيّا في صورة الإنتهازيّة اليمينيّة . إنّ هؤلاء الناس لا يدركون أنّ صراع التناقضات قد دفع العمليّة

الموضوعيّة إلى الأمام ، فبقيت معرفتهم في مرحلتها القديمة . هذه هي الخاصيّة الملازمة لتفكير جميع المتعنّتين . و بما أنّ تفكيرهم ينفصل عن الممارسة العمليّة الإجتماعيّة ، فلا يمكنهم أن يتقدّموا ليقودوا عجلة المجتمع ، و كلّ ما يمكنهم عمله هو أن يتخلّفوا وراء العجلة متذمّرين من سرعتها الفائقة و محاولينجرّها إلى الوراء أو تحويلها في الإتّجاه المعاكس .

و نحن نعارض كذلك ثرثرة " اليساريّين " الفارغة . إذ أنّ تفكيرهم يتخطّى المرحلة المعيّنة من مراحلتطوّر العمليّة الموضوعيّة ، فيحسب بعضهم الأوهام التي يحملونها كأنّها حقائق ، و آخرون منهم يتكلّفون في الوقت الحاضر تحقيق مثل أعلى لا يمكن أن يتحقّق إلاّ في المستقبل ، منعزلينعن الممارسة العمليّة الراهنة التي تباشرها غالبيّة الناس و عن الواقع الحالي ، و يتجسّد تفكيرهم هذاعمليّا في صورة المغامرة ." (33) (م 1 ، ص 448-449)

سيرورة التطوّر

و أكثر من ذلك ، حلاّل ماو من وجهة نظر فلسفيّة أساس التغيّر في الثورة الديمقراطيّة – البرجوازيّة الصينيّة من الثورة الديمقراطيّة القديمة إلى الثورة الديمقراطيّة الجديدة ،و أساس المراحل الفرعيّة داخل ثورة الديمقراطيّة الجديدة ، و أيضا أساس التقدّم من الديمقراطيّة الجديدة إلى الثورة الإشتراكيّة :

" إنّ التناقض الأساسيّ في عمليّة تطوّر شيء ما ، و جوهر العمليّة يحدّده هذا التناقض الأساسي ، لن يتلاشيا قبل إكتمال العمليّة ؛ لكن الوضع في كلّ مرحلة من مراحل عمليّة التطوّر الطويلة للشيء كثيرا ما يختلف عن وضع مرحلة أخرى . و السبب في ذلك أنّه على الرغم من أنّ طبيعة التناقض الأساسي في عمليّة تطوّر شيء ما و جوهر العمليّة لا يتغيّران ، إلاّ أنّ التناقض الأساسي يتزايد حدّة في المراحل المختلفة من عمليّة التطوّر الطويلة . و فضلا عن ذلك فإنّ بعضا من التناقضات العديدة ، الكبيرة منها و الصغيرة ، التي يحدّدها التناقض الأساسي أو يؤثّر فيها يصبح متزايد الحدّة ،و البعض الآخر يحلّ مؤقّتا أو جزئيّا أو تخفتّ حدّته ، و إنّ تناقضات جديدة تنبثق ، و بنتيجة ذلك تظهر في العمليّة مراحل مختلفة . فإذا لم يعر الناس إنتباها لوجود مراحل مختلفة في عمليّة تطوّر شيء ما فإنّهم لن يستطيعوا معالجة تناقضاته كما يجب ...

و إذا نظرنا إلى عمليّة الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة في الصين ، التي بدأت بثورة 1911 ، وجدنا أيضا مراحل خاصة متعدّدة . فالثورة في فترة قيادة البرجوازيّة لها و الثورة في فترة قيادة البروليتاريا لها تتمايزان على الأخصّ ، كمرحلتين تاريخيّتينمختلفتين إختلافا كبيرا . ذلك أنّ القيادة التي مارستها البروليتاريا غيّرت وجه الثورة بصورة جذريّة ، و أدّت إلى ترتيب جديد في العلاقات الطبقيّة ، و إلى إنطلاق عظيم في ثورة الفلاّحين ، و منحت الثورة الموجّهة ضد الإمبرياليّة و الإقطاعيّة صفة الحزم الذى لا يعرف المهادنة ، و جعلت من الممكن الإنتقال من الثورة الديمقراطيّة إلى الثورة الإشتراكيّة، و هلم جرّا . و ما كان يمكن أن تحدث هذه الأشياء كلّها عندما كانت الثورة بقيادة البرجوازيّة . و على الرغم من أنّه لم يحدث تبدّل في طبيعة التناقض الأساسي في العمليّة كلّها ، أي في طبيعة هذه العمليّة بوصفها ثورة ديمقراطيّة مناهضة للإمبرياليذة و الإقطاعيّة (و نقيضها هو طبيعة البلاد كشبه مستعمَرَة و بلد شبه إقطاعي) ؛ فإنّ العمليّة قد إجتازت مع ذلك مراحل عديدة من التطوّر في مدّة تزيد على عشرين عاما ...

و كانت هذه المراحل تحتوى على أوضاع خاصة ، مثل إشتداد بعض التناقضات (حرب الثورة الزراعيّة و الغزو الياباني للمقاطعات الشماليّة الشرقيّة الأربع مثلا) ، و الحلّ الجزئي أو المؤقّت لتناقضات أخرى (تصفية أمراء الحرب الشماليّين و مصادرتنا للأراضي التي في يد ملاّك الأراضي مثلا) ، و الإنبثاق الجديد لتناقضات أخرى (الصراع بين أمراء الحرب الجدد ، و إستعادة ملاّك الأراضي لأراضيهم بعد أن فقدنا القواعد الثوريّة في الجنوب مثلا). (34) (**" مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة "** ، المجلّد الأوّل ، الصفحة 472-473-474؛ باللغة العربيّة ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1977)

و كما تمّت ملاحظة ذلك قبلا ، لعملي **" في الممارسة العمليّة "** و **" في التناقض "** تطبيق دائم و عام و قد أثريا إثراء عظيما الفلسفة الماركسيّة ، كانت أهمّيتهما خاصة و حيويّة في الثورة الصينيّةفى تلك المرحلة الخاصة من إرساء أساس التقدّم من الحرب المناهضة لليابان إلى إستككمال الثورة الديمقراطيّة في الصين على قاعدة جديدة و التقدّم على هذا النحو بإتّجاه الإشتراكيّة . و كما لاحظنا في بداية هذا الفصل ، إنتصار الثورة الديمقراطيّة الجديدة في الصين و تقدّم الصين نحو الإشتراكيّة كان يمثّل قفزة كبرى إلى الأمام ليس بالنسبة إلى الشعب الصينيّ و حسب و إنّما أيضا لشعوب العالم قاطبة في نضالها ضد الإمبرياليّة و الرجعيّة و في سبيل الإشتراكيّة و في نهاية المطاف الشيوعيّة . و قد أحدث ذلك تغيّرات عميقة

ليس في الصين فقط بل في كامل الوضع العالمي و في الصراع الطبقيّ عالميّا . و مثلما جاء في تلخيص بتصريح للأجهزة القياديّة للحزب الصيني و الدولة الصينيّة عند وفاة ماو تسى تونغ :

" أثناء فترة الثورة الديمقراطيّة الجديدة ، بإبداع رسم الرئيس ماو وفق الحقيقة العالميّة للماركسيّة – اللينينيّة و بمزجها مع الممارسة العملية للثورة الصينيّة ، الخطّ العام و السياسات العامة للثورة الديمقراطيّة الجديدة ، و أسّس جيش التحرير الشعبيّ الصيني و أشار إلى أنّ إفتكاك السلطة السياسيّة بالقوّة المسلّحة في الصين لا يمكن تحقيقه إلاّ بإتّباع طريق بناء قواعد إرتكاز ريفيّة ، و إستخدام الريف لمحاصرة المدن و في النهاية الإستيلاء على المدن ، و ليس أيّ طريق آخر . و قاد حزبنا و جيشنا و شعب بلادنا في إستعمال حرب الشعب للإطاحة بالحكم الرجعيّ للإمبرياليّة و الإقطاعيّة و الرأسماليّة – البيروقراطيّة ، محقّقا إنتصارا عظيما للثورة الديمقراطيّة الجديدة و مؤسّسا جمهوريّة الصين الشعبيّة . إنّ إنتصار الثورة الشعبيّة الصينيّة بقيادة الرئيس ماو قد غيّرت الوضع في الشرق و في العالم و أنارت طريقا جديدا في قضيّة تحرير الأمم المضطهَدَة و الشعوب المضطهَدَة ." (35) (بالأنجليزيّة ، " **مجلّة بيكين** " عدد 38 ، 1976 ؛ 13 سبتمبر 1976 ، ص 7-8)

<u>الدفاع عن الأمميّة البروليتاريّة</u>

كبلد إشتراكي ، جمهوريّة الصين الشعبيّة ، و كذلك الحزب الشيوعي الصيني في ظلّ قيادة ماو تسى تونغ ، واصلا دعم النضالات الثوريّة لشعوب العالم بما فيها نضالات التحرّر الوطني لشعوب البلدان المستعمَرَة .

و بالكاد أحرزت تحرّرها الخاص ، إتّحدت الصين مع الشعب الكوري في الحرب ضد عدوان الولايات المتّحدة في بدايات خمسينات القرن العشرين . و في الآن نفسه ، ساندت الصين نضالات شعوب الهند الصينيّة و شعوب مناطق أخرى ضد الإمبرياليّة و الرجعيّة . و زيادة على ذلك ، أواسط و أواخر خمسينات القرن العشرين و بعد ذلك ، مع تفسّخ الحزب السوفياتي و تحوّله إلى حزب تحريفي و خيانة خروتشاف و بريجناف و آخرين ، و إعادة تركيز الرأسماليّة فى الإتّحاد السوفياتي ، خاض الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو تسى تونغ صراعا حيويّا ضد الطبقة البرجوازيّة السوفياتيّة الحاكمة بما فى ذلك صراعا إيديولوجيّا نشيطا لفضح و تعرية و قتال الماركسيّة المزيّفة و خيانة هؤلاء التحريفيّين السوفيات المعادية للثورة .

و من أهمّ محاور هذا الصراع كان مسألة مساندة أو عدم مساندة الحركات الثوريّة لشعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة، التي تحوّلت إلى إعصار قويّ ضد الإمبرياليّة إثر الحرب العالميّة الثانية . و كان مقال " **مدافعون عن الحكم الإستعماري الجديد** " مقالا هاما كتبه الحزب الشيوعي الصيني في سياق جداله ضد التحريفيّين السوفيات بشأن هذه المسألة الحيويّة .

كُتب هذا المقال سنة 1963 عندما كان التحريفيّون السوفيات منغمسين كلّ الإنغماس في سيرورة إعادة تركيز شاملة للرأسماليّة في الإتّحاد السوفياتي و كانت علاقتهم العامة بالإمبرياليّة الأمريكيّة حينها تتميّز بالإستسلام لها و التعاون معها. و مع ذلك " **مدافعون عن الحكم الإستعماري الجديد** " أرسى أسس تحليل و مبادئ أساسيّة تكتسى أهمّية كبرى و صلوحيّة كبرى اليوم في وضع حيث جدّت تغيّرات لها دلالتها في العام ، حيث محلّ النزاع كمظهر رئيسيّ للعلاقة بين الإتّحاد السوفياتي و الولايات المتّحدة حلّ التوافق و حيث لم تعد الإمبرياليّة الأمريكيّة وحدها أكبر مستغلّ و مضطهِد في العالم و معقلا للإستعمار . و اليوم القوّتـان الأعظم ، و كلاهما تمارسان الإستعمار الجديد ، هما العدوّان الساسيّان لشعوب العالم و يجب عامة أن تكونا هدف نضالات التحرّر الوطني في آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة .

و في ذلك المقال ، بيّن الحزب الشيوعي الصيني بدقّة في ما يتّصل بنضالات آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة :

" إنّ أحد الخطوط الفاصلة الهامّة بين الماركسيّين اللينينيّين من جانب و المحرّفين المعاصرين من الجانب الآخر هو الموقف الذى يتّخذه كلّ من الجانبين تجاه هذه القضيّة التى أصبحت فى أقصى درجات الحدّة فى السياسة العالميّة المعاصرة . إنّ الماركسيين اللينينيين يقفون بحزم إلى جانب الأمم المضطهّدة ، و يؤيّدون حركة التحرّر الوطني تأييدا نشيطا . أمّا المحرّفون المعاصرون فهم يقفون فى الواقع مع المستعمِرين و الحكّام الإستعماريّين و ينكرون و يقاومون حركة التحرّر الوطني بكلّ وسيلة ممكنة ." (36)

(باللغة العربيّة ، " **مدافعون عن الحكم الإستعماري الجديد" ؛ صحيفة " جينمينجباو " و مجلّة " العلم الأحمر" – 22 أكتوبر 1963 ؛ طبع فى جمهورية الصين الشعبية – دار النشر باللغات الأجنبية ، بيكين 1963 + الفصل الرابع من كتاب**

شادي الشماوي،" نضال الحزب الشيوعي الصيني ضد التحريفيّة السوفياتية 1956 - 1963 : تحليل و وثائق تاريخية"؛ مكتبة الحوار المتمدّن ، ص 95)

الموقف من الحركات الثوريّة

حاول التحريفيّون السوفيات أن يخرّبوا و عمليّا أن يقمعوا حركات الشعوب الثوريّة في البلدان المستعمَرَة و ذلك لأنّهم كانوا يخشون ، و هم محقّون في ذلك ، أن تشوّش هذه الحركات على تعاونهم مع إمبرياليّو الولايات المتّحدة و محاولاتهم للظهور كقوّة عظمى . فإدّعى خروتشاف و زمرته أنّ النظام الإستعماري كان قاب قوسين أو أدنى من الإضمحلال في آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة و أنّه لم يعد هناك أيّ نضال جماهيري ثوري له دلالة يُخاض من أجل التحرّر الوطني في هذه المناطق. و بالفعل ، كان خروتشاف يعتبر مثل هذه النضالات في منتهى الخطورة .

و في إطار الردّ على ذلك ، أشار الحزب الشيوعي الصيني إلى أنّ :

" إنّ الحقائق واضحة . و لم يتخلّ المستعمِرون ، بعد الحرب العالميّة الثانية ، عن الحكم الإستعماري بكلّ تأكيد ، و لكنّهم فقط تبنّوا شكلا جديدا هو الحكم الإستعماري الجديد . إنّ إحدى المميّزات الهامّة لمثل هذا الحكم الإستعماري الجديد هي أن المستعمِرين قد أجبروا على تغيير أسلوبهم القديم – أسلوب الحكم الإستعماري المباشر فى بعض المناطق و إتباع أسلوب جديد فى الحكم و الإستغلال الإستعماريين بالإعتماد على العملاء الذين إختاروهم و درّبوهم لهذا الغرض . إنّ المستعمِرين برئاسة الولايات المتحدة يسيطرون أو يستعبدون البلدان المستعمَرة و البلدان التى أعلنت إستقلالها و ذلك عن طريق تنظيم الكتل العسكرية ، وإنشاء القواعد العسكرية ، و إقامة " الإتحادات " أو " المجموعات " و تدعيم الأنظمة القرقوزية . كما أنّهم ، عن طريق " المعونة " الإقتصادية او الأشكال الأخرى ، يبقون هذه البلدان أسواقا لبضائعهم ، و مصادر المواد الأولية ، و منافذ لتصدير رؤوس أموالهم كما ينهبون ثرواتها و يمتصّون دماء شعوبها . و بالإضافة لذلك يستخدمون الأمم المتّحدة كأداة هامة للتدخّل فى الشؤون الداخليّة لمثل هذه البلدان و لممارسة العدوان العسكري و الإقتصادي و الثقافي عليها. و عندما يعجزون عن مواصلة حكمهم لهذه البلدان بالوسائل " السلميّة " يلجأون إلى تدبير الإنقلابات العسكرية . و يقومون بالأعمال الهدّامة إلى حدّ اللجوء إلى التدخّل و العدوان المسلّحين المباشرين ...

إنّ الحكم الإستعماري الجديد هو حكم إستعماري أشدّ وبالا و شرّا . " (37) (مصدر سابق ، ص 97)

و فضح الحزب الشيوعي الصيني تمام الفضح إفلاس القادة التحريفيّين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي بصدد هذه القضايا الحيويّة . و نبّه إلى :

" لقد إبتكر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ايضا " النظرية " التى تقول بأنّ حركة التحرّر الوطني قد دخلت " مرحلة جديدة " محورها المهمّات الإقتصادية . و حجّتهم هي أنّه بينما " كان النضال فى السابق أساسا فى المجال السياسي " أصبحت القضية الإقتصادية اليوم " المهمّة المركزيّة " و " الحلقة الأساسيّة فى دفع تطوّر الثورة "...

إنّ المهمّة الأوّلية و الملحّة التى تواجه هذه البلدان لا تزال هي دفع تطوير النضال ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري القديم و الجديد و عملائهم . و لا يزال هذا النضال جاريا بعنف فى الميادين السياسيّة و الإقتصاديّة و العسكريّة و الثقافيّة و الإيديولوجيّة و غيرها . و لا تزال النضالات فى هذه الميادين تجد أقوى تعبير لها فى النضال السياسي ، الذى كثيرا ما يتطوّر لا محالة إلى نضال مسلّح عندما يلجأ المستعمِرون إلى القمع المسلّح المباشر أو غير المباشر . من المهمّ جدّا للبلدان المستقلّة حديثا أن تطوّر إقتصادها المستقلّ و لكن يجب ألاّ يفصل هذا الواجب أبدا عن النضال ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري القديم و الجديد و عملائهم .

إنّ نظرية " المرحلة الجديدة " هذه التى يدافع عنها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، مثل نظرية " إختفاء الحكم الإستعماري " التى يروّجونها ، يقصد بها بوضوح تبييض النهب والعدوان اللذين يباشرهما الحكم الإستعماري الجديد المتمثّل بالولايات المتحدة فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ، و ستر التناقضات الحادة بين الإستعمار و الأمم المضطهَدة ، و شلّ النضال الثوري لشعوب القارات .

و وفقا لنظريّتهم هذه ، فإنّ الكفاح ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري القديم و الجديد و عملائهم ، لم يعد بالطبع ضروريّا، لأنّ الحكم الإستعماري أخذ يختفي و أصبح التطوّر الإقتصادي الواجب الرئيسي لحركة التحرّر الوطني . و إذا إتّبع المرء هذا المنطق ألا يصل إلى نتيجة أنّه يمكن الإستغناء تماما عن حركة التحرّر الوطني ؟ "

" و هناك فكرة طالما دعا لها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مرارا وهي أنّه بوسع قطر ما أن يبني الإشتراكية تحت أي قيادة كان نوعها حتّى إذا كانت تشتمل على قومي و رجعي كنهرو . وهذا أمر بعيد كلّ البعد عن فكرة القيادة البروليتارية."

(38) (مصدر سابق ، ص 98 + 104)

تواصل الحاجة إلى القيادة البروليتاريّة

و هذا لم يعن طبعا أنّ الصين لم تدعم بلدانا في آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة حتّى تلك التي كانت تحت قيادة أمثال نهرو و آخرين ، في مقاومتهم للهيمنة الإمبرياليّة . ساندت الصين هذه المقاومة بعدّة طرق و شجّعت تعزيز مثل هذه المقاومة . لكن ما يقع التشديد عليه هو أنّ مثل هذه المقاومة لا يمكن أن تعوّض و بالتأكيد لا يمكن أن تُرفع فوق النضال الثوري للجماهير و الحاجة إلى البروليتاريا و حزبها الشيوعي لقيادة حركة التحرّر الوطني نحو الإنتصار الكامل و تاليا يقود الجماهير في بناء الإشتراكية .

و أعاد الحزب الشيوعي الصيني تأكيد المبدأ الغاية في الأهمّية ألا وهو مبدأ العلاقة بين نضالات التحرّر الوطني في البلدان المستعمَرَة و نضالات البروليتاريا في البلدان الرأسماليّة المتقدّمة ،وحدتها المشتركة في القتال ضد الإمبرياليّة و من أجل الهدف النهائيّ للإشتراكيّة ، و في النهاية الشيوعيّة :

" لا يستطيع أحد أن ينكر أن وضعا ثوريّا مؤاتيا للغاية موجود اليوم فى آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينية . إنّ ثورات التحرّر الوطني فى آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينية اليوم هي أهمّ القوى التى تكيل ضربات مباشرة للإستعمار . كما أنّ التناقضات فى العالم تتركّز فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية .

إنّ مركز التناقضات العالميّة و النضالات السياسية العالميّة ليس ثابتا بل يتنقّل مع التغيّرات فى النضالات العالميّة و الوضع الثوري . و نحن نعتقد أنّه مع تطوّر التناقض و النضال بين البروليتاريا و البرجوازية فى أوروربا الغربية و أميركا الشمالية - معاقل الرأسمالية و مواطن قلب الإستعمار، سيحين اليوم الحاسم فى المعركة . وعندما يحلّ ذلك اليوم ستصبح أوروبا الغربيّة و أميركا الشماليّة بدون شكّ مركز النضالات السياسية العالميّة و التناقضات العالميّة . " (39) (مصدر سابق ، ص 102)

و ملتزما و مدافعا بصلابة عن الأمميّة البروليتاريّة عارض الحزب الشيوعي الصيني و عارضت جمهوريّة الصين الشعبيّة في ظلّ قيادة ماو تسى تونغ ، عارضا موقف الحكّام التحريفيّين في الإتّحاد السوفياتي مشيرين إلى واجبات و مسؤوليّات البروليتاريا و حزبها الشيوعي في السلطة في البلدان الإشتراكيّة :

" فوفقا للماركسية اللينينية و الأممية البروليتارية ، يجب على كلّ قطر إشتراكي أحرز النصر فى ثورته أن يؤيد ويساعد بنشاط نضالات التحرّر التى تخوضها الأمم المضطهَدة . كما يجب على الأقطار الإشتراكيّة أن تغدو قواعدا لتأييد و تطوير ثورة الأمم و الشعوب المضطهَدة فى جميع أنحاء العالم ، و أن تشكّل أوثق تحالف معها و تسير بالثورة البروليتارية العالمية قدما حتى النهاية .

و لكن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعتبرون فعلا أن إنتصار الإشتراكية فى قطر واحد أو عدّة أقطار هو نهاية للثورة البروليتارية العالمية . إنّهم يريدون أن يخضعوا ثورة التحرّر الوطني لخطّهم العام للتعايش السلمي ، و المصالح القوميّة لبلادهم نفسها . " (40) (مصدر سابق ، ص 105)

حينذاك و في ما تلاه من السنوات ، واصل ماو قيادة الحزب الشيوعي الصيني و الشعب الصيني في تقديم الدعم لنضالات الشعوب في مختلف أنحاء العالم ، لا سيما في بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكااللاتينيّة بما أنّ هذه المناطق غدت مركز تناقضات النظام الإمبريالي العالمي و مركز إعصار الحركة الثوريّة في العالم . و طوال ستّينات القرن العشرين ، أصدر ماو عدّة تصريحات في لحظات حيويّة دعما لنضالات مفاتيح في العالم ، خاصة في تلك المناطق ، عبّرت عن مساندة الشعب الصيني

و دعت الشعوب الثوريذة و الجماهير العريضة في كافة البلدان إلى الوقوف إلى جانب هذه النضالات . حينها ، في 1970، في أوج العدوان الأمريكي في الهند الصينيّة ، أصدر ماو تصريحا آخر مساندا لشعوب الهند الصينيّة و كذلك شعوب العالم قاطبة و خاصة شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة ، في نضالها ضد الإمبرياليّة الأمريكيّة و كلابها السائبة . في تلك الفترة و بعدها ، حذّر ماو كذلك بصفة متصاعدة شعوب العالم من الطبيعة الرجعيّة للإمبرياليّة الإشتراكيّة السوفياتيّة و دورها بما في ذلك تشديد بذل الجهود لإختراق و تخريب الحركات الثوريّة التي تعادى الإمبرياليّة الأمريكية و تحويلها إلى أدوات في نزاعها (الإمبرياليّة الإشتراكيّة) المتنامى مع الإمبرياليّة الأمريكيّة .

أمميّ عظيم

بمعزل عن التغيّرات الخاصة في الوضع ، ما فتأ ماو تسى تونغ يقاتل من أجل موقف و خطّ أساسيّين لدعم النضالات الثوريّة لشعوب كافة البلدان بما فيها حركات التحرّر الوطنيّ في آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة ، و قتال التخريب التحريفيّ لهذا النضال ، و ذلك إلى آخر نفس في حياته . و من كلّ هذا يمكن أن نلمس أنّ الدور العظيم لماو تسى تونغ في علاقة بالثورة في البلدان المستعمَرَة يكمن أوّلا في تطوير نظريّة و إستراتيجيا التقدّم من خلال الثورة الديمقراطيّة – البرجوازيّة نحو الثورة الإشتراكيّة في مثل هذه البلدان ، و تاليا في عدم الكفّ عن تقديم الدعم للنضالات الثوريّة لشعوب العالم بما في ذلك ، و كجزء حيويّ من ذلك ، تقديم المساعدة لنضال الشعوب في البلدان المستعمَرَة ، إيديولوجيّا و سياسيّا و عمليّا .

و اليوم ، رغم أنّ الوضع في مختلف بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة متباين و رغم أنّ الظروف الملموسة يمكن أن تختلف ببعض الطرق عن تلك خلال الثورة الديمقراطيّة الجديدة الصينيّة ، فإنّ النظريّة و الإستراتيجيا و الخطّ و القيادة الأساسيّين الذين تقدّم بهم ماو تسى تونغ لهذه الثورات في هذه البلدان تمثّل مساهمة عظيمة حقّا و خالدة من مساهمات ماو في الماركسيّة – اللينينيّة و النضال الثوري بإتّجاه الهدف الأسمى ، الشيوعيّة عبر العالم .

الفصل الثاني

الحرب الثوريّة و الخطّ العسكريّ

مقدّمة : الفصل الأوّل الذى تناول بالبحث تطوير ماو تسى تونغ لخطّ الثورة في البلدان المستعمَرة و بصفة خاصة نظريّة و إستراتيجية ثورة الديمقراطيّة الجديدة و أشار إلى أنّ مساهمات ماو في ذلك المجال كانت وثيقة الإرتباط بتلك التي جدّت في حقل الحرب و الإستراتيجية العسكريّة . و يتطرّق هذا الفصل إلى تطوير ماو لخطّ حرب الشعب / الحرب الشعبيّة في الصين و مساهماته العامة في الخطّ الماركسي العسكريّ و النظريّ و الإستراتيجيّ .

أساس الخطّ العسكريّ لماو و مبادئه الجوهريّة

عند صياغة خطّ ثوريّ بشأن الحرب و الإستراتيجية و النظريّة العسكريّة الماركسيّة ، لخّص ماو و تعلّم من المساهمات و الكتابات في هذا الموضوع من لدن كلّ القادة الثوريّين الماركسيّين و من الأعمال المتنوّعة لغيرهم من الكتّاب و المثقّفين، في كلّ من الصين و سواها من البلدان . و كانت الصين نفسها بآلاف السنوات من التاريخ و التمرّدات المتكرّرة للجماهير و الحروب الثوريّة تزخر بتجارب الحرب القديمة منها و الأكثر حداثة . و كذلك في فترة وجيزة من ظهورها على مسرح التاريخ ، إنخرطت البروليتاريا في عدد من البلدان في حروب ثوريّة أحيانا سويّة مع و حتّى تحت قيادة طبقات أخرى بما فيها البرجوازيّة ، ضد الإقطاعيّة و الأنظمة المُلكيّة الرجعيّة و قوى أخرى تشدّ إلى الوراء تطوّر الرأسماليّة ، و أحيانا كقوّة قتاليّة مستقلّة إلى جانب جماهير مضطَهَدَة أخرى للإفتكاك السلطة و إرساء دولة عمّال .

من البداية ، أعار قادة حركة العمّال الطبقيّة الواعية إنتباها هاما لمسألة النضال المسلّح و دور العنف الثوريّ في التقدّم بالمجتمع من مرحلة تاريخيّة إلى مرحلة أخرى ، خاصة من الرأسماليّة إلى الإشتراكيّة و في نهاية المطاف الشيوعيّة . و تابع ماركس و إنجلز عن كثب و كتبا مطوّلا عن مثل هذه الأحداث التاريخيّة كالحرب الأهليّة في الولايات المتّحدة و كذلك حروب تقدّميّة متنوعة في أوروبا و في غيرها من الأماكن . و بوجه خاص ، تابعا عن كثب و قدّما النصح لتمرّد العمّال في باريس الذى ركّز أوّل حكومة عمّاليّة و إن لم تعمّر طويلا سنة 1871 ، أثناء كمونة باريس . و قد ركّزا بصلابة المبدأ الماركسيّ الأساسيّ أنّ إلغاء الرأسماليّة يتطلّب كخطوة أولى الإطاحة بالقوّة بالدولة الرأسماليّة و بالطبقة الرأسماليّة و العناصر الرأسماليّة لأجل التقدّم نحو المجتمع الخالى من الطبقات ، المجتمع الشيوعيّ .

في أعمال مثل " مقدّمته " لكتاب ماركس ، " **الصراع الطبقي في فرنسا ، 1848-1850** " و في كتابه الشهير " **ضد دوهرينغ** " و في غيرهما من الأعمال ، لخّص إنجلز التطوّرات الحديثة في التسلّح و تطوّرات أخرى أفرزت التغيّرات الضروريّة في إستراتيجية و تكتيك حرب حديثة . و إستخلص الدروس السياسيّة من ذلك و تطبيقها على مسألة التمرّد المسلّح للطبقة العاملة ضد حكم رأس المال .

و لينين في بداية ثورة روسيا سنة 1905 التي وصفها لاحقا ب" تمرين " على الإستيلاء الناجح على السلطة في 1917 ، أولى إنتباها لمسألة تكتيكات قتال الشوارع و الإنتفاضة المسلّحة التي يجب أن تتطوّر لمواجهة القوّة العسكريّة للقيصر . و في خضمّ قيادة الإنتفاضة الناجحة في روسيا في أكتوبر 1917 ، طوّر لينين و ستالين نظريّة و ممارسة متّصلة بالإنتفاضة و الحرب في بلد رأسمالي – و إن كان بلدا له مظاهر متخلّفة كبقايا الإقطاعيّة على نطاق واسع و ظروف ريفه متخلّفة . و طوّر لينين و ستالين أكثر النظريّة الماركسيّة و إستراتيجية و تكتيك الحرب الثوريّة ، خاصة في الحرب التي تبعت الإنتفاضة المظفّرة في أكتوبر 1917 . ففي هذه الحرب ، ألحق العمّال و الفلاّحون الروس ، بقيادة الحزب البلشفيّ و لينين و ستالين ، ألحقوا الهزيمة ليس بالرأسماليّن و الملاّكين العقّاريّين في روسيا الذين أطاحوا بهما فحسب بل كذلك بأربعة عشر قوّة رجعيّة تدخّلت إلى جانب الثورة المضادة .

و طبعا ، إبّان الحرب العالمية الثانية ، إبّان الحرب الوطنيّة الكبرى للإتّحاد السوفياتي التي آلت إلى هزيمة النازيّين الألمان، قاد ستالين بإمتياز الجيش الأحمر السوفياتيّ و الشعب السوفياتيّ ككلّ في خوض الحرب الثوريّة لهزم الغزو و الحرب العدوانيّة للنازيّين ، أضحى ذلك نقطة إنعطاف و عاملا حيويّا في مسار الحرب و هزم المحور الفاشيّ . في خلال ذلك ، قدّم ستالين مساهمات عظيمة في الحركة الثوريّة عالميّا و في الإستراتيجية الشيوعيّة و تكتيكات الحرب و تطبيقاتها الملموسة.

أوّل خطّ عسكريّ ماركسيّ شامل

لكن كان ماو تسى تونغ هو الأوّل ضمن القادة الكبار في تطوير خطّ عسكريّ ماركسيّ و نظام فكريّ شاملين و كاملين حول القضايا العسكريّة . لأكثر من 20 سنة ، قاد ماو تسى تونغ الحرب الشيوعي الصيني و الشعب الصيني و القوّات المسلّحة تحت قيادة الحزب الشيوعي في خوض الحرب الثوريّة ضد أمراء الحرب و ضد النظام الرجعيّ لتشانغ كايتشاك / تشيانغ كاي شيك ، ثمّ في الجبهة المتّحدة ضد اليابان في الحرب المناهضة لليابان ، و في النهاية في حرب التحرير ضد تشانغ كايتشاك و داعميه الأمريكان ما أدّى إلى تحرير الصين سنة 1949 .

وقد إرتبط تطوير ماو للماركسيّة - اللينينيّة في ما يتّصل بالحرب وثيق الإرتباط بطبيعة الثورة الصينيّة لأنّ الثورة ، كما تمّ شرح ذلك في الفصل السابق ، كانت من البداية ثورة مسلّحة تقاتل الثورة المضادة المسلّحة في الصين . و كان هذا في آن معا مظهرا خاصا و ميزة خاصة للثورة الصينيّة .

بكلمات أخرى، كما أشار ماو و ناضل من أجل ذلك ، من البداية ، كانت الحرب الشكل الأساسيّ للحركة الثوريّة في الصين. و لم يرسى ماو هذه الحقيقة كمبدأ أساسيّ للحزب إلاّ من خلال الصراع الشرس ضد الإنتهازيّين اليمينيّين في صفوف الحزب في المراحل الأولى من الثورة الصينيّة . و في سياق قيادة النضال المسلّح أثناء مختلف مراحل الثورة التي طوّرها ماو تماما إلى خطّ عسكريّ ماركسيّ و إستراتيجية و منظومة فكريّة حول القضايا العسكريّة التي أرشدت الثورة الصينيّة نحو النصر التام ، قام بمساهمات دائمة في الإثراء الكبير للماركسيّة – اللينينيّة بخصوص الحرب . و كما قال ماو نفسه ، بالنسبة إليه و إلى الحزب الشيوعي و الجماهير الصينيّة الذين كان يقودهما ، كانت المسألة مسألة تعلّم الحرب خلال خوض الحرب .

و في الوقت نفسه ، كما مرّ بنا سابقا ، درس ماو و إستوعب الدروس الثرية للحرب ، خاصة الحروب التقدّميّة في الصين و في غيرها من البلدان ، و تفكير و تحليل القادة الثوريّين لا سيما القادة الماركسيّين في ما يتّصل بالحرب . و فضلا عن ذلك ، طبّق ماو بإقتدار الماديّة الجدليّة على مسألة الحرب و طوّر الإستراتيجيا الثوريّة للحرب في الصين عبر المراحل المختلفة للثورة الصينيّة . و بالتالى ، أعمال ماو العسكريّة بنك كنوز ثريّ ليس للفكر الماركسي حول مسألة الحرب بل كذلك حول تطبيق المبادئ الأساسيّة للماركسيّة و بالأخصّ الفلسفة الماركسيّة .

كان الخطّ العسكريّ لماو متجذّرا في الواقع الأساسيّ بأنّ الحرب الثوريّة ترتهن بالجماهير الشعبيّة و لا يمكن أن تنجح إلاّ على أساس تمتّعها بمساندتها و إشراكها بنشاط في النضال ضد القوى المضادة للثورة . بكلمات أخرى ، كما قال ماو ، حرب الشعب هي حرب الجماهير . و هذا تطبيق هام ليس فقط في بلدان كالصين و إنّما عالميّا على النضال الثوري في كلّ البلدان . و في حين طوّرت التكتيكات العسكريّة لماو ذات الصلة و الأهمّية الخاصة لبلدان كالصين خلال فترة الثورة الديمقراطية ، يمكن للمبادئ الأساسيّة للخطّ العسكريّ لماو أن تطبّق عامة على الحرب الثوريّة في كلّ البلدان .

من البداية ، و فى مسار الثورة ، قاتل ماو من أجل بعض المبادئ الأساسيّة و طوّرها أكثر و صاغها . و من أهمّ هذه المبادئ مبدأ أنّ الحزب يجب أن يوجّه البندقيّة و ليس العكس – بمعنى ، يجب على الحزب أن يقود القوّات المسلّحة الثوريّة و النضال المسلّح ، و لا يجب أن يُسمح للجيش أبدا أن يُصبح في الآن نفسه القوّة السياسيّة القياديّة للثورة أو قوّة مستقلّة عن القيادة السياسيّة للحزب ؛ و في إرتباط بهذا ، مبدأ أنّ الناس و ليست الأسلحة هم المحدّدون في الحرب ؛ و حقيقة أساسيّة هي أنّ ماو صارع من أجل ذلك و دافع عنه و طوّره في تعارض مع إنتهازيّة التحريفيّين القدماء منهم و الجدد ، من برنشتاين و كاوتسكى إلى خروتشاف و ما شاكل في الصين ذاتها .

و إضافة إلى ذلك ، طوّر ماو التوجّه الأساسي الذى من الممكن تطبيقه فى الأمم المضطهَدَة و البلدان الإشتراكيّة التي تتعرّض إلى العدوان الإمبريالي ، و أكثر من ذلك على القوى المسلّحة الثوريّة التي تنطلق صغيرة الحجم أو ضعيفة مقارنة بخصمها – توجّه الإنطلاق أوّلا من الدفاع الإستراتيجي و خوض حرب بحيث يتمّ الإعداد و في النهاية المرور إلى الهجوم الإستراتيجي و على ذلك الأساس المضيّ بالحرب إلى الإنتصار .

في تطوير خطّه حول الحرب الثوريّة ، إستند ماو على و أكّد تأكيدا قويّا على التحليل الماركسي الأساسي لمسألة الحرب . مثلا ، في **" قضايا الإستراتيجية في الحرب الثوريّة الصينيّة "** المؤلّف في ديسمبر 1936 ، أشار ماو إلى :

" إنّ الحرب التي ظهرت مع ظهور الممتلكات الخاصة و الطبقات ، هي أعلى أشكال الصراع لحلّ التناقضات التي تكون قد تطوّرت إلى مرحلة معيّنة ، بين الطبقات ، و الأمم ، و الدول ، و الجماعات السياسيّة ." [ص 61 من **" مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ "** ، باللغة العربيّة ، مكتبة الحوار المتمدّن ، نسخ و تقديم و ملحق لشادي الشماوي + صفحة 264 ، المجلّد الأوّل من **" مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة "** ، باللغة العربيّة ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين]

و أوضح أنّ هدف البروليتاريا من خوض الحرب هو إلحاق الهزيمة بالإمبرياليّة و الرجعيّة و التقدّم بالمجتمع بإتّجاه مرحلة الشيوعيّة حيث ستلغى في نهاية المطاف الحرب مع إلغاء الطبقات . و بيّن بحيويّة أنّه من الضروريّ خوض حرب للقضاء على الحرب ، كما وضع ذلك بشكل تخطيطيّ ، في سبيل القضاء على البنادق يجب علينا أن نحمل البنادق . فكان ذلك دحضا لاذعا للنفايات التحريفيّة و البرجوازية الأخرى التي تنادى بالسلبيّة و السلم لتعدّ لمذابح الرجعيّين و توقف النضال الثوريّ .

و فضلا عن ذلك ، في **" قضايا الحرب و الإستراتيجية "** المكتوب في نوفمبر 1938 ، أفصح ماو عن أنّ " الإستيلاء على السلطة بواسطة القوّة المسلّحة ، و حسم الأمر عن طريق الحرب ، هو المهمّة المركزيّة للثورة و شكلها الأسمى . و هذا المبدأ الماركسي – اللينينيّ المتعلّق بالثورة صالح بصورة مطلقة ، للصين و لغيرها من الأقطار على حدّ سواء ".(2) (صفحة 65 من **" مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ "** + صفحة 303 ، المجلّد الثاني من **" مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة "** ، باللغة العربيّة ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين – من هنا فصاعدا سنشير إلى المجلّد ب " م " و إلى الصفحة ب " ص") و فورا أضاف ، مع ذلك ، " إنّ المبدأ سيبقى هو ذاته إلاّ أنّ الأحزاب البروليتاريّة التي تعيش في ظروف مختلفة تطبّقه بصورة مختلفة تبعا لإختلاف الظروف ." (3) (م 2 ، ص 303) . أمّا في ما يخصّ مسائل أخرى، متعلّقة بالخطّ العسكريّ الماركسيّ للحرب الثوريّة ، فقد حلّل ماو تحليلا ملموسا الظروف الملموسة و وقف ضد الدغمائيّة و التحريفيّة و على هذا الأساس طوّر الخطّ العسكريّ الصحيح في تعارض مع شتّى الخطوط العسكريّة الإنتهازيّة .

و كان الخطّ العسكريّ الصحيح للثورة الصينيّة يعتمد على التحليل الصحيح للمجتمع الصينيّ و طبيعة الثورة الصينيّة عامة، النابعين من الطابع الأساسي شبه المستعمر و شبه الإقطاعي للصين و ظروفها الخاصة بما فيها علاقتها بمختلف القوى الإمبرياليّة ، في مسار هذه الثورة . و على هذه القاعدة ، طوّر ماو إستراتيجية إرساء قواعد الإرتكاز و خوض حرب طويلة الأمد لمحاصرة المدن إنطلاقا من الريف و في النهاية الإستيلاء على المدن و كسب السلطة السياسيّة عبر البلاد ، الطريق الصحيح الذى على قاعدته قاد ماو الجماهير الصينيّة في خوض النضال الثوريّ المظفّر في الصين .

قواعد الإرتكاز الثوريّة

في المراحل الأولى من الثورة الصينيّة ، أنجز ماو و دافع عن تحليل لماذا يمكن للسلطة السياسيّة الحمراء أن توجد في الصين - أي لماذا من الممكن إرساء قواعد إرتكاز محرّرة و إستخدامها كأساس لخوض الحرب الثوريّة . و قد قدّم ماو القيادة في إنجاز ذلك و ليس نظريّا فحسب بل عمليّا أيضا . ففي 1927 ، قاد تمرّد حصاد الخريف الذى منه تمّ تطوير القوّات المسلّحة و إرساء أوّل قاعدة إرتكاز ثوريّة في الصين في جبال تشنغكانغ . و كان الخطّ الجوهريّ لإرساء قواعد الإرتكاز و خوض الحرب كقاعدة في حدّ ذاته تطبيقا خلاّقا للماديّة الجدليّة الماركسيّة إذ وفّر وسائل تحويل نقاط ضعف الصين و تخلّفها إلى قوّة للنضال الثوريّ . و أشار ماو إلى أنّ الصين ليست عُرضة للعدوان و الهيمنة الإمبرياليّين فحسب بل إنّ قوى إمبرياليّة متباينة كانت تتنازع السيطرة على الصين و كانت عدّة قوى رجعيّة في الصين متحالفة معها و عميلة لهؤلاء الإمبرياليّين المتنازعين . و زيادة على ذلك ، أشار إلى كونه في الريف الصينيّ الشاسع هناك " إقتصاد فلاحيّ محلّي (ليس إقتصادا رأسماليّا موحّدا)" ما وفّر القاعدة الإقتصاديّة لقواعد الإرتكاز لتحقّق إكتفاء ذاتيّا نسبيّا .(4) و منذ البداية ، أكّد ماو على أنّ النضال المسلّح في الصين يجب أن يندمج مع الثورة الزراعيّة و أنّه بصورة عامة متّصل بالثورة الديمقراطيّة في الصين . و شدّد على أنّ " الأماكن التي ظهرت فيها السلطة السياسيّة الحمراء الصينيّة ، قبل غيرها ، و إستطاعت أن تبقى لمدّة طويلة ، هي ليست بالأماكن التي لم تتأثّر بالثورة الديمقراطيّة ... بل هي الأماكن التي سبق أن نهضت فيها جماهير

العمّال و الفلاّحين و الجنود نهضة كبيرة في أثناء الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة عام 1926 و عام 1927. " (5) (م 1 ، ص 88-89)

و لاحظ ماو أنّ وجود هكذا قواعد إرتكاز و بقاءها كان حدثا لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم ، و قد أحال بإستمرار إلى الأسباب الماديّة و السياسيّة للماذا يمكن لمثل هذه القواعد أن توجد و يمكن لها أن تتوسّع في مسار النضال الثوريّ . و في هذا كان عليه أن يخوض صراعا إيديولوجيّا شرسا ضد الإنقلابيّين في الحزب الشيوعي الصيني الذين أرادوا شنّ هجمات كبرى على المدن بدلا من إرساء قواعد إرتكاز و حاولوا إفتكاك السلطة عبر البلاد مباشرة و بضربة واحدة . و حتّى أكثر، كان عليه أن يخوض صراعا ضد التشاؤم و الإنتهازيّة اليمينيّة بما فيها إنتهازيّة لين بياو حتّى في تلك المرحلة الأولى من الثورة الصينيّة ، أواخر عشرينات القرن العشرين . فمثل هؤلاء الناس كانوا يثيرون مسألة " إلى متى سيبقى العلم الأحمر مرفرفا ؟ " و يشكّكون و يتحدّون إستراتيجيا إرساء قواعد إرتكاز و خوض حرب طويلة الأمد . و كانوا بدلا من ذلك ، و هم لا يؤمنون بأنّ تيّارا ثوريّا عاليا في البلاد كان وشيكا و يائسين جرّاء التراجعات المؤقّتة ، يتطلّعون إلى المضيّ نحو عمليّات حرب عصابات مرتجلة و التصرّف بإرتجال كفرق متمرّدين . و قد شرح ماو أنّ مثل هذه المقاربة ستعزل القوى الثوريّة و الجيش الثوريّ عن أوسع الجماهير و تنحو إلى تكبيدهما الهزيمة . و في دحض هذا الخطّ ، شدّد ماو على أنّه " عاجلا سيوجد مدّ عالي للثورة " عبر البلاد ككلّ ، و بوجه خاص ردّا على ما يعنيه " عاجلا " ، في تصريح صار الآن شهيرا و شاعريّا بدرجة كبيرة ، شرح ماو ذلك على النحو التالي :

" ظهور مدّ الثورة العالى عاجلا في الصين ، الذى ذكرته ، ليس على الإطلاق شيئا وهميّا بعيد المنال " محتمل الوقوع " كما يزعم بعض الناس ، شيئا لا يحمل أي معنى من المعانى العمليّة . بل هو باخرة تمخر عباب البحر قد تراءت ذورة صاريها عن بعد للناظر الواقف على الساحل ، و شمس على وشك الطلوع قد إنبلجت أضواؤها الباهرة أمام من يسرح نظره من قمّة الجبل الشامخ نحو الشرق ، وجنين يدبّ في أحشاء أمّه متطلّعا للخروج وقد قربت الساعة التي يرى فيها النور."(6) (م 1 ، ص 185)

و طبعا ، لم يكن إرساء قواعد الإرتكاز هدفا في حدّ ذاته بل وسيلة و أرضيّة لخوض الحرب الثوريّة . مثّل مسألة تركيز سلطة سياسيّة للجماهير بواسطة النضال المسلّح و تاليا إستخدام ذلك لدعم و كمنطقة خلفيّة للإشتباك مع العدوّ في حرب ثوريّة . و هنا مرّة أخرى ، كان دور الجماهير و نضالها حيويّا . عند إرساء أوّل قاعدة إرتكاز في جبال تشنغ كانغ سنة 1927 ، إختار ماو منطقة أين كان نضال الجماهير على درجة عالية و كان ذلك هو العامل الأكثر حيويّة بمعنى ليس تركيز نظام مستقلّ ، منطقة إرتكاز محرّرة فحسب ، و إنّما متّخذا ذلك كقاعدة ، قاد ماو صياغة و أيضا تطبيق " إقامة القواعد الثوريّة ، و بناء السلطة السياسيّة بصورة مخطّطة ، و تعميق الثورة الزراعيّة ، و بتحقيق خطّ توسيع القوّات المسلّحة الشعبيّة بواسطة مجموعة متكاملة من التدابير أي عن طريق خلق فصائل الحرس الأحمر على مستوى الناحية ثمّ المركز ثمّ المحافظة ، ثمّ إنشاء القوّات الحمراء المحلّية حتّى الجيش الأحمر النظاميّ ، و بتوسيع السلطة السياسيّة على شكل التموّج ... إلخ . و هذه السياسة وحدها تمكّننا من أن نكسب ثقة الجماهير الثوريّة في البلاد كلّها ، تماما كما كسبها الإتّحاد السوفياتي في العالم بأسره ، و تمكّننا من أن نخلق مصاعب هائلة للطبقات الرجعيّة الحاكمة و نزعزع أركانها و نعجّل بتفكّكها الداخليّ ، كما أنّ هذه السياسة وحدها تمكّننا من أن نخلق بالفعل جيشا أحمر يكون أداتنا الرئيسيّة في الثورة الكبرى المقبلة . و جملة القول أنّنا لن نتمكّن من تعجيل مدّ الثورة العالي إلاّ بإتّباع هذه السياسة ." (7) (م 1 ، ص 173)

على هذا النحو ، تمّ بناء جيش العمّال و الفلاّحين عمليّا و تطوير النضال المسلّح ضد قوّات الثورة المضادة لتشانغ كايتشاك. و من البدايات الأولى فصاعدا ، طوّر ماو بعض المبادئ الأساسيّة التي شكّلت أساس خطّه العسكريّ . فقد كثّف عديد تعقيدات الحرب في صيغة أنّ المبدأ الأساسي في الحرب هو " المحافظة على النفس و إبادة العدوّ " . هذا من جهة و من الجهة الأخرى ، طبّق الماديّة الجدليّة و ليس فقط بيان كيف أنّ إبادة العدوّ عامة هي المظهر الرئيسيّ و إنّما طوّر أيضا فهم المبدأ الأساسي في الحرب و سلسلة كاملة من الخطوط الإستراتيجيّة و التكتيكيّة و كذلك طرقا خاصة لخوض حرب ثوريّة و حملات و معارك خاصة ضمن مثل هذه الحرب في الظروف الملموسة للثورة الصينيّة في كلّ مرحلة من مراحلها وصولا إلى النجاح في إفتكاك السلطة السياسيّة في البلاد باسرها .

و أكّد ماو أنّ في معارك قتال العدوّ و مهاجمته ، لا بدّ من حشد / تركيز قوّات الجيش الثوريّ ، بينما لتطوير النضال الثوريّ و نشره في صفوف الجماهير ، من الصواب تفريق القوّات المسلّحة للثورة . كان كلا الأمران هامان ذلك أنّه ما لم يقع إستنهاض الجماهير و ما لم يندمج النضال المسلّح مع النضال الثوريّ للجماهير ، خاصة الثورة الزراعيّة في الريف ، فإنّه على الرغم من البطولة و حتّى على الرغم من التكتيكات الذكيّة في القتال ، سيتفسّخ الجيش الأحمر إلى فرق لصوصيّة و أمراء حرب . سيفتقد إلى كلّ من الأساس السياسيّ و الاقتصاديّ لخوض حرب ثوريّة بالإعتماد على الجماهير الشعبيّة . و من ناحية أخرى ، ما لم يتبنّى الجيش الثوريّ و ما لم يكرّس بنجاح الإستراتيجية و التكتيكات العسكريّة الصحيحة ،

و خاصة مبدأ حشد قوّاته ، و حشد/ تركيز قوّة أكبر في كلّ معركة خاصة ضد العدوّ ، فإنّه لن يستطيع الحفاظ على قواعد الإرتكاز التي أرساها و لن يستطيع مزيد تعبأة الجماهير في النضال الثوريّ و بناء القوّات المسلّحة للثورة و توسيع الحرب الثوريّة تدريجيّا . في **" ربّ شرارة أحرقت سهلا "** ، إستخلص ماو المبادئ العسكريّة التي تطوّرت أثناء مسار سنوات ثلاثة من النضال المسلّح :

" إنّ التكتيك الذى توصّلنا إليه في غمرة النضال خلال السنوات الثلاث الأخيرة يختلف حقّا عن أيّ تكتيك متّبع في الماضى و الحاضر ، في الصين و البلدان الأخرى على حدّ سواء . و بواسطة تكتيكنا هذا ، يمكننا إستنهاض الجماهير لخوض نضالات يتّسع نطاقها يوما بعد آخر ، و لن يستطيع أيّ عدوّ ، مهما يكن قويّا ، أن يمسّنا بسوء . و هذا التكتيك هو تكتيك حرب العصابات ، و هو يتلخّص فيما يلى : " تقسيم القوّات و توزيعها في سبيل تعبئة الجماهير ، و حشد القوّات و تركيزها في سبيل صدّ العدوّ . و " إذا تقدّم العدوّ تراجعنا ، و إذا عسكر أزعجناه ، و إذا تعب هاجمناه ، و إذا تقهقر طاردناه ." و " نطبّق في إنشاء مناطق القواعد الثابتة سياسة التقدّم على شكل موجات متتابعة ، و نتّبع سياسة اللفّ و الدوران عندما يطاردنا عدوّ قويّ ." و " تعبئة أوسع الجماهير في أقصر وقت ممكن و بأفضل الطرق الممكنة ." إنّ هذا التكتيك أشبه ما يكون بعمليّة إلقاء شبكة ، و ينبغي أن نكون قادرين على إلقائها أو سحبها في أي لحظة من اللحظات ، إنّنا نلقيها لكسب الجماهير و نسحبها لصدّ العدّو . و هذا هو التكتيك الذى طبّقناه طوال السنوات الثلاث الأخيرة ." (8)(م 1 ، ص 180-181)

وقد إكتست أهمّية خاصة ما صارت تسمّى ب" صيغة ستّة عشر مقطعا " : " إذا تقدّم العدوّ تراجعنا ، وإذا عسكر أزعجناه، و إذا تعب هاجمناه ، و إذا تقهقر طاردناه ." و بعد عدّة سنوات ، لاحظ ماو أنّ " الصيغة المؤلّفة من ستّة عشر مقطعا ... تضمّنت جميع المبادئ الأساسيّة للحملات المضادة " للتطويق و الإبادة " و تضمّنت كلتا مرحلتي الدفاع الإستراتيجي و الهجوم الإستراتيجي ، و كذلك تضمّنت فيما يتعلّق بالدفاع مرحلتي التراجع الإستراتيجي والهجوم المضاد الإستراتيجي. أمّا الأشياء التي ظهرت فيما بعد فلم تكن سوى تطوّرات لهذه المبادئ ." (9) (م1، ص 311-312) و من خلال تطوير و تطبيق هذه المبادئ ، قاد ماو القوّات المسلّحة الثوريّة في إلحاق الهزيمة بأربعة حملات متتالية من " التطويق والإبادة " التي شنّها تشانغ كايتشاك في محاولة لإبادة القوّات المسلّحة الثوريّة و قواعد الإرتكاز الثوريّة . و طوال هذه الفترة كلّها ، مع ذلك ، وُجدت معارضة و تشابك حادين في صفوف الحزب الشيوعي عينه صدرت عن خطوط إنتهازيّة " يساريّة " متباينة . و أكثر تلك الخطوط الإنتهازيّة ضررا كان الخطّ الإنتهازي " اليساري " لوانغ مينغ الذى تحوّل إلى إنتهازية يمينيّة تماما و إلى إستسلام تام إبّان الحرب المناهضة لليابان و الجبهة المتّحدة ضد اليابان .

قتال الخطوط الإنتهازيّة

في هذه الفترة منذ بدايات ثلاثينات القرن العشرين ، إستهان الخطّ الإنتهازي " اليساري " بالقضايا العسكريّة و تقدّم بقوّة بإستراتيجية مهاجمة المدن الكبرى في تعارض مع الخطّ الصحيح لإرساء قواعد الإرتكاز و ربطها ببعضها و إستدراج العدوّ للتوغّل إلى عمق الأراضي لتوجّه له الضربات ، و حشد قوّات أكبر في معارك خاصة و كنس جنوده و هكذا يجرى كسر التطويق وفى الحملات الخاصة يجرى المرور من الدفاع إلى الهجوم . و بفعل تشويش الخطّ الإنتهازي " اليساري " لوانغ مينغ ، لم يقدر الحزب الشيوعي الصيني و الجيش الثوريّ تحت قيادته في النهاية على هزم الحملة الخامسة من " التطويق و الإبادة " التي شنّها تشانغ كايتشاك ضدّهما فإضطرّا سنة 1934 إلى التخلّى عن قاعدة الإرتكاز المركزيّة في الجنوب . و إزاء هذه التطوّرات ، قاد ماو تسى تونغ الجيش الأحمر للحزب الشيوعي الصيني في إنجاز ما بات حدثا تاريخيّا غير مسبوق ، المسيرة الكبرى . طوال سنتين ، خائضا يوميّا أكثر من معركة كمعدّل ، و قاطعا آلاف الأميال ، إستطاع الجيش الأحمر أن يكسر تطويق قوّات تشانغ كايتشاك و التقدّم نحو الشمال الغربي و إرساء قواعد إرتكاز هناك . و لم يكن التقدّم نحو الشمال الغربي مجرّد مسألة قتال لكسر التطويق و تجنّب الإبادة من قبل قوّات تشانغ كايتشاك و حسب ، بل كان مرتبطا مباشرة بمسألة خوض حرب ضد اليابانيّين الذين قد غزوا الشمال الشرقي للصين و كانوا يعدّون لإجتياح بقيّة البلاد.

و في جانفي 1935 ، حصل تحوّل في تاريخ الحزب الشيوعي الصيني و الثورة الصينيّة . ذلك أنّه عُقد اجتماع موسّع للمكتب السياسيّ للجنة المركزيّة للحزب و فيه تمّ تبنّى الخطّ العسكريّ لماو تسى تونغ في تعارض مع الخطّ الإنتهازي لوانغ مينغ و آخرين ، و جرى تركيز قيادة ماو للحزب الشيوعي الصيني و الجيش الأحمر . و أرسى ذلك قاعدة الخوض الصحيح للنضال المسلّح ضد اليابان الذى كان يمثّل ضرورة ملحّة للنضال الثوريّ وقتها .

و قصد تعزيز الخطّ الثوري لماو و قيادته للنضال المسلّح و للحزب الشيوعي الصينيّ ، كان لزاما خوض صراع حاد ضد الخطّ الإنشقاقي لتشانغ كوو- تاو الذى حاول إنشاء لجنة مركزيّة مزيّفة في معارضة قيادة ماو و رفض توحيد قوّاته المسلّحة مع تلك التي كانت تحت قيادة ماو لخوض النضال ضد اليابان . و ناظرين إلى الظاهرة المؤقّتة و السطحيّة أنّ الحزب الشيوعي و الجيش الأحمر تحت قيادته قد خسرا جزءا كبيرا من قوّاتهما خلال المسيرة الكبرى ، و متصرّفين على طريقة أمراء الحرب ، سعوا إلى إقتطاع أراضي لأنفسهم و تمسّك تشانغ كوو- تاو بالعدول عن مهمّة إرساء قواعد إرتكاز و إستخدامها في خوض الحرب الثوريّة ضد المعتدين اليابانيّين . و في تناقض مع هذا ، أبرز ماو أنّه من خلال إرساء قواعد الإرتكاز هذه و خوض الحرب ضد اليابان و التعبأة العامّة و الإستنهاض التام للجماهير من أجل هذا النضال سينمو الحزب الشيوعي الصينيّ و تنمو القوّات المسلّحة الثوريّة و يشتدّ عوتهما . و بفضل هذا الصراع هُزم تشانغ كوو- تاو و بعد فترة قصيرة من ذلك إلتحق برجعيّي الكيومنتانغ .

في أثناء المسيرة الكبرى ، مبقين في الذهن هدف إرساء قواعد الإرتكاز لخوض النضال ضد اليابان و كذلك الهدف المباشر لكسر و هزم " تطويق و إبادة " تشانغ كايتشاك ، طبّق ماو بإقتدار الإستراتيجيا العسكريّة . و بوجه خاص ، قاد القوّات المسلّحة الثوريّة في كسب المبادرة و ممارسة المرونة في ظروف في منتهى الصعوبة . و بيّن ماو في كتاباته العسكريّة أنّ مسألة المبادرة متّصلة وثيق الإتّصال بمسألة التفوّق ، و كان الحال كذلك في المسيرة الكبرى حيث تمتّعت القوّات الرجعيّة لتشانغ كايتشاك بتفوّق إستراتيجي في ما يتّصل بالأعداد و التدريب و التسليح أيضا . لكن آخذا بعين الإعتبار و مطبّقا الماديّة الجدليّة و المبادئ الخاصة للإستراتيجية و التكتيكات العسكريّة المعتمدة عليها ، أرشد ماو القوّات المسلّحة الثوريّة في تركيز التفوّق التكتيكي في بعض المعارك و في إفتكاك المبادرة تكتيكيّا في وضع كان فيه العدّو يملك تفوّقا إستراتيجيّا . و في الوقت ذاته ، عالج كذلك ماو بطريقة صائبة العلاقة الجدليّة بين التوجّه الأساسيّ و التوجّهات الثانويّة – أي أنّه قاد الجيش الأحمر في تغيير توجّهاته التكتيكيّة لخوض المعارك في الظروف المناسبة أكثر بُغية التمكّن من شنّ هجمات مباغتة على العدوّ ، بينما في الآن نفسه ، يقع الإنخراط في التوجّه الأساسي للتقدّم نحو الشمال للتمكّن من خوض حرب ثوريّة ضد العدوان الياباني .

و جاء " **قضايا الإستراتيجية في الحرب الثوريّة في الصين** " الذى ألّفه ماو في ديسمبر 1936 ليلخّص تجربة الحرب الثوريّة في الصين في ظلّ قيادة الحزب الشيوعي الصينيّ إلى تلك اللحظة و رسم أسس خوض الحرب الثوريّة في مقاومة العدوان الياباني . في هذا العمل ، أعاد ماو تأكيد المبدأ الجوهريّ الذى صارع من أجله و عرضه في أعمال سابقة مثل " **النضال في جبال جينغقانغ** " في نوفمبر 1928 و " **حول تصحيح الأفكار الخاطئة في الحزب** " المكتوب في ديسمبر 1929 ، مبدأ أنّ الحزب يجب أن يقود الجيش و النضال المسلّح و أنّ النضال الثوريّ يجب أن تقوده البروليتاريا إيديولوجيّا و سياسيّا .

و لم تركّز هذه القيادة من خلال الدور الطليعي للحزب الشيوعي – الذى كان عامة المظهر الأهمّ للدور القيادي للبروليتاريا – و حسب بل كذلك (و إن ثانويّا) قد تحقّق بواسطة المشاركة النشيطة لعدد من العمّال الواعين طبقيّا كقوى تمثّل العامود الفقريّ للحزب الشيوعي و الجيش الثوريّ الذى أسّسه ماو . و بالفعل ، إصطحب ماو معه إلى أوّل قاعدة إرتكاز في جبال تشنغ كانغ عديد العمّال الذين وقع إنتدابهم من مختلف نضالات الطبقة العاملة . و هكذا ، من الخاطئ جوهريّا المحاججة بأنّ الثورة الصينيّة بإنطلاقها من الريف إلى المدن ، مثّلت هيمنة البرجوازيّة الصغيرة (خاصة الفلاّحين) بدلا من قيادة البروليتاريا للحركة الثوريّة . فمثل هذا الموقف يخفق في إدراك جدليّة الثورة في الصين في مرحلتها الديمقراطيّة الجديدة ، و بوجه خاص واقع أنّ الفلاّحين كانوا القوّة **الأساسيّة** و ظلّت الطبقة العاملة – رئيسيّا من خلال خطّ الحزب و سياساته و ثانويّا من خلال الدور المفتاح للعمّال الواعين طبقيّا – القوّة **القياديّة** .

في " **قضايا الإستراتيجية في الحرب الثوريّة في الصين** " ، شدّد ماو على أنّه " لا مفرّ ، في هذا العصر الذى ظهرت فيه البروليتاريا على المسرح السياسي ، من أن تقع مسؤوليّة قيادة الحرب الثوريّة على كاهل الحزب الشيوعيّ الصينيّ ". (10) (م 1 ، ص 281) و قد تمّ تأليف هذا العمل لقتال نزعات خاطئة متنوّعة صلب الحزب الشيوعي الصينيّ و بخاصة ضد أشكال متباينة من الدغمائيّة و التفكير الميكانيكي – سواء في ما يتّصل بإعتبار أنّه تكفى دراسة و فهم قوانين الحرب بشكل عام أو عدم التمييز بين الحروب الرجعيّة و الحروب التقدّميّة أو الثوريّة ؛ أو النسخ الميكانيكي لتجربة الحرب الأهليّة في روسيا التي أدّت إلى تركيز الإتّحاد السوفياتي ؛ أو في ما يتّصل بالتجربة الأوّليّة للحزب الشيوعي الصيني عندما كان لا يزال ضمن الكيومنتانغ على أنّها التجربة الوحيدة الصالحة أو التجربة الأهمّ متنكّرين إلى الدروس الثريّة للحرب الثوريّة لعشرات السنين ضد القوى الرجعيّة لتشانغ كايتشاك إثر كسر التحالف مع الكيومنتانغ بعد إنقلاب تشانغ كايتشاك سنة 1927.

و ردّا على هذا ، أبرز ماو أنّ قوانين الحرب ، قوانين الحرب الثوريّة ، و قوانين الحرب الثوريّة الصينيّة كانت جميعها قضايا تقتضى الدراسة و التحليل و المعالجة و ذلك بينما توجد بعض المبادئ الأساسيّة للحرب عامة و للحرب الثوريّة

خاصة ، بالأخصّ الحرب الثوريّة في الصين ، لا بدّ منها لمواصلة تطوير الإستراتيجية العسكريّة الصحيحة . بينما لا يمكن طبعا فصل خطّ خوض الحرب الثورية عن التحليل العام لطبيعة الثورة الصينيّة عامة و كذلك المرحلة الخاصة من المقاومة المناهضة لليابان ، و بينما لا يمكن فصلها عن الخطّ السياسي الصحيح عامة ، كان من الضروريّ دراسة و تطوير الخطوط و السياسات الخاصّة بالحرب ذاتها . و قد إستنتج ماو ، " لقد بيّنت حروبنا الثوريّة الماضية على أنّنا لا نحتاج إلى خطّ سياسي ماركسيّ صحيح فحسب ، بل إلى خطّ عسكريّ ماركسيّ صحيح أيضا . " (11) (م1 ، ص 284)

و مقيّما تجربة سنوات عشر من الحرب ضد رجعيّي الكيومنتانغ ، أبرز ماو إلى أنّ مظهرا خاصا من الثورة الصينيّة و الحرب الثوريّة في الصين كان أنّ الصين كانت بلدا ممتدّ الأطراف جدّا و أنّ هذا وفّر للقوى الثوريّة مجالا للمناورة . و ثانيا ، في ما يخصّ الحرب ضد قوى تشانغ كايتشاك ، كان من اللازم أن يأخذوا بعين الإعتبار الميزة الهامة المتمثّلة في أنّ العدوّ كان عدوّا كبيرا و قويّا في حين ، في بداية الحرب ، كانت القوى الثوريّة و الجيش الأحمر صغيرين وضعيفين . و في الآن ذاته ، مبيّنا التداخل و الروابط الوثيقة بين القضايا السياسيّة و العسكريّة ، أشار ماو إلى أنّ ميزة هامة للنضال ضد الكيومنتانغ كان أنّ الحزب الشيوعي دافع بصلابة و أنجز الثورة الزراعيّة ، في حين أنّ الكيومنتانغ عارض الثورة الزراعيّة و بالتالى فَقَدَ دعم الفلاّحين الذين كان الحزب الشيوعي قادرا على إستنهاضهم بإعتبارهم القوّة الأساسيّة للثورة و الدعم الأساسي للحرب الثوريّة .

و ملخّصا هذه النقاط ، دلّل ماو على أنّه كان الحال أنّه بفضل الإمتداد الترابي و مجال المناورة في الصين و بفضل قيادة الحزب الشيوعي و إدماجه الثورة الزراعيّة مع النضال المسلّح ، من الممكن للجيش الأحمر أن ينموَ و في نهاية المطاف أن يُلحق الهزيمة بالعدوّ . هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى، لاحظ أنّه بسبب كون العدّو في البداية كان كبير الحجم و قويّا فيما كان الجيش الأحمر صغيرا و ضعيفا و بالتالى يجب بالضرورة على الحرب الثوريّة في الصين أن تكون ذات طابع طويل الأمد . و هدف ماو من تلخيص و تحليل هذه المميّزات الهامة لم يكن تسليح أعضاء الحزب و الجماهير فحسب بفهم صحيح للخطّ العسكريّ عامة ، لكن أيضا لإعداد الأرضيّة لخوض حرب المقاومة ضد اليابان . و سجّل " إنّ الحرب الثوريّة الصينيّة التي بدأت في عام 1924 ، قد مرّت بمرحلتين : الأولى من عام 1924 إلى عام 1927 و الثانية من عام 1927 إلى عام 1936 ، و المرحلة التالية هي مرحلة الحرب الوطنيّة الثوريّة ضد اليابان . " (12) (م 1 ، ص 281) و الدروس التي إستخلصت بثمن تضحيات جسام و دُفعت دماء لأجلها يجب أن تطبّق بالملموس على النضال الحالي ضد المعتدين اليابانيّين .

الهجوم و الدفاع

بعض خصوصيّات الحرب ضد الكيومنتانغ قد لا تنسحب تماما على الحرب ضد اليابان . و على سبيل المثال ، على المدى القصير في الحرب ضد الكيومنتانغ ، للعدوّ (قوات تشانغ كيتشاك) مناطق عدد سكّانها كبير و منهم يشكّل أو يجنّد مقاتلوه ، في حين أنّه في الحرب ضد العدوان الياباني أفراد الأمّة الصينيّة كثيفي العدد و منهم تشكّل جنودها بينما لم تكن اليابان قادرة على تكوين جيش كبير كالجيش الصيني . و مع ذلك ، المبدأ الأساسي للحرب الثوريّة ضد الكيومنتانغ يجب الآن أن يُكرّس في خوض الحرب الثوريّة ضد اليابان .

و كان هذا صحيحا لمعظم خصوصيّات الحرب الثوريّة ضد الكيومنتانغ . فعلى سبيل المثال ، العامل الأهمّ الذى ألمح إليه ماو في تلخيص النضال ضد حملات " التطويق و الإبادة " كان أنّه في هذه المعارك " الهجوم و الدفاع ، و هذا لا يختلف عمّا في سائر الحروب القديمة و الحديثة ، الدائرة في الصين أو البلدان الأخرى . إلاّ أنّ الحرب الأهليّة الصينيّة تتميّز بتناوب هذين الشكلين بصورة متكرّرة خلال مدّة طويلة ." (13) (م 1 ، ص 294)

و في الآن نفسه ، شدّد ماو على الأهمّية الخاصّة للدفاع الإستراتيجي في خوض الحرب الثوريّة . و أكّد على " أنّ المعارك الدفاعيّة في جميع الحروب العادلة ليس من شأنها أن تخدّر العناصر الغريبة سياسيّا فتفقدها اليقظة فحسب ، بل من شأنها أيضا أن تعبّئ الفئات المتخلّفة من جماهير الشعب لتساهم في الحرب ." (14) (م1 ، ص 303) و عرّج على أنّ " الخبراء العسكريّين في الدولتين الإمبرياليّتين ألمانيا و اليابان اللتين نهضتا متأخّرا و لكن تطوّرتا سريعا جدّا ، يشيدون في حماس بمنافع الهجوم الإستراتيجي ، و يعارضون الدفاع الإستراتيجي . و فكرتهم هذه لا تناسب الحرب الثوريّة الصينيّة على الإطلاق . و يقول هؤلاء الخبراء العسكريّون إنّ نقطة الضعف الكبرى في الدفاع هي أنّه لا يمكن أن يرفع معنويّات

الناس بل يثبطها . و لكنّ رأيهم هذا لا ينطبق إلاّ على تلك البلدان التي تحتدّ فيها التناقضات الطبقيّة و لا تفيد الحرب إلاّ الفئات الحاكمة الرجعيّة فيها أو الجماعات السياسيّة الرجعيّة القابضة على زمام الحكم . أمّا أوضاعنا فتختلف عن ذلك ." (15) (م 1 ، ص 303)

و رصد ماو الأخطاء الجدّية للذين في صفوف الحزب الشيوعي الصيني تمسّكوا بعدم التخلّى عن أيّة أراضي في وجه هجمات العدوّ و أرادوا صدّ العدوّ " خارج بوّابة البلاد " و دافعوا عن توجيه الضربات في الإتّجاهين و التعويل على حرب المواقع و إتّباع سياسة جعل قوّة صغيرة تواجه قوّة أكبر بدلا من السياسة السليمة لتجميع / حشد قوّة أكبر ضد القوّة الأصغر عدديّا لإبادتها في معركة خاصة أو حملة خاصة . و عارض مثل هؤلاء الناس السياسة الصحيحة و اللازمة مطلقا لإستدراج العدوّ إلى العمق و إلى التغلغل في الأراضي و محاصرته بالجماهير و تمزيق قوّاته إربا إربا و سحقها شيئا فشيئا . و أعرب ماو عن أنّ مثل هذه الحجج الخاطئة رُفعتها " نزعة حرب العصابات المحضة " و ستؤدّى بالتأكيد إلى هزيمة و ليس إلى إنتصار و أنّه حيثما قد مضوا بعيدا في ذلك ، أدّت بالضبط إلى ذلك .

و جاء تشديد من ماو على أنّ " ممّا لا شكّ فيه أنّ هذه النظريّات و التطبيقات كلّها خاطئة ، و مردّها إلى النزعة الذاتيّة . و هي من مظاهر الهوس الثوري و التسرّع الثوري لدي البرجوازيّة الصغيرة في الظروف المؤاتية ، و لكن حينما تصبح الظروف قاسية ، فإنّها ستتحوّل حسب تحوّلات الأحوال ، إلى نزعة الإستماتة فنزعة التحفّظ فنزعة الفرار . إنّها نظريّات وتطبيقات المتهوّرين و من ليسوا بأهل الفنون العسكريّة ، و هي شيء لا نشمّ فيه رائحة الماركسيّة ، بل شيء ضد الماركسيّة." (16) (م 1 ، ص 314)

و كان الذين دافعوا عن مثل هذه النظريّات الخاطئة و الإنتهازيّة بالفعل مسؤولين عن هزيمة الجيش الأحمر خلال الحملة الخامسة ل " التطويق و الإبادة " لتشانغ كايتشاك . و ذكّر ماو أنّهم حاججوا بصيغة غير حكيمة أنّ " إذا كانت طريقة إستدراج العدوّ للتغلغل في أراضينا مجدية في الماضى ، فإنّها عديمة الجدوى أثناء حملة " التطويق و الإبادة " الخامسة التي يلجأ فيها العدوّ إلى سياسة بناء القلاع . و على ذلك لا نستطيع أن نقاوم الحملة الخامسة إلاّ بتقسيم القوّات و شنّ هجمات خاطفة ." (17) (م1 ، ص 322)

و في الوقت نفسه ، عاين ماو أنّ الدفاع السلبي كان كذلك خاطئا و سيؤدّى إلى الهزيمة . و وضع تشديدا على أنّ قضيّة خوض حرب الدفاع و الانسحاب الإستراتيجيّين كجزء مفتاح من حرب الدفاع ، كانت بالفعل للإعداد للمضيّ إلى الهجوم المضاد . و قد أجمل هذه النقطة على النحو التالي : " إنّ التراجع الإستراتيجي يستهدف كلّيا الإنتقال إلى الهجوم المضاد ، و التراجع الإستراتيجي ليس سوى المرحلة الأولى من الدفاع الإستراتيجي . و إنّ الحلقة الحاسمة في كلّ الإستراتيجيّة هي النصر أم الفشل في المرحلة اللاحقة ، مرحلة الهجوم المضاد ." (18) (م1 ، ص 326)

و مرّة أخرى ، أبرز ماو الأهمّية الحيويّة لحشد قوى أكبر تكتيكيّا في وضع حيث إستراتيجيا يكون للعدوّ تفوّقا عدديّا و كذلك توفّقا في التدريب والتسليح . و صار هذا مكثّفا في صيغة " إستراتيجيّا ، واحد ضد عشرة ؛ و تكتيكيّا ، عشرة ضد واحد ". بكلمات أخرى ، في الوضع الإستراتيجي أين لا تزال القوى الثوريّة تفوقها عدديّا بشكل كبير قوى الثورة المضادة ، كان من الضروريّ في معارك خاصة و حملات خاصة تطبيق مبدأ حشد قوّة أكبر لإبادة قسم أصغر عدديّا من قوّة العدوّ .

كما نبّه ماو إلى أنّ ميزة هامة أخرى لعمليّات الجيش الثوريّ التي نبعت من واقع أنّ العدوّ يملك تفوّقا تقنيّا عليها هي أنّ الجيش الثوري قاتل بخطوط معارك مرنة و ليست قارة . و من خلال تحليل الخطّ الإنتهازي الذى أدّى إلى الهزيمة في وجه تشانغ كايتشاك و حملته الخامسة ل " التطويق و الإبادة " و أجبر الحزب الشيوعي الصيني الجيش الأحمر على الإبحار في ما أضحى المسيرة الكبرى ، وضع ماو ، مطبّقا تطبيقا خلاّقا الجدليّة ، أنّ " الرفض الخاطئ لحرب العصابات و الميوعة على نطاق ضيّق قد أدّى إلى حرب عصابات و ميوعة واسعة النطاق ." (19) (م 1 ، ص 354)

و كرّس ماو المقاربة الجدليّة لما كان يسمّى " نزعة حرب العصابات المحضة ". فنبذ " نزعة حرب العصابات المحضة " طالما أنّها تعنى معارضة بناء جيش نظاميّ . و في الآن ذاته ، بيّن بقوّة أهمّية حرب الأنصار و دافع عن هذا ضد الذين ندّدوا بإستخدام حرب الأنصار على أنّها " نزعة حرب العصابات المحضة " . و قال إنّ بهذا المعنى " نزعة حرب العصابات المحضة " لها مظهران و إنّه بينما الجيش الثوريّ و الحرب الثوريّة في الصين قد طوّرا مستوى أعلى بكثير من المراحل الأوّليّة من التشكّل الأوّلي للوحدات المسلّحة (التشكيل الأوّل للجيش الأحمر) يظلّ من الضروريّ الإحتفاظ ببعض المبادئ التي صيغت عبر خوض حرب الأنصار و مواصلة تطبيقها . و ملخّصا ذلك قال : " نحن في الوقت الحاضر نعارض من جهة التدابير الخاطئة المتّخذة في المرحلة التي كانت تسود فيها الإنتهازيّة " اليساريّة " ، و نعارض من جهة أخرى ، بعث تلك المظاهر العديدة غير النظاميّة التي كانت سائدة في عهد طفولة الجيش الأحمر و قد أصبحت الآن غير ضروريّة .

و لكن علينا أن نكون حازمين في بعث المبادئ الكثيرة الثمينة المتعلّقة ببناء الجيش و المبادئ الإستراتيجيّة و التكتيكيّة – تلك المبادئ التي ما برح الجيش الأحمر يحرز بواسطتها الإنتصارات ." (20) (م 1 ، ص 356)

و في ختام هذا العمل ، أعاد ماو تأكيد المبدأ الهام جدّا لخوض حرب الإبادة أي خوض المعارك و الحملات ليس لمجرّد دحر العدوّ بل لكنسه كنسا تاما وبلوغ إنتصار سريع في المعارك . و هذا ، مرّة أخرى ، كان تطبيقا خلاّقا للجدليّة ، و تطبيقا لتكتيكات الإنتصار السريع و السحق السريع على وضع حيث التوجّه الإستراتيجي يجب أن يكون حربا طويلة الأمد و حرب إستنزاف للكنس التدريجي و على إمتداد فترة طويلة حقّا لأعداد كبيرة من قوّات العدوّ و هكذا يجرى إضعاف العدوّ و في النهاية يبوء بالهزيمة .

حرب العصابات

و بعد سنة و نصف السنة من التجربة في حرب المقاومة المناهضة لليابان ، كتب ماو ، **" قضايا الإستراتيجية في حرب العصابات المناهضة لليابان "** في ماي 1938 . و كما شرح هامش هذا المقال ، كُتب كجزء من صراع ضد الذين في صفوف الحزب و خارجه الذين كانوا " يستصغرون الدور الإستراتيجي العظيم لحرب العصابات ، و يعلّقون كلّ آمالهم على الحرب النظاميّة وحدها ، و بصورة خاصة على عمليّات قوّات الكيومنتانغ . و لقد دحض الرفيق ماو تسى تونغ آراءهم هذه و كتب هذه المقالة مشيرا إلى الطريق الصحيح لتطوير حرب العصابات المناهضة لليابان . " (21) (م 2 ، ص 105)

في هذا العمل ، كرّر ماو المبدأ الأساسي أنّ الحرب يجب أن تخاض في مراحلها الأولى و أثناء معظم المدّة التي تدومها كحرب دفاع إستراتيجي و أنّه يجب أن تكون حربا طويلة الأمد . كان هذا ضروريّا و كذلك إستطاع التحوّل إلى ميزة للحرب الثوريّة نظرا إلى واقع أنّ اليابان كان من جهة بلدا قويّا يخوض حربا عدوانيّة ، حربا غير عادلة بينما كانت الصين ضعيفة في قدراتها التقنيّة و مستوى تطوّر قوى الإنتاج لكنّها كانت تخوض حرب مقاومة عادلة يمكن و يجب أن تعوّل على قوّة الجماهير الشعبيّة . و لهذه العوامل كان الحال أن إستطاعت اليابان أن تحتلّ قسما كبيرا من الأراضي الصينيّة . و بالنتيجة ، برزت ضرورة و أهمّية خوض حرب العصابات ، خاصة ضمن المناطق التي يحتلّها عامة المعتدون اليابانيّون.

و أفصح ماو عن أنّ " المبدأ الأساسيّ هو أنّه يجب أن تقوم حرب العصابات على الهجوم ، و أنّ طابع الهجوم فيها يجب أن يكون أشدّ بروزا منه في الحرب النظاميّة ." (22) (م 2، ص 113) و مع ذلك ، أكّد أنّ الهجوم في حرب العصابات يجب أن يتّخذ شكل الهجمات المباغتة . و زاد من التشديد على أنّ في حرب العصابات ، حتّى بشكل أهمّ ممّا هو عليه في الحرب النظاميّة ، يجب خوض قتال معارك قرارات سريعة . و بطبيعتها حرب العصابات أكثر تفوّقا حتّى من الحرب المتحرّكة ، لكن ماو وضع تشديدا في الآن نفسه ، على أنّ مبدأ حشد قوّة أكبر لضرب قوّة أصغر من قوّات العدوّ يبقى صالحا و هاما في حرب العصابات .

و بالمعنى العام طوال كامل الحرب ، أعرب ماو عن أنّ الحرب النظاميّة ستكون هي الرئيسيّة و أنّ حرب العصابات ستكون ثانويّة . و مع ذلك ، تعنى الحرب النظاميّة رئيسيّا حربا متحرّكة و حرب المواقع هي فقط ثانويّة . و تُحيل الحرب المتحرّكة على حرب تخوضها وحدات نظاميّة بقواعد إرتكاز خلفيّة و على نطاق كبير نسبيّا ، و تطبيق مبدأ تحريك و قتال ، تحريك لأجل القتال ؛ حرب العصابات عامة تخاض بوحدات غير نظاميّة أكثر ، أساسا بهدف إستنزاف العدوّ في أراضيه الخاصة. و لخّص ماو أنّ ، أساسا من خلال حرب نظاميّة ، - و رئيسيّا الحرب المتحرّكة – لكن مع نهوض حرب العصابات بدور هام و إن كان ثانويّا ، طريق النصر يكمن في " تجميع عدد كبير من الإنتصارات الصغرى ليتشكّل من مجموعها نصر كبير ". (23) (م2 ، ص 115) و بكلمات أخرى ، في كلّ من الحرب النظاميّة و حرب العصابات ، من الضروري التأكيد على مبادئ قتال معارك ذات قرار سريع ، لحشد قوّة كبيرة لتوجيه ضربات لقوّة صغيرة من قوّات العدوّ و لإبادة قوّات العدوّ قطعة قطعة ، و هكذا عبر سيرورة طويلة الأمد من خوض حرب إستنزاف للعدوّ إلى أن يغدو ضعيفا بحيث يمكن أن تُوجّه إليه **الضربة القاضية** .

و شدّد ماو كذلك على مسألة تطوير حرب العصابات إلى حرب متحرّكة خلال الحرب المناهضة لليابان . و عبّر عن أنّه : " ما دامت الحرب طويلة و ضارية ، فسيصبح في إمكان قوّات العصابات أن تمرّ بعمليّة صقل ضروريّة و أن تتحوّل بصورة تدريجيّة إلى قوّات نظاميّة ، و تبعا لذلك ستتطوّر أساليب عمليّاتها تدريجيّا في الوقت ذاته إلى أساليب عمليّات القوّات النظاميّة ، و هكذا تكون حرب العصابات قد تحوّلت إلى الحرب المتحرّكة . إنّ قادة حرب العصابات لا يستطيعون

أن يتمسّكوا بحزم بسياسة تطوير حرب العصابات إلى الحرب المتحرّكة و أن يطبّقوها بصورة مخطّطة إلاّ إذا أدركوا بكلّ وضوح تلك الضرورة و الإمكانيّة . " (24) (م 2 ، ص 148)

و إسترسل ماو ليضيف أنّ مبدأ القيادة اللامركزيّة في الحملات أو المعارك ينبغى أن يطبّق على الحرب النظاميّة و حرب العصابات – بإختصار ، لا بدّ من إمتلاك إستراتيجية موحّدة و قيادة إستراتيجيّة مركزيّة و في الآن عينه ، قيادة لامركزيّة و مبادرة و مرونة في خوض حملات و معارك خاصّة .

" حول الحرب الطويلة الأمد "

و قد وقع تأليفه في ذات الوقت مع **" قضايا الإستراتيجية في حرب العصابات المناهضة لليابان "** ، كان مقال ماو **" حول الحرب الطويلة الأمد "** تصريحا أشمل و أعمّ يلخّص مبادئ الحرب و الحرب الثوريّة بوجه خاص و يرسم السياسات و التوجّه الإستراتيجي العام لحرب المقاومة المناهضة لليابان . و أجلى ماو أنّ حرب الأمّة الصينيّة في مقاومة اليابان حرب " لم يشهد لها مثيل في تاريخ الشرق و سوف تعتبر حربا عظمى في تاريخ العالم . " (26) (م 2 ، ص 157)

في هذا العمل ، تصدّى ماو بشدّة ودحض نظريّة الإخضاع / السقوط الحتمي للصين وكذلك نظريّة تحقيق النصر السريع ، و كان لكلا النظريّتين تأثير معتبر داخل الصين عامة و صلب الحزب الشيوعي الصيني ذاته ، مع أنّ النظريّة الأولى ، الإخضاع و نظرتها الإستسلاميّة مثّلت بشكل عام الخطر الأكبر . و حلّل ماو مرّة أخرى و بطريقة شاملة العوامل التي تشرح في آن معا لماذا من ناحية ، يمكن للصين خوض حرب مظفّرة للمقاومة المناهضة لليابان و لماذا من الناحية الأخرى، يجب أن تكون هذه الحرب حربا طويلة الأمد . و سلّط سياط النقد على كلّ من مفهوم أنّه بما أنّ اليابان متفوّقة على الصين في التسليح و التقنية ، بالتالى لا يمكن للصين أن تخوض حرب مقاومة مظفّرة ، والمفهوم الذى وصفه بأنّه متفائل غير أنّه فاقد للأرضيّة الواقعيّة ، مفهوم أنّ اليابان قد تُهزم بسهولة ، مفهوم ، كما قال ، يستهين بالدور الإستراتيجي لحرب العصابات في الحرب ضد اليابان .

و ردّ ماو بصفة شاملة و من كافة الجوانب على حجّة أن الصين لن تقدر على تحقيق النصر . و حلّل بالملموس المظاهر الخاصّة للحرب المناهضة لليابان و الوضع العالمي الذى تجرى فيه . و عاين أنّ اليابان ، فيما كانت قويّة مؤقّتا و تتمتّع بتفوّق تقنيّ على الصين ، كانت في النهاية قوّة إمبرياليّة و من ثمّة متداعية ، من ناحية ، بينما من الناحية الأخرى ، كانت الصين في عصر تقدّم – البروليتاريا و حزبها قد ظهرا على المسرح و هما يقودان حرب المقاومة المناهضة لليابان . كما عاين ماو ، علاوة على ذلك ، إلى أنّه عالميّا ، يُوجد الإتّحاد السوفياتي و توجد الحركات التقدّميّة و الثوريّة على نطاق واسع في بلدان متنوّعة عبر العالم كانت تقف ضد حرب اليابان العدوانيّة على الصين .

و على قاعدة تحليل ملموس لمختلف القوى و نقاط ضعف اليابان و الصين ، أجمل ماو القول مجدّدا في أنّ " اليابان يمكن أن تطغى في أرض الصين في فترة معيّنة و إلى حدود معيّنة ، و أنّ الصين سوف تجتاز حتما فترة عصيبة ، و أنّ حرب المقاومة ضد اليابان ستكون حربا طويلة لا حربا سريعة ؛ و لكن الوجه الثاني ، وهو صغر اليابان و إنحطاطها و التأييد الهزيل الذى يتاح لها مقابل كبر الصين و تقدّمها و التأييد الواسع الذى تتمتّع به ، يقرّر بدوره أنّ اليابان لن يمكنها البغي و الطغيان إلى ما لا نهاية ، بل ستبوء حتما بالفشل النهائيّ ، و يقرّر كذلك أنّ الصين لن تسقط في يد العدوّ ، بل ستكسب النصر النهائيّ بصورة أكيدة . " (27) (م 2 ، ص 176)

كان ذلك صراعا إيديولوجيّا حادا تداعياته حيويّة في علاقة بالنضال العسكري المناهض لليابان . و في الوقت نفسه ، في بداية الحرب ، لم يكن من الواضح تماما ، ناظرين إلى السطح فحسب و دون تفحّص جوهر الأشياء ، أنّ الصين المتخلّفة تستطيع هزم اليابان المتقدّمة . و لهذا تعزّزت كثيرا نزعات الإستسلام و محاولة تجنّب حرب طويلة الأمد .

و قاوم ماو بشدّة أولئك الذين أرادوا تبنّى سياسة إستسلام و مهادنة أمام اليابان و الذين شجّعوا الفهم الخاطئ بأنّ هذا سيوقف تقدّم اليابان عبر الصين و يدفع اليابان إلى الإكتفاء بالإستيلاء على بعض الأجزاء لا غير من شمال الصين . و أبرز ماو الطبيعة الإمبرياليّة لليابان التي كانت في نزاع شرس مع القوى الإمبرياليّة الأخرى ، و دلّل على أنّ اليابان ليس بوسعها الإكتفاء بالإستيلاء جزئيّا على الصين و إنّما يتعيّن عليها أن تتوغّل عميقا لإجتياح داخل الصين .

و بالإعتماد على تحليل طبقيّ للقوى داخل الصين و كذا عالميّا و الصلة بين القوى الداخليّة و الخارجيّة ، أوضح ماو أنّ الكيومنتانغ " و بسبب إرتمائه في أحضان بريطانيا والولايات المتّحدة لن يستسلم لليابان ما لم تسمح له هاتان الدولتان بذلك." (28) (م2 ، ص 180) وهكذا ، أشار ماو إلى أنّ نزعة الإستسلام والمهادنة إزاء الإمبرياليّة اليابانيّة مع كبرها و خطورتها ، يمكن و سيتمّ تجاوزها بالإعتماد على الجماهير الشعبيّة الصينيّة و الأمّة الصينيّة ككلّ التي تفضّل في غالبيّتها مقاومة اليابان و تطالب بها .

و في الوقت نفسه ، دحض ماو الحجج الخاطئة لمنظّرى النصر العاجل و بيّن الوحدة الجوهريّة بين نظريّة سقوط الصين و نظريّة النصر العاجل . و متحدّثا عن أولئك الذين يدافعون عن النصر العاجل فسّر ماو بدقّة : " ليست عندهم الجرأة على الإعتراف بأنّ العدوّ قويّ و نحن ضعفاء " و يقيمون إستراتيجيّتهم على هذه النظرة الذاتيّة . (29) (م 2 ، ص 184) و بعد ذلك عن مثل هؤلاء الناس ، قال : " أمّا دعاة نظريّة النصر العاجل المتسرّعون فيعجزون عن تحمّل مشقّة الطريق للحرب الطويلة الأمد و يحاولون النصر العاجل ، فكلّما تحسّن الوضع بعض الشيء ، راحوا يثيرون ضجّة لخوض القتال الحاسم الإستراتيجي ، إذا طبقت نظريّتهم هذه فعلا ألحق ضرر جسيم بحرب المقاومة بأجمعها ، و قضي على الحرب الطويلة الأمد ، و نكون قد وقعنا بذلك فريسة للحيلة الخبيثة التي دبّرها العدوّ . حقّا إنّ ذلك أسوأ سياسة ، و لا شكّ أنّنا إذا رفضنا القتال الحاسم إضطررنا إلى التخلّى عن بعض أراضينا ، و عندما يكون ذلك حتميّا (عند ذلك فقط) ، لا يسعنا إلاّ أن نتخلّى عنها بجرأة . و عندما تتطلّب منّا الظروف أن نفعل ذلك ينبغي ألاّ نبدي أقلّ أسف ، لأنّ إعطاء بعض الأراضي لكسب الوقت هو سياسة صحيحة . " (30) (م 2 ، ص 254)

و صاغ ماو ردّا على الذين سمّوا هكذا سياسة سياسة عدم مقاومة ، مجليا حقيقة أنّه ما لم يتمّ تطبيق إستراتيجيا الحرب الطويلة الأمد و المبادئ المتنوّعة التي هي حتما جزءا منها ، و إذا تمّ تبنّى إستراتيجية منظّرى النصر العاجل ، عندئذ ، هذا سيسقط حتما الأمّة الصينيّة في موقع الخاضعة . و جاء تلخيص ماو لهذه النقطة على النحو التالي :

" إنّ اللامقاومة هي عدم محاربة العدوّ أبدا بل مهادنته ، وهي لا تستحقّ أن تستنكر فحسب ، بل لا نسمح بها أبدا . من واجبنا أن نخوض حرب المقاومة بعزم ، و لكن من الضروريّ تماما ألاّ نقع في حيلة العدوّ الخبيثة فتتعرّض قواتنا الرئيسيّة للدمار تحت ضربة العدوّ ممّا يؤثّر في مواصلة حرب المقاومة ، أو بعبادة واحدة ، أن نتفادى سقوط الوطن . أمّا أولئك الذين يشكّون في ذلك فهم قصيرو النظر في مسألة الحرب ، و من المحتّم أن ينضمّوا ، في نهاية الأمر ، إلى صفوف دعاة نظريّة سقوط الوطن . و لقد نقدنا نزعة الإستماتة التي تنادى بما يسمّى " التقدّم كلّ التقدّم بدون تراجع " ، و ذلك بالضبط لأنّه إذا عمّت هذه النزعة ، تعرّضنا لخطر عدم التمكّن من مواصلة حرب المقاومة ، الأمر الذى يؤدّى في آخر الأمر إلى سقوط الوطن . " (31) (م 2 ، ص 254-255)

و منجزا تلخيصا لأساس نوعي التفكير الخاطئين – نظريّة الإخضاع و نظريّة النصر العاجل – و صائغا الفهم الصحيح في تعارض معهما ؛ وضع ماو الصيغة المقتضبة التالية : " إنّ دعاة نظريّة سقوط الوطن يرون في العدوّ قوّة خارقة ، بينما تبدو الصين في نظرهم كأنّها خردلة ، و بالعكس فإنّ دعاة نظريّة النصر العاجل يعتبرون العدوّ خردلة بينما يرون في الصين قوّة خارقة . إنّ هؤلاء و أولئك مخطئون . أمّا نحن فنختلف عنهم جميعا ، إذ نرى أنّ حرب المقاومة سوف تكون حربا طويلة الأمد ، و أنّ النصر النهائيّ سوف يعود للصين – هذه هي إستنتاجاتنا ." (32) (م 2 ، ص 256)

مراحل ثلاثة فى حرب المقاومة

فى هذا العمل ، قام أيضا ماو بتحليل المراحل الأساسيّة التي ستمرّ بها حرب المقاومة ضد اليابان . فشرح أنّه ستوجد مراحل أساسيّة ثلاثة ، الأولى تغطّى مرحلة تكون فيها اليابان في هجوم إستراتيجي و تكون فيها حرب المقاومة الصينيّة في مرحلة دفاع إستراتيجي . و هي مرحلة ستكون فيها الحرب المتحرّكة الشكل الأساسي بينما حرب العصابات و حرب المواقع ستكون ثانويّة و مكمّلة للحرب المتحرّكة .

والمرحلة الثانية من الحرب ، قال ماو ، ستكون مرحلة التوازن الإستراتيجي . وفي هذه المرحلة ستكون حرب العصابات الشكل الأساسي ملحقَة بالحرب المتحرّكة لأنّ الهدف سيكون تهديد تعزيز العدوّ للمناطق التي يحتلّها و إستنزافه في مناطقه المحتلّة .

و المرحلة الثالثة ستكون مرحلة هجوم مضاد إستراتيجي لقوى مقاومة اليابان . و تجاوز هذه المرحلة سيقتضى مراكمة قوّة قوى الأمّة الصينيّة في مقاومة اليابان و كذلك سيقتضى إنعطافا في الوضع العالمي ليصبح وضعا مواتيا أكثر لحرب المقاومة الصينيّة . و في هذه المرحلة ستغدو الحرب المتحرّكة مرّة أخرى هي الرئيسيّة غير أنّ حرب العصابات ستستمرّ و ستنمو أهمّية حرب المواقع .

و بشكل عام ، تحليل ماو هذا لتطوّر الحرب ثبتت صحّته بالأحداث العمليّة للحرب ذاتها . و كما سيلخّص لاحقا عقب الظفر في الحرب المناهضة لليابان و في بداية حرب التحرير ضد تشانغ كايتشاك و أسياده الإمبرياليّين الأمريكان ، ثبُت أنّ أثناء الحرب المناهضة لليابان " تقسيم القوّات لخوض حرب العصابات كأسلوب رئيسيّ للقتال و إلى أسلوب حشد القوّات لخوض الحرب المتحرّكة كأسلوب ثانويّ ." (33) (م 4 ، ص 132) و بهذا ، آخذا بعين الإعتبار الحرب المناهضة لليابان ككلّ و محلّلا نجاح المعارك التي راكمتها لتحقيق نصر نهائيّ ، كان ماو يعنى أنّ حرب العصابات أضحت في المقام الأوّل في حين أضحت الحرب المتحرّكة في مقام هام لكن ثانويّ . و قد إرتبط هذا بواقع أنّ مرحلة التوازن الإستراتيجي في الحرب تبيّن أنّها طويلة إلى حدّ لا بأس به . في " **حول الحرب الطويلة الأمد** " ، صاغ ماو بعدُ مبدأ سيشكّل أساس واقع أنّ حرب العصابات دلّلت عمليّا أنّها الأوّليّة " بإعتبارنا للكلّ فإنّ الحرب المتحرّكة هي الشكل الرئيسي و حرب العصابات هي الشكل المساعد ، أمّا بإعتبارنا للجزء ، فتصبح حرب العصابات هي الشكل الرئيسيّ و الحرب المتحرّكة هي الشكل المساعد ." (34) (م 2 ، ص 161)

الناس و ليست الأسلحة هم المحدّدون فى الحرب

بينما تمّ في " **حول الحرب الطويلة الأمد** " رسم التوجّه الأساسيّ و المبادئ الإستراتيجيّة لحرب المقاومة المناهضة لليابان، و كجزء ضروريّ من هذا ، نقد ماو أيضا و دحض عددا من المفاهيم الخاطئة . و لهزم نظريّة الإخضاع القومي كان نقد الفهم الخاطئ ل " الأسلحة تحدّد كلّ شيء " . هذه النظرة التي تقلب الأمر رأسا على عقب كانت بطبيعة الحال دعامة قويّة تساند حجّة أنّ اليابان المتفوّقة في الأسلحة و التقنية تنزع إلى هزم الصين التي هي أدنى مستوى في هذه الأشياء .

و قد ردّ ماو بشدّة على حجج الذين تقدّموا بمثل هذا الخطّ :

" عندما يصل حديثنا إلى هنا سيتقدّم دعاة نظريّة سقوط الصين و نظريّة المهادنة قائلين : لا بدّ للصين ، من أجل الإنتقال من المركز المتفوّق عليه إلى حالة التوازن ، أن تحصل على قوّة عسكريّة و إقتصاديّة مساوية لقوّة اليابان ؛ أمّا من أجل الإنتقال من حالة التوازن إلى المركز المتفوّق فلا بدّ لها من أن تحوز قوّة عسكريّة و إقتصاديّة أكبر من قوّة اليابان ؛ لكن هذا مستحيل ، و بالتالى فإنّ النتيجة الآنفة الذكر غير سليمة .

و رأيهم هذا يسمّى نظريّة " السلاح يقرّر كلّ شيء " وهي نظريّة ميكانيكيّة إلى قضيّة الحرب ، و نظرة ذاتيّة و وحيدة الجانب إلى القضايا المطروحة . أمّا رأينا فعلى النقيض من ذلك ، إذ أنّنا لم نأخذ في الإعتبار عامل السلاح وحده بل أخذنا في الإعتبار أيضا عامل الإنسان . إنّ السلاح عامل مهمّ في الحرب ، لكنّه ليس العامل الحاسم ، فالعامل الحاسم في الحرب هو الإنسان لا المادة . إنّ نسبة القوى لا تعنى نسبة القوّة العسكريّة و الإقتصاديّة وحدها بل تعنى أيضا نسبة القوى البشريّة و ما تبديه القلوب من عطف أو نفور . فالقوّة العسكريّة و الإقتصاديّة تتطلّب هيمنة الإنسان عليها . فإذا وقفت الأغلبيّة العظمى من الصينيّين و اليابانيّين و سكّان بلدان العالم إلى جانب حرب المقاومة ضد اليابان ، فهل هناك مبرّر لإعتبار القوّة اليابانيّة العسكريّة و الإقتصاديّة التي تملكها عنوة قلّة من الناس متفوّقة ؟ و إذا لم تكن هي المتفوّقة أفلا تصبح الصين التي تمتلك القوّة العسكريّة و الإقتصاديّة المتفوّق عليها نسبيّا هي القوّة المتفوّقة بالمقابل ؟ " (35) (م 2 ، ص 200)

ضد التفوقّ التقني لليابان ، شدّد ماو على أنّ قوّة هذه الجماهير الصينيّة المقادة والمستنهضة سياسيّا لخوض حرب مقاومة، بوسعها ، في ترافق مع الخطّ العسكريّ الصحيح إعتمادا على مبدأ حرب الشعب ، أن تؤدّى إلى النصر . و قد وضع ماو الأمر على هذا النحو : " إذا عبّأنا أبناء الشعب جميعا إستطعنا أن نخلق بذلك محيطا زاخرا يبتلع العدوّ ، و بالتالى نخلق الظروف التي تعوّض عن نقصنا في السلاح والأشياء الأخرى ، و نضع المقدّمات للتغلّب على جميع المصاعب فى الحرب." (36) (م 2 ، ص 216)

و متحدّثا أكثر عن العلاقة بين الناس و الأسلحة و حاجة الشعب الصينيّ و الجيش الثوريّ و الحزب الشيوعي الصينيّ يقودهما ، إلى معالجة صحيحة لهذه العلاقة ، إعتبر ماو : " يتطلّب إصلاح النظام العسكري جعل الجيش حديثا و تحسين

عتاده التكنيكي ، و بدونهما لن نستطيع أن نطرد العدوّ إلى ما وراء نهو يالو . كما أنّ إستخدام القوّات يتطلّب إستراتيجية و تكتيكا مرنين تقدّميّين ، و بغير ذلك يستحيل علينا إحراز الإنتصار . بيد أنّ أساس الجيش هو جنوده ، إذا لم ننفخ فيهم روحا سياسيّة تقدّميّة ، و إذا لم نقم بعمل سياسي تقدّميّ من أجل هذا الغرض ، فلن نستطيع التوصّل إلى وحدة حقيقيّة بين الضبّاط و الجنود ، و لا إثارة حميّتهم في حرب المقاومة إلى الدرجة القصوى ، و بالتالى لن تجد جميع أنواع تكنيكنا و تكتيكنا أفضل أساس لإظهار فعاليّاتها كما ينبغي . " (37) (م 2 ، ص 260)

و في صلة وثيقة بهذا ، أوضح ماو أهمّية ما سمّاه " الدور الفعّال لوعي الإنسان " لا سيما في علاقة بالحرب ، و أنّه بالرغم من أنّ الظروف الموضوعيّة - نقاط قوّة و نقاط ضعف الجانبين المتنازعين في حرب – تحدّد إمكانيّة الإنتصار أو الهزيمة، مع ذلك ، فإنّها لا تحدّد مآل الحرب . التحقيق العمليّ للإنتصار أو الهزيمة الفعليّة سيرتهن أيضا بالعامل الذاتي ، تحديدا مفهوم قيادة الحرب و خوضها . و من هنا ، أهمّية خطّ عسكريّ صحيح في علاقة وثيقة بخطّ سياسي عام صحيح ، و من هنا أهمّية دراسة قوانين الحرب و المظاهر الملموسة لحرب تخاض ، و تأكيد ماو على تعلّم الحرب أثناء خوض الحرب .

و جاء تشديد ماو في آن معا بالمعنى العام على أنّه لا يمكن فصل الحرب عن السياسة كما لا يمكن فصل الخطّ العسكريّ عن الخطّ السياسي العام ، و من الجهة الأخرى ، أنّ للحرب مظاهرها و قوانينها الخاصّة ، و هذا لا يمكن أن يُسوّي ببساطة مع السياسات العامة لكن يجب أن يدرس بالملموس و يتمّ العمل إنطلاقا منه ، و تلخيصه و تطويره في خضمّ خوض حرب ثوريّة . بإختصار ، أعلن ماو أنّه كان من غير الممكن كسب حرب ثوريّة دون من جهة توسيع التعبأة السياسيّة و تسليح الجماهير لخوض واعي و دعم النضال و من جهة أخرى ، دون التطبيق الملموس لخطّ عسكريّ صحيح . يجب أن يتركّز هذا الخطّ العسكري على واقع أنّ الحرب حرب عادلة ، حرب الشعب ، و في الوقت ذاته ، يجب أن يتجذّر في الظروف الملموسة للصين وقتها في إطار الوضع العالمي و النضال العالمي .

وهو يتّبع بالضبط هذا المنهج ، لم يصغ ماو و لم يقاتل من أجل إستراتيجيا أساسيّة لحرب الشعب و حسب و إنّما لخّص و كثّف تماما تكتيكات خوض مثل هذه الحرب :

" المبدأ القتالي السابق الذكر حول الحملات و المعارك يمكن أن يُصاغ في عبارة واحدة هي " عمليّات هجوميّة سريعة في الخطّ الخارجي " وهو نقيض مبدئنا الإستراتيجيّ القائل : " حرب دفاعيّة طويلة الأمد في الخطّ الداخليّ " ؛ لكن الأوّل مبدأ لا غنى عنه من أجل تحقيق هذا المبدأ الإستراتيجي ." (38) (م 2 ، ص 224)

و " الخطوط الداخليّة " تُحيل على وضع يكون فيه الجيش الخاص محاصرا من قبل العدوّ . و إستراتيجيّا ، كان ذلك الوضع فى معظم حرب الصين المقاومة المناهضة لليابان . و مع ذلك ، مطبّقا بإقتدار الماديّة الجدليّة ، طوّر ماو المبادئ العمليّة للإنقلاب التكتيكي على هذا الوضع ، بأنّه في قتال معارك أو حملات محاصرة أجزاء من العدوّ ، يجب إجبارها على المعارك في وضع غير مواتي حيث ليس لديها سوى خطوط داخليّة . و إنجاز هذا يرتهن بإستراتيجيا إرساء قواعد الإرتكاز و بالمبدأ الحيوي لإستدراج العدوّ إلى العمق و التغلغل في اراضى الصين .

و في الآن نفسه ، لأنّ إستراتيجيا العدوّ كانت أكثر قوّة و حاصرت الجيش الثوريّ ، كان من اللازم شنّ معارك هجوميّة للإبادة و شنّ معارك إنتصارات سريعة و عدا ذلك ، إحتياطات التفوّق العام لقوّات العدوّ يمكن أن تستخدم بما يحوّل الميزة التكتيكيّة للجيش الثوريّ إلى ضدّها ، و ستكون النتيجة بالأحرى الهزيمة بدلا من الإنتصار . و علاوة على ذلك ، كما فعل طوال كلّ المسيرة الكبرى و في المعارك قبلها ، طوّر ماو و طبّق مبدأ بلوغ المبادرة و المرونة ضمن الوضع حيث كان العدوّ متفوّقا إستراتيجيّا . و مرّة أخرى ، وهو يطبّق مبدأ " الدور الفعّال لوعي الإنسان " ، ساق ماو ملاحظة أنّه :

" بسبب صحّة القيادة الذاتيّة أو خطئها ، يمكن في مجرى النضال أن يتحوّل الضعف إلى تفوّق و الحرج إلى مبادرة ، أو العكس بالعكس . و عجز كلّ أسرة ملكيّة حاكمة عن قهر الجيوش الثوريّة ، يبيّن أنّ مجرّد التمتّع بنوع من التفوّق لا يكفى لضمان المبادرة ، فضلا عن ضمان النصر النهائيّ . فإنّ المبادرة و النصر يمكن أن ينتزعهما الطرف الذى يكون في ضعف و حرج من يد الطرف الذى يملك زمام التفوّق و المبادرة ، بعد أن يبذل ، وفقا للأوضاع الواقعيّة ، نشاطا ذاتيّا لتوفير بعض الظروف المعيّنة . " (39) (م 2 ، ص 231)

تطبيق الماركسيّة على ظروف الصين

كانت تحاليل ماو هذه للمبادئ الأساسيّة الرئيسيّة للحرب الثوريّة في ظروف الصين حينها ضروريّة للظفر في حرب المقاومة المناهضة اليابان و تقدّم الثورة الصينيّة عامة . و في صياغته و قتاله من أجل الخطّ العسكريّ الصحيح لحرب المقاومة المناهضة لليابان و من أجل حرب ثوريّة في الصين عموما ، كان على ماو كما أسلفنا الذكر ، ليس أن يُطبّق المبادئ الماركسيّة و حسب على الوضع في الصين و إنّما كان عليه أيضا أن يقاتل نزعات غالطة متنوّعة ، خاصة تلك التي حاولت أن تنسخ ميكانيكيّا و تطبّق في الصين تجربة ثورة أكتوبر في روسيا التي أرست توجّها إستراتيجيا للثورة و إفتكاك السلطة في البلدان الرأسماليّة .

و ألّف ماو " **قضايا الحرب و الإستراتيجية** " في نوفمبر 1938 لمواجهة هذه الخطوط الخاطئة و فيه أجلى الإختلاف بين بلد كالصين – بلد مستعمر أو شبه مستعمر – و البلدان الرأسماليّة . و صرّح بوجه خاص :

" إنّ الأحزاب الشيوعيّة في الدول الرأسماليّة ، فيما يتعلّق بمسألة الحرب ، تعارض الحروب الإمبرياليّة التي تشنّها بلدانها؛ فإذا ما نشبت مثل هذه الحروب ، فإنّ سياسة هذه الأحزاب هي السعي لهزيمة الحكومات الرجعيّة القائمة في بلدانها . و إنّ الحرب الوحيدة التي تريد هذه الأحزاب خوضها هي الحرب الأهليّة التي تعدّ لها العُدّة . إلاّ أنّه يجب ألاّ تشنّ الإنتفاضة و الحرب الأهليّة قبل أن تصبح البرجوازيّة عاجزة بالفعل ، و قبل أن تعقد أغلبيّة البروليتاريا عزمها على القيام بالإنتفاضة المسلّحة و خوض الحرب ، و قبل أن تصبح جماهير الفلاّحين مستعدّة لتقديم المساعدة إلى البروليتاريا بمحض إرادتها . و عندما يحين الحين لشنّ الإنتفاضة و الحرب ، يجب الإستيلاء على المدن أوّلا ثمّ الزحف على الريف ، و ليس العكس . و على هذا النحو عملت الأحزاب الشيوعيّة في الدول الرأسماليّة ، كما أثبتت ثورة أكتوبر (تشرين الأوّل) في روسيا صحّة ذلك .

بيد أنّ الأمر يختلف بالنسبة إلى الصين . فخصائص الصين هي أنّها ليست دولة ديمقراطيّة مستقلّة ، بل هي بلد شبه مستعمر و شبه إقطاعي لا يوجد فيه نظام ديمقراطي بل إضطهاد إقطاعي ، و لا يتمتّع في علاقاته الخارجيّة بالإستقلال الوطني ، بل يتعرّض للإضطهاد من قبل الإمبرياليّة . و تبعا لذلك ، لا يوجد في الصين برلمان نستطيع الإفادة منه ، و لا حقوق شرعيّة تسمح لنا بتنظيم العمّال من أجل الإضراب . فمهمّة الحزب الشيوعي هنا ، من الناحية الأساسيّة ، ليست هي إجتياز فترة طويلة من النضال الشرعي ثمّ الإنتقال إلى شنّ الإنتفاضة و الحرب ، و ليست هي الإستيلاء على المدن أوّلا ، ثمّ إحتلال الريف ، بل هي العمل على النقيض من ذلك . " (40) (م 2 ، ص 304-305)

و عند تلخيصه تاريخ الثورة الصينيّة إلى لحظتها ، إستخلص ماو بقوّة الدرس الأساسي أنّه دون نضال مسلّح كأهمّ شكل سيكون من غير الممكن التقدّم بالحركة الثوريّة . و ألمح إلى أنّ الحزب الشيوعي الصيني أخفق في البداية في الإستيعاب التام لهذا و أنّه ، حتّى بعد بلوغ هذا الفهم الأساسيّ ، أدّت خطوط منحرفة سياسيّة و عسكريّة ، إلى إنتكاسات في النضال المسلّح ضد تشانغ كايتشاك عقب خيانته التامة سنة 1927 و إلى هزائم جدّية و إنتكاسات في قتال الحملة الخامسة ل " التطويق و الإبادة " بوجه خاص . و في هذا العمل ، خطّ ماو تصريحه الذى أضحى الآن شهيرا بأنّ " من فوّهة البندقيّة تنبع السلطة السياسيّة " و أكّد على أنّه من الضروريّ على جميع الشيوعيّين أن يستوعبوا تماما هذا المبدأ .

وفي تلك المناسبة ، أعاد تأكيد المبدأ الحيوي بأنّه يجب على الحزب أن يقود النضال المسلّح والجيش الثوريّ وليس العكس. و مثلما وضع ذلك حينها : " إنّ مبدأنا هو أنّ الحزب يوجّه البنادق ، و لن نسمح للبنادق أبدا بأنّ توجّه الحزب " . و ربط ماو هذا بالمسألة الهامة للغاية ، مسألة خوض حرب العصابات بنجاح ، مشدّدا على أنّه فقط بقيادة الحزب الشيوعي يمكن لحرب العصابات أن تستمرّ و كلّ من الحرب المتحرّكة المكمّلة و في نقطة معيّنة تتطوّر إلى حرب نظاميّة .

و في إنسجام مع هذا ، ختم ماو هذا العمل بالتأكيد مرّة أخرى على أهمّية دراسة النظريّة و الإستراتيجيا العسكريّتين و مزيد تعزيز كامل الحزب في إستيعابه ليس للخطّ السياسي الصحيح عامة و حسب بل بوجه خاص إستيعاب الشؤون العسكريّة و قوانين الحرب الثوريّة و مبادئها . و كان هذا حيويّا في تطوير تطبيق السياسات و التكتيكات الصحيحة و قيادة الجماهير في خوض حرب المقاومة المناهضة لليابان الطويلة الأمد .

و في خضمّ هذه الحرب ، لم يلخّص ماو و يقدّم مزيد القيادة لتطوير الحرب الثوريّة في الصين ذاتها فحسب بل تابع عن كثب و حلّل تطوّر النضال العالمي و الحرب العالميّة التي إندلعت في 1939 . و بوجه خاص ، في لحظة مبكّرة من المعركة التاريخيّة لستالينغراد في الإتّحاد السوفياتي ، نبّه ماو إلى أنّ هذا سيكون بالفعل منعطفا لكامل الحرب العالميّة الثانية . ففي

12 أكتوبر 1942 ، خطّ ماو إفتتاحيّة لجريدة " **يوميّة التحرير** " في يانان (حيث كانت تقيم القيادة العامة للحزب الشيوعي) حلّل فيها تطوّر معركة ستالينغراد و تنبّأ بإنتصار الجيش السوفياتي و حصول نقطة إنعطاف في كامل الحرب لفائدة الإتّحاد السوفياتي ، و الشعب الصينيّ و القوى المتحالفة معهما عبر العالم . و قد تمّ تأليف هذا المقال لمزيد دحض التشاؤم و خُتِم بتصريح واضح جدّا : " يجب على جميع الذين ينظرون إلى الوضع العالمي في تشاؤم أن يبدّلوا وجهة نظرهم ." (41) (م 3 ، ص 146)

و بالفعل ، في غضون سنوات ثلاثة ، تحقّقت هزيمة الإمبرياليّين الفاشيّين اليابانيّين و الألمان و مجمل المحور الفاشيّ . و في الصين تمّ تحقيق ذلك على أساس تكريس الخطّ السياسيّ و الخطّ العسكريّ الثوريّين لماو تسى تونغ . و في " **حول الحكومة الإئتلافيّة** " ، وهو تقرير إلى المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الصينيّ قدّمه ماو تسى تونغ غداة الإنتصار في الحرب المناهضة لليابان ، قام ماو بتلخيص المسار الإنتصاري للحرب و دور القوّات المسلّحة في ظلّ قيادة الحزب الشيوعي لتلك الحرب . و أشار إلى أنّه في بداية الحرب ، حتّى صلب الحزب الشيوعي نفسه " إستخفّ بعض الناس بهذا الجيش ، معتقدين أنّ مقاومة اليابان يجب أن تعتمد بصورة رئيسيّة على الكومينتانغ ." (42) (م 3 ، ص 288) و تحدّث عن الجيش الثوريّ في ظلّ قيادة الحزب قائلا : " السبب في قوّة هذا الجيش يعود إلى أنّ كلّ أفراده يطيعون النظام عن وعي و إدراك ، و أنّهم تلاقوا و قاتلوا جنبا لجنب في سبيل مصلحة جماهير الشعب الواسعة و مصلحة كلّ الأمّة ، لا في سبيل مصلحة خاصة لأفراد معدودين أو زمرة ضيّقة . فالهدف الوحيد لهذا الجيش هو الوقوف بثبات إلى جانب الشعب الصيني و خدمته بكلّ أمانة و إخلاص ". (43) (ص 105 من " **مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ** " + م 3 ، ص 288-289)

تعبأة الجماهير

لخّص ماو و أكّد مرّة أخرى على أهمّية تعبأة الجماهير بشكل واسع من أجل الحرب و تنظيم الجماهير في مليشيات لتقاتل بالتنسيق مع قوّات جيش التحرير في المنطقة ، بينما في الآن نفسه ، تكون هناك قوّة أساسيّة من الجيش قادرة على القتال في مناطق مختلفة حسب المتطلّبات المختلفة للحرب . بكلمات أخرى ، كانت التعبأة التامة للأمّة الصينيّة من أجل حرب الشعب ، من أجل خوض الخطّ الإستراتيجي لحرب الشعب / الحرب الشعبيّة الطويلة الأمد و التكتيكات و المبادئ المتنوّعة للعمليّات التي طوّرها ماو للقتال في مثل هذه الحرب ، هي التي أدّت إلى النصر في حرب المقاومة المناهضة لليابان . و قد أوضح ماو بدقّة انّ قوّة تمثّل الطبقات الرجعيّة لن تكون قادرة على الإعتماد بالأساس على الجماهير و لا يمكنها أن تخوض فما بالك بأن تقود مثل هذه الحرب . بإختصار ، " لا يمكن الإنتصار على عدوّ الأمّة إلاّ بشنّ مثل هذه الحرب الشعبيّة . و السبب في فشل الكومينتانغ يعود بالضبط إلى أنّه يعارض الحرب الشعبيّة معارضة مستميتة ." (44) (م 3، ص 292)

و فعلا ، كما جرت ملاحظة ذلك في الفصل السابق من هذا الكتاب ، أثناء الحرب المناهضة لليابان ، بينما كان يقاتل في الكلام اليابانيّين ، تبنّى تشانغ كايتشاك موقفا سلبيّا و إنهزاميّا تجاه المعتدين اليابانيّين و ركّز معظم قوّتـه الناريّة ضد الحزب الشيوعي و القوّات المسلّحة و قواعد الإرتكاز التي كانت تحت قيادته . لكن ، في ظلّ قيادة ماو تسى تونغ ، تصدّى الحزب الشيوعي الصينيّ لمثل هذه الهجمات و حافظ في الوقت ذاته على الجبهة المتّحدة ضد اليابان و على إستقلاليّته و مبادرته . و كرّس الخطّ السياسي و الخطّ العسكري لماو و على هذا الأساس توسّعت كثيرا القوّات المسلّحة و قواعد الإرتكاز تحت قيادته و لعب الدور القياديّ و الحيويّ في تعبأة الأمّة الصينيّة لخوض حرب الشعب ، في شكل حرب مقاومة طويلة الأمد، و في النهاية هُزم اليابان .

و غداة النهاية المظفّرة لهذه الحرب ، إستخلص ماو دروسها الأساسيّة و الأسباب الكامنة لسياسات و تصرّفات القوى المتباينة المشاركة فيها ، و نظر إلى الأمام و سلّح سياسيّا الحزب الشيوعي الصيني كما سلّح الجماهير الشعبيّة العريضة بفهم أنّها لا تستطيع التخلّى عن أسلحتها و تربط نفسها بالكيومنتانغ الذى كان يحاول أن يقطف ثمار الإنتصار الذى دفع ثمنه الشعب الصيني دما في الحرب المناهضة لليابان . و في هذا العمل ، نعثرعلى تصريح آخر من تصريحات ماو الشهيرة ، " بدون جيش شعبيّ ، لن يكون هناك شيء للشعب . " (45) (م 3 ، ص 336 + ص 105 من " **مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ** "). و تمّ التشديد على هذه النقطة الحيويّة ليس في تلخيص كامل الحرب المناهضة لليابان و الثورة الصينيّة إلى تلك اللحظة فحسب بل كذلك في خوض النضال حينها و الإعداد لمواصلة الثورة في الوضع بالضبط إثر تلك الحرب و خوض النضال قُدُما في المرحلة التالية .

و عندما رفض تشانغ كيتشاك إنجاز إصلاح ديمقراطي و تفكيك نظامه للحزب الواحد ، و بدلا من ذلك ، حاول الإستيلاء على السلطة عبر الصين قاطبة ، شانّا حربا أهليّة ضد الحزب الشيوعي و القوّات المسلّحة و قواعد الإرتكاز تحت قيادته ؛ قاد ماو الحزب الشيوعي و الجماهير الصينيّة في خوض حرب ثوريّة ضد الحرب المعادية للثورة لتشانغ كايتشاك و داعميه الأمريكان . و في إرشاده لهذا النضال المسلّح ، طبّق ماو مبادئ و إستراتيجية الحرب الثورّة التي تطوّرت في ظلّ قيادته في الثورة الصينيّة إلى تلك اللحظة .

حشد قوّة أكبر

في مقال كُتب في سبتمبر 1946 ، " **أحشدوا قوّات متفوّقة لإبادة قوّات العدوّ واحدة بعد الأخرى** " ، رسم ماو التوجّه للحزب الشيوعيّ الصينيّ و الجيش الثوري و الجماهير الصينيّة في تكريس إستراتيجية حرب الشعب و بوجه خاص خوض معارك الإبادة لإلحاق الهزيمة بعدوّ كان في بداية الحرب متفوّقا عدديّا و متفوّقا في الأسلحة و متفوّقا تكنولوجيّا . معتمدا على ذات مبادئ حرب الشعب كما تنطبق على الوضع الملموس حينها ، كتب ماو :

" في الحرب الأهليّة الحاليّة و قد تغيّرت الظروف فينبغى لنا أن نغيّر أسلوب القتال أيضا ، ينبغي لجيشنا ان يحشد قوّاته لخوض الحرب المتحرّكة كأسلوب رئيسيّ للقتال ، و يقسم قواته لخوض حرب العصابات كأسلوب ثانويّ . و ينبغي لجيشها في الظروف الحاليّة التي زوّد فيها جيش تشيانغ كاي شيك بأسلحة أكثر قوّة ، أن يولي أهمّية خاصة لأسلوب حشد قوّات متفوّقة لإبادة قوّات العدوّ واحدة بعد أخرى ." (46) (م 4 ، ص 132)

و في أكتوبر 1946 ، ألّف ماو " **تلخيص عن ثلاثة أشهر** " فيه حلّل تطوّر حرب التحرير ضد تشانغ كايتشاك و الإمبرياليّين الأمريكان في مرحلته الأولى إلى وقتذاك . و كما تمّ التعريج على ذلك في الفصل السابق من هذا الكتاب ، عند هذه النقطة من تطوّر الثورة الصينيّة ، نشأ صراع شديد في صفوف الحزب الشيوعي الصيني حول مسألة ما إن كان من الممكن أم لا خوض حرب ثوريّة ناجحة ضد تشانغ كايتشاك و الإمبرياليّة الأمريكيّة تدعمه . و بدأ ماو هذا " التلخيص " بإعادة التأكيد القويّ على توجيه اللجنة المركزيّة المؤرّخ في 20 جويلية من تلك السنة – أنّه بالفعل بالإمكان قهر تشانغ كايتشاك و أنّ كلّ الحزب يجب أن تسوده ثقة كاملة فى هذا .

ثمّ إنتقل ماو إلى تحليل " التناقضات السياسيّة و الإقتصاديّة الأساسيّة التي لا يستطيع تشيانغ كاي شيك ان يحلّها و التي تشكّل السبب الأساسي في كون إنتصارنا أكيدا و هزيمته حتميّة " . (47) (م 4 ، ص 141) و مضى إلى تحليل التناقضات الخاصة في المجال العسكريّ التي ستمثّل السبب المباشر لإنتصار القوّات الثوريّة و هزيمة تشانغ كايتشاك – تحديدا واقع أنّ خطوط جبهة تشانغ كانت ممتدّة جدّا و أنّه على المدى البعيد سيفتقر إلى القوّات .

و مع ذلك ، لترجمة هذا إلى إنتصار فعليّ كان من الضروري التبنّى و التطبيق الصارمين للمبادئ الأساسيّة للقتال حسب طريقة حشد قوّة أكبرلإبادة قوّات العدوّ الواحدة تلو الأخرى ؛ قتال معارك إنتصار حيويّ ، و كما قال ماو ، القتال حينما تكون الظروف مواتية و تجنّبها حينما لا تكون الظروف مواتية ؛ القتال بطريقة تكتيكيّة على الخطوط الخارجيّة هجوميّا و في معارك قرار سريع . و هذه و غيرها من المبادئ الأساسيّة التي طوّرها ماو تسى تونغ في مسار الحروب الثوريّة في الصين ، و خاصّة حرب المقاومة ضد اليابان ، لا تزال صالحة و وجب تطبيقها في الحرب ضدّ قوّات تشانغ كيتشاك زمنها لأجل بلوغ إنتصار فعليّ . (48) (م 4 ، ص 170)

و في برقيّة " **حول مبدأ العمليّات في ميدان الحرب في الشمال الغربيّ** " أرسلها ماو تسى تونغ إلى جيش الشمال الغربي الميداني في أفريل 1947 ، أكّد على أهمّية إبقاء العدوّ مشغولا و إنهاكه و إنقاص تزوّده بالمواد الغذائيّة إلى أبعد الحدود ثمّ شنّ الهجوم لإبادته . دون القيام بهذا ، قال ماو ، لن يمكن إحراز النصر النهائيّ .

و مجدّدا ، أثناء هذه الحرب التحريريّة ضد تشانغ كايتشاك و إمبرياليّى الولايات المتّحدة الذين يدعمونه ، ظهر صراع في صفوف الحزب الشيوعي الصيني حول مسألة التخلّى المؤقّت من عدمه عن بعض الأراضي لأجل إستدراج قوّات تشانغ كايتشاك و تقسيمها و هزمها الواحدة تلو الأخرى .

و بشكل خاص ، سنة 1947 ، حشد تشانغ كايتشاك قوّات كبيرة ليهاجم مباشرة منطقة يانان ، قاعدة الإرتكاز حيث تقيم القيادة العامة للحزب الشيوعي الصيني و قيادة جيش التحرير الشعبيّ . و إزاء هذا ، حاجج البعض في الحزب الشيوعي الصيني بأنّه من الخطأ الانسحاب المؤقّت من منطقة يانان و بدلا من ذلك يجب خوض قتال شامل للدفاع عنها .

و هزم ماو هذا الخطّ الخاطئ و قدّم القيادة و التوجيه للقوّات التحريريّة في القيام بإنسحاب تكتيكيّ و محاصرة و عزل و تقطيع و إبادة قوّات كبيرة من جيش تشانغ كايتشاك الواحدة تلو الأخرى بإستخدام طرق الحرب المتحرّكة و المبدأ الأساسيّ لحشد قوّة أكبر في المعارك ، و القتال هجوميّا و قهر العدّو في حرب قرار سريع .

المرور إلى الهجوم

و مثّل النجاح الرائع في هذه الحملة العسكريّة منعرجا في حرب التحرير . و في سبتمبر 1947 ، صاغ ماو التوجيه الداخلي للحزب تحت عنوان **" المبدأ الإستراتيجي في السنة الثانية من حرب التحرير "** الذى عرض فيه مهمّة خوض الحرب في مناطق الكيومنتانغ و التحوّل من الموقع الإستراتيجي للقتال على الخطوط الداخليّة إلى القتال على الخطوط الخارجيّة – أي المرور من الدفاع الإستراتيجي الذى كان خلاله العدوّ يحاصر و يهاجم إلى الهجوم الإستراتيجي و فيه كان جيش التحرير يحاصر العدوّ و يهاجمه .

طوال هذه الفترة ، شنّ جيش التحرير الهجوم عبر البلاد قاطبة ما قاد في غضون سنتين إلى الإنتصار التام في حرب التحرير. ورسم ماو إستراتيجيا هذا الهجوم معلنا :" إنّ مبادئ العمليّات لجيشنا لا تبرح تلك المبادئ المحدّدة في الماضي." (49) (م 4 ، ص 184)

و في **" الوضع الراهن و مهمّاتنا "** ، المكتوب في ديسمبر 1947 ، أرسى ماو شكلا متطوّرا أكثر لهذه المبادئ العمليّاتيّة الأساسيّة التي صارت معروفة بالمبادئ العشر الكبرى للعمليّات .

" هذه هي مبادئنا العسكرية :

1- مهاجمة قوات العدوّ المتفرّقة و المعزولة اوّلا ، ثم قوّات العدوّ المركزة و القويّة .

2- الإستيلاء اوّلا على المدن الصغيرة و المتوسّطة و المناطق الريفيّة الواسعة ، ثم المدن الكبرى .

3- أن يكون الهدف الرئيسي إبادة قوّات العدوّ و ليس المحافظة على مدينة أو أرض ينجم عن إبادة قوّات العدوّ ، و لا يمكن فى الغالب المحافظة على مدينة او أرض أو الإستيلاء عليها بصورة نهائيّة إلاّ بعد أن تتداولها الأيدي عدّة مرّات .

4- حشد قوات متفرّقة تفوّقا مطلقا (تفوق قوّات العدوّ ضعفين أو ثلاثة أضعاف أو أربعة حتّى خمسة أو ستّة أضعاف فى بعض الأحيان) فى كلّ معركة ، و تطويق قوّات العدوّ تطويقا تاما ، و السعي فى إبادتها كلّيا دون أن يتمكّن واحد منها من الإفلات . و إستخدام أسلوب تسديد ضربات ساحقة للعدوّ فى حالات خاصة ، أي حشد جميع قوّاتنا للهجوم على مقدّمة العدوّ و على أحد جناحيه أو كليهما معا بغية إبادة قسم من قوّاته و تشتيت قسم آخر حتّى يستطيع جيشنا أن ينقل قوّاته بسرعة لسحق قوّات أخرى للعدوّ . و لا بدّ أن نعمل بقدر الإمكان على تفادى المعارك المنهكة التى تكون فيها المكاسب أقلّ من الخسائر أو تعادلها . و على هذا النحو نستطيع ، رغم أنّنا أضعف من العدوّ من حيث الكلّ (من حيث العدد) ، أن نحوز التفوّق المطلق فى كلّ جزء و فى كلّ حملة معينة ، و ذلك مما يضمن لنا النصر فى الحملات . و مع مرور الزمن سنحوز التفوق من حيث الكلّ و نبيد جميع قوّات العدوّ فى نهاية المطاف .

5- وجوب الإمتناع عن خوض أي معركة بدون إستعداد سابق أو أي معركة لا نتأكّد فيها من النصر ، وبذل أكبر الجهود فى الإستعداد لكلّ معركة ، و بذل أكبر الجهود فى الإستعداد لكل معركة ، و بذل أكبر الجهود لضمان النصر على أساس الظروف القائمة لدينا و لدي العدوّ.

6- إظهار روح البسالة فى القتال و الإقدام على البذل و التضحية و إحتمال التعب و الإعياء و الصمود فى القتال المتواصل (أي خوض معارك متتالية فى فترة قصيرة بدون راحة) .

7- السعي لإبادة العدوّ بقدر الإمكان أثناء التحرّكات . و فى الوقت نفسه ، يجب الإهتمام بتكتيكات مهاجمة مواقع العدوّ بغية الإستيلاء على معاقله و مدنه .

8- فيما يتعلّق بمهاجمة المدن ، يجب الإستيلاء بحزم على جميع المعاقل و المدن التى يضعف فيها دفاع العدو ، و يجب الإستيلاء كذلك فى الوقت الملائم على كلّ معقل أو مدينة للعدوّ ذات قوّة دفاعيّة متوسّطة، بشرط أن تسمح الظروف بذلك . أمّا جميع معاقل العدوّ ومدنه المنيعة فينبغى الإنتظار ريثما تنضج الظروف ، و حينذاك يستولى عليها .

9- سدّ النقص فى قواتنا بجميع الأسلحة التى نغنمها من العدوّ و بمعظم الرجال الذين نأسرهم . فجبهة القتال هي المورد الرئيسيّ الذى يمدّ جيشنا بالرجال و العتاد .

10- أن نحسن الإستفادة من الفترة التى تتخلّل كلّ معركتين لإراحة قوّاتنا و إعادة تنظيمها و تدريبها . و ينبغى ، عموما ، ألاّ تطول فترة الراحة وإعادة التنظيم و التدريب أكثر من اللازم ، حتّى لا نترك للعدوّ، بقدر المستطاع ، فرصة للراحة .

هذه هي الوسائل الرئيسية التى إستخدمها جيش التحرير الشعبيّ فى قهر تشيانغ كاي شيك. وهي النتيجة التى أحرزها هذا الجيش أثناء تمرّسه بقتال الأعداء المحلّيين و الأجانب خلال سنوات طويلة ، وهي وسائل ملائمة تماما لوضعنا الراهن ... إنّ إستراتيجيّتنا و تكتيكنا يستندان إلى الحرب الشعبيّة ، فلا يستطيع أيّ جيش معاد للشعب إستخدامها . "

" **الوضع الراهن و مهمّاتنا** " (25 ديسمبر – كانون الأوّل- 1947) ، **مؤلّفات ماو تسي تونغ المختارة** ، المجلّد الرابع ، صفحة 206-207 + " **مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ** " ، صفحة 100-101-102-103 .

و مرّة أخرى ، في هذا العمل (" **الوضع الراهن و مهمّاتنا** ") التي تمّت كتابته في اللحظة التي مرّ فيها جيش التحرير إلى الهجوم الإستراتيجي و كان الإنتصار يلوح في الأفق ، قام ماو بتلخيص الأهمّية الحيويّة للحظة سابقة من هذه الحرب ، في الواقع عند بداياتها الأولى ، للتقييم الصحيح للوضع المحلّى و العالمي و على هذا الأساس الإعراف بإمكانيّة خوض حرب ثوريّة مظفّرة ضد الحرب المعادية للثورة التي كان تشانغ كايتشاك أطلقها ، فأشار ماو إلى أنّه في مستهلّ الحرب ، عندما إستولى تشانغ كايتشاك في البداية على بعض المدن و توسّع في أراضي ، أضحى منتفخا متكبّرا و إستهان بإستراتيجيا جيش التحرير - القتال أوّلا إنطلاقا من الدفاع الإستراتيجي - إعتبارا للضعف الإستراتيجي لجيش التحرير . و قال ماو :

" قد قلنا حينذاك أنّ تفوّق تشيانغ كاي شيك في القوى العسكريّة ليس سوى ظاهرة عابرة و عامل يلعب دورا مؤقّتا فقط ؛ و إنّ معونة الإمبرياليّة الأمريكيّة هي أيضا عامل يلعب دورا مؤقّتا ؛ و لكن طابع حرب تشيانغ كاي شيك المعادية للشعب، و مشاعر الشعب هما بالتحديد عاملان يلعبان دورا دائما ؛ و إنّ التفوقّ من هذا القبيل في حوزة جيش التحرير الشعبيّ . إنّ الحرب بطابعها الوطني و العادل و الثوري التي يخوضها جيش التحرير الشعبي لا بدّ أن تحظى بتأييد شعب البلاد كلّها . و هذا هو الأساس السياسي للإنتصار على تشيانغ كاي شيك . وقد أكّدت تجربة 18 شهرا من الحرب صحّة حكمنا هذا تمام التأكيد ." (50) (م 4 ، ص 205-206)

و لم يشدّد ماو على أنّ المبادئ العسكريّة الكبرى للجيش الثوري المتطوّرة في خضمّ الحرب السابقة لا تزال صحيحة و قابلة للتطبيق فحسب بل شدّد مجدّدا على أنّه سيكون من غير الممكن لجيش تشانغ كايتشاك إستخدام هذه المبادئ . و لاحظ أنّ تشانغ كايتشاك و الإمبرياليّين الأمريكان كانوا واعين تمام الوعي بإستراتيجيا و مبادئ جيش التحرير الشعبي بيد أنّ هذه المعرفة لم تقدر على إنقاذ تشانغ كايتشاك من الهزيمة . و صرّح ماو بصورة دقيقة : " إستراتيجيّتنا و تكتيكاتنا مبنيّة على أساس الحرب الشعبيّة ، فلا يستطيع أيّ جيش معاد للشعب أن يستخدمها ." (51) (م 4 ، ص 208)

حرب ثوريّة ، حرب الجماهير ، لا يمكن و لا يجب أن تخاض إلاّ وفق المبادئ العسكريّة التي هي في إنسجام مع الإعتماد على الجماهير و تعبأة قوّتها على أنّها عماد الحرب . و ليس بوسع حرب رجعيّة أبدا أن تخاض على هذا الأساس .

الجماهير هي الحصن الحديديّ

و العكس صحيح أيضا . ليس من الممكن أبدا خوض غمار الحرب الثوريّة دون الإعتماد على الجماهير الشعبيّة و تعبأتها كحصن حديدي حقيقيّ ، كما جاء على لسان ماو بصدد الحرب الثوريّة . و على سبيل المثال ، أشياء كشنّ هجمات مباغتة و تجنّب العدوّ و محاصرته و الانسحاب و تاليا تحويل الانسحاب إلى هجوم مضاد ، و حشد قوى أكبر للهجوم في معارك و حملات و عامة خوض حرب عصابات و حرب متحرّكة ، كلّ هذا يرتهن بالمساندة الصلبة للجماهير الشعبيّة . و في غياب هذا الدعم سيتمكّن العدوّ من إحباط عنصر المفاجأة من خلال كسب مخابراتيّ ، سيكون قادرا على إفشال محاولات هجمات مباغتة و فرار ، لتحديد اللحظة التي يحوّل فيها الانسحاب إلى هجوم مضاد إلخ و سيتمكّن من هزم محاولات خوض حرب متحرّكة و حرب العصابات .

لذا ، أيضا ، نظام لا يعوّل على الجماهير الشعبيّة لمساندته و مدّه بالتموين و بالجنود ، لكن مثل جيش تشانغ كايتشاك نجده مضطرّا إلى إنتداب جنود مأجورين لخدمته و لديه قاعدة تكنيكيّة قائمة على إستغلال الجماهير ، ينزع إلى أن تنخره التناقضات الداخليّة . و ينزع جيشه إلى التميّز بأخلاق متدنّية ، خاصة في ظروف حيث من الصعب جدّا الإشتباك مع العدوّ حسب معاييركم وحيث لا وجود لإنتصار عاجل. هذا تعبير عن حقيقة أنّ الناس وليست الأسلحة هم المحدّدون في الحرب .

الحملات الحيويّة الثلاث

لمّا شرع جيش التحرير الشعبيّ في الهجوم المضاد عبر البلاد و كان يقترب من ساعة النصر ، طوّر ماو تسى تونغ مبادئ خاصة لعمليّات الحملات الحيويّة الثلاثة في حرب تحرير الشعب الصينيّ ضد تشانغ كايتشاك و الإمبرياليّة الأمريكيّة . و كانت تلك هي حملات لياوش - شنيانغ وهواي - هاي و بيبينغ - تياجين . حينها خطّ ماو برقيّات أرسلت إلى القوّات المسلّحة لجيش التحرير الشعبيّ بصدد هذه الحملات . و بالفعل لم تكن **" حول مبدأ العمليّات في حملة لياوشى- شنيانغ "** و **" حول مبدأ العمليات في حملة بيبينغ – تياجين "** تعليمات عامة لإنجاز هذه الحملات الحيويّة و حسب بل كانت أيضا تمثّل صراعا حادا ضد الإنتهازيّين بمن فيهم خاصة لين بياو ، في قيادة هذه القوّات الخاصة لجيش التحرير الشعبيّ . كاشفا عن إنحرافه اليمينيّ ، أراد لين بياو أن يتلكّأ و كان يخشى شنّ هجوم شامل لإنجاز هذه الحملات الحيويّة – خاصة حملتي لياوشى - شنيانغ و بيبينغ – يانجين .

و نجم هذا عن نظرة لين بياو اليمينيّة و نزعته نحو المغالاة في تقدير العدّو و قد حدث هذا في عدّة مناسبات في لحظات حيويّة من تاريخ الثورة الصينيّة و وجه له ماو النقد في عدّة ظروف مفاتيح بما في ذلك تلك التي تعود إلى زمن بعيد ، إلى سنة 1930 لمّا كتب ماو **" ربّ شرارة أحرقت سهلا "** لمعارضة تشاؤم لين بياو و آخرين كانوا يقترفون إنحرافات يمينيّة . فى برقيّة **" حول مبدأ عمليّات في حملة بيبينغ – تيانجين "** المرسلة في 11 ديسمبر 1948 ، حذّر ماو لين بياو آخرين من أنّه " ينبغي ألاّ تبالغوا في أيّ حال من الأحوال في قدرة العدوّ القتاليّة " . (52) (م 4 ، ص 373)

بتنفيذ توجيهات ماو الخاصة بهذه الحملات الحيويّة و مع تحقيق الظفر ، صار إنتصار حرب التحرير مضمونا في الأساس. و طبعا ، مع ذلك ، كان من الضروريّ الخوض الحيوي للحرب ضد القوّات الرجعيّة لتشانغ كايتشاك إلى النهاية و سحقها كلّيا و تماما ، كما وضع ذلك ماو . عند هذه النقطة ، في أواخر 1948 – بدايات 1949، أخذ الإمبرياليّون الأمريكان و عملاؤهم بالكيومنتانغ ، وهم يواجهون الهزيمة الوشيكة ، في القيام بمحاولات المناورة سياسيّا و إستخدام تكتيكات ثنائيّة جديدة – أي لمواصلة الحرب ضد جيش التحرير الشعبي و في الآن نفسه محاولة تنظيم كتلة معارضة في صفوف الطرف الثوريّ تقسم صفوفه و تعقد " سلاما " مع الكيومنتانغ ، مبقية إيّاه بعدُ في السلطة . و من جديد ، قاد ماو الحزب الشيوعي الصيني و الجيش الثوري و الجماهير الصينيّة في الإستمرار بنجاح في خوض الحرب الثوريّة بالتوازي مع فضح مناورات مسؤولين من الكيومنتانغ مدعومين من الإمبرياليّة الأمريكيّة كانوا يسعون إلى ضمان " سلم مشرّف " حسب إطار رجعيّ.

و على هذا النحو ، تمّ كسب أوسع جماهير الشعب الصينيّ إلى الوحدة مع الحركة الثوريّة و كان العدوّ – الإمبرياليّة و الإقطاعيّة و الرأسماليّة البيروقراطيّة كما مثّلها الكيومنتانغ و داعميه الأمريكان – منعزلا إلى أقصى الحدود و في النهاية مُني بهزيمة ساحقة و شاملة . و هكذا ، عقب أكثر من 20 سنة من تقريبا حرب مستمرّة ، بلغت الصين في النهاية التحرّر

الوطنيّ و تحرّر الشعب الصينيّ من حكم الإمبرياليّة و الإقطاعيّة و الرأسماليّة – البيروقراطيّة . وفي غرّة أكتوبر 1949، تأسّست جمهوريّة الصين الشعبيّة بقيادة الطبقة العاملة و حزبها الشيوعي ، مع النصر المدوّى للكفاح المسلّح للشعب الصيني.

الدلالة العالميّة للخطّ العسكري لماو تسى تونغ

خلاصة القول ، كانت قيادة ماو تسى تونغ ، خطّه السياسي و خطّه العسكريّ الثوريّين ، هي التي أرشدت الشعب الصيني في تحقيق هذا النصر العظيم . و الخطّان السياسي و العسكري لماو تسى تونغ ، رغم صياغتهما في معمعان تطبيق الماركسيّة – اللينينيّة على الظروف الملموسة للصين أثناء ثورتها الديمقراطيّة الجديدة و رغم إحتوائهما على بعض السياسات الخصوصيّة المتّصلة بتلك الظروف ، هما في مبادئهما الأساسيّة ينطويان على دلالة عظيمة ليس للثورة الصينيّة و ليس تاريخيّا فقط بل بالنسبة إلى الثورات في البلدان المستعمَرة و شبه المستعمرة اليوم و بصفة أعمّ بالنسبة إلى النضالات الثوريّة لإفتكاك السلطة و الحروب الثوريّة . و من خلال قيادة الثورة الصينيّة التي كانت (كما جرت الإشارة إلى ذلك آنفا) منذ البداية إلى إفتكاك سلطة الدولة ، نضالا مسلّحا ، طوّر ماو و أثرى النظريّة و الإستراتيجية الماركسيّة للحرب و طوّر نظاما ماركسيّا شاملا للفكر العسكريّ له قيمة كبرى و دلالة كبرى بالنسبة إلى البروليتاريا العالميّة .

و كما مرّ بنا ذلك في الفصل السابق من هذا الكتاب ، تقريبا مباشرة بعد ظفر الثورة الصينيّة ، بداية من السنة التالية لتأسيس جمهوريّة الصين الشعبيّة ، مدّت الصين يد المساعدة إلى الشعب الكوريّ في مقاومته لحرب عدوان الإمبرياليّة الأمريكيّة ، و شارك متطوّعون صينيّون في هذه الحرب على نطاق واسع .

و قد جدّ صراع في صفوف الحزب الشيوعي الصيني و الجيش الأحمر حول الخطّ العسكريّ لخوض حرب المقاومة ضد العدوان الأمريكي و تقديم الدعم لكوريا . و آخذا بعين الإعتبار المظاهر الخاصة لتلك الحرب ، حاجج ماو أنّ الخطّ و الإستراتيجيا و المبادئ الأساسيّة التي تطوّرت في خضمّ مختلف مراحل النضال المسلّح الثوري في الصين ، يجب تطبيقها في الأساس . و في 1953 ، مع نهاية الحرب ، ألقى ماو خطابا أكّد فيه على أنّه بينما كان عامل القيادة هاما في الإنتصارات المحقّقة في الحرب " العمل الأهمّ هو مساهمة أفكار الجماهير " و أضاف أنّ " تجربتنا قامت على الإعتماد على الشعب إلى جانب قيادة صحيحة إلى حدّ لا بأس به ما خوّل لنا بتجهيزاتنا الأدنى إلحاق الهزيمة بعدوّ أفضل تجهيزا ".(53)(م 5 ، بالأنجليزيّة ، ص 116-117)

و في الوقت نفسه ، فيما أكّد ماو على الأهمّية الحيويّة لإضطلاع الصين بواجباتها الأمميّة و دعم كوريا في مقاومة عدوان الولايات المتّحدة و شرح ذلك ، شدّد على " لن نغزو أيّا كان في أيّ مكان كان . لكن إذا غزانا الآخرون ، سنتصدّى و سنقاتل إلى النهاية " .(54) (م 5 ، بالأنجليزيّة ، ص 118) و هنا من جديد ، كان ماو يعيد تأكيد المبادئ الأساسيّة لحرب الشعب التي على أساسها نهض النضال المسلّح الناجح للشعب الصيني في تحرير الصين .

و خلال خمسينات القرن العشرين ، في حين واصلت الإمبرياليّة الأمريكيّة بأسلحتها النوويّة تهديد البلدان الإشتراكيّة بما فيها الصين و شعوب البلدان الأخرى بالعدوان في أنحاء متباينة من العالم ، ثابر ماو فى الدفاع عن التوجّه الذى أرساه قبل سنوات – أنّ الإمبرياليّة الأمريكيّة كانت نمرا من ورق و خاصة أنّ حتّى القنبلة النوويّة لا يمكن أن تسمح للإمبرياليّة الأمريكيّة بكسب حرب عدوانيّة ضد الصين . و تمسّك ماو بصرامة بالمبادئ التي أرشدت النضال المسلّح المظفّر للشعب الصيني في كسب تحرّره . و في تصريح في جويلية 1956 ، " **الإمبرياليّة الأمريكيّة نمر من ورق** " ، أبرز ماو مجدّدا أنّ سبب تمكّن الحزب الشيوعي الصيني و القوّات المسلّحة الثوريّة تحت قيادته من الإنتصار على القوّات الرجعيّة في الصين كان الإرتباط بالجماهير الشعبيّة و الإعتماد عليها و تعبئتها . و قد لخّص هذا في القانون الأساسي القائل بأنّ " القوّات الصغيرة المرتبطة بالشعب تصبح قوّات قويّة ، بينما القوّات الكبيرة المعارضة للشعب تضعف ." (55) (م 5 ، بالأنجليزيّة، ص 309)

و بعد سنة ، في نوفمبر 1957 ، في اجتماع موسكو لممثّلى الأحزاب الشيوعيّة و العمّاليّة ، قاتل ماو بشدّة الخيانة التحريفيّة لخروتشاف و سعيه لفرض خطّ انّ الإمبريالية الأمريكيّة قويّة جدّا لأنّ بحوزتها أسلحة متفوّقة منها الأسلحة النوويّة و أنّ تطوير أسلحة جديدة ، خاصة الأسلحة النوويّة غيّر المبادئ الأساسيّة للحرب . و أعاد ماو تأكيد أنّ المبدأ الإستراتيجي

الأساسيّ ؛ إستراتيجيّا ، إحتقار العدوّ بما في ذلك قوّة كُبرى و عتيّة كالإمبرياليّة الأمريكيّة ، و تكتيكيّا ، تقدير و الأخذ مأخذ الجدّ مبدأ جرى تطبيقه في الحرب الثوريّة في الصين و يجد تعبيره في خوض حرب الشعب و الإعتماد على قوّة الجماهير مع تكريس ، في الحملات و المعارك ، سياسة حشد قوّة أكبر لإبادة قوّات العدوّ و إلحاق الهزيمة بها الواحدة تلو الأخرى ". (56) (م 5 ، بالأنجليزيّة ، ص 517)

قتال الخطّ العسكريّ التحريفيّ

و واصل ماو الدفاع عن هذا الخطّ العسكري الأساسي في تعارض مع التحريفيّين في الإتّحاد السوفياتي و في الصين ذاتها، الذين حاججوا كما فعل التحريفيّون تاريخيّا أنّ الأسلحة و ليس الناس هي المحدّدة في الحرب . و بالطبع في حين شدّد على أنّه ينبغي على الصين تطوير دفاعها الوطنيّ و بلوغ صناعة الأسلحة الأكثر حداثة ممكنة ، أعلن أنّ تطوير أسلحة جديدة و منها الأسلحة النوويّة لا يغيّر المبادئ الأساسيّة للحرب و الحروب الثوريّة بوجه خاص . و إستمرّ في تأكيد تطوير ليس الجيش النظامي فحسب بل أيضا القوّات المسلّحة العريضة للجماهير الشعبيّة كما يعبّر عن ذلك تنظيميّا في تطوير المليشيا التي ستتشكّل قوّة هامة إلى جانب الجيش النظامي الشعبيّ في خوض حرب ثوريّة ضد العدوان الإمبرياليّ في الصين .

و سنة 1958 ، في خطاب أمام ندوة مجموعة من القيادات من الاجتماع الموسّع للجنة الشؤون العسكريّة ، نقد ماو العقيدة العسكريّة السوفياتيّة و الإستراتيجيا العسكريّة السوفياتيّة لأنّهما كانتا في مجملهما قائمتين على الهجوم و كانتا تتعارضان مع المبادئ الأساسيّة لخوض حرب الشعب . (57) (**" الرئيس ماو يتحدّث إلى الشعب "** لستوارد شرام ، بنتيوم بوكس ، نيويورك 1974 ، ص128 ؛ بالأنجليزيّة)

و بعد عدّة سنوات من ذلك ، في بدايات ستّينات القرن العشرين ، عند نقد كتاب سوفياتي عن الاقتصاد السياسيّ ، وضع ماو تشديدا على أنّه من المهمّ بلوغ تعصير الاقتصاد و أنّ لهذا دلالة خاصة في ما يتعلّق بمسألة الحرب و الدفاع عن البلاد، بيد أنّ هذا لا يمكن أن يصبح حيويّا في تطوير الإستراتيجيا العسكريّة . و لاحظ أنّه :

" على وجه العموم ، فى الوقت الحاضر، نرتئى الأتمتة . و من الأكيد أنّه علينا أن نناقش مشكل المكننة لكن دون مبالغة . الحديث عن المكننة و الأتمتة أكثر من اللازم يجعل من الناس يحتقرون نصف المكننة و الإنتاج بالطرق التقليديّة . لقد وجد مثل هذا الإنحراف فى الماضي . عندما لا ننظر إلاّ إلى مظهر واحد من المشكل ، لنبحث سوى عن تقنيات جديدة وآلات جديدة ومؤسسات كبيرة الحجم و أنواع الأرقى ؛ سنحتقر الطرق التقليديّة و المؤسسات المتوسّطة و الصغيرة الحجم . فقط بعد تبنّى مبدأ التطوير المتزامن للمؤسسات المحلّية **و** الأجنبيّة ، الكبرى **و** المتوسّطة **و** الصغرى ، تمّ الإنتصار على هذا الإنحراف . " (58) (ص 62 من **" ماو تسى تونغ و بناء الإشتراكية " (نقد لكتاب ستالين " القضايا الإقتصادية للإشتراكية في الإتحاد السوفياتي " و لكتاب الاقتصاد السياسي ، السوفياتي ")** ، مكتبة الحوار المتمدّن ، ترجمة شادي الشماوي)

و ربط ماو هذا بوجه خاص بمسألة الحرب :

" ينبغى أن نتبنّى التقنية المتقدّمة . لكن لا نستطيع مع ذلك أن نرفض الإقرار بأنّه طوال فترة معيّنة ، سيكون من الحتمي أن تكون لدينا تقنية أقلّ تطوّرا . منذ وجود التاريخ ، فى الحروب الثوريّة ، ينتصر دائما الذين لديهم أسلحة من نوع أدنى على الذين يمتلكون أسلحة من نوع أرقى . و فى الصين ، فى فترات الحرب الأهليّة ، و حرب المقاومة ضد اليابان و حرب التحرير ، لم تكن السلطة بأيدينا فى كامل البلاد و لم نكن نمتلك ذخيرة عصريّة . و تعنى إرادة الحصول مطلقا على الأسلحة الأكثر عصريّة قبل الإنطلاق فى الحرب ، أن ينزع المرء سلاحه بنفسه . " (59) (ص 62 من **" ماو تسى تونغ و بناء الإشتراكية " (نقد لكتاب ستالين " القضايا الإقتصادية للإشتراكية في الإتحاد السوفياتي " و لكتاب الاقتصاد السياسي ، السوفياتي ")** ، مكتبة الحوار المتمدّن ، ترجمة شادي الشماوي)

هنا كما في السابق ، كان ماو يستند إلى التجربة الثريّة للثورة الصينيّة و كذلك إلى النضالات في البلدان الأخرى و على مبادئ الخطّ العسكريّ و الإستراتيجيا الأساسيّين الذين طوّرهما طوال فترة مديدة من قيادة النضال المسلّح للشعب الصيني و من تلخيص مزيد تطوير الحروب الثوريّة في العالم .

و لاحقا ، تحدّث ماو عن هذا المبدأ الأساسيّ مباشرة إثر المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصينيّ في 1969 . كان ذلك زمنا كانت فيه العمليّة العسكريّة للولايات المتّحدة ضد الفيتنام في أوجها مع تركيز مئات الآلاف من الجنود في جنوب الفيتنام و شنّ عدوان على شماله ، و في الوقت نفسه ، كانت الأعمال العدوانيّة السوفياتيّة تشتدّ على الحدود الشماليّة للصين . و أعاد ماو التأكيد مرّة أخرى على التوجّه الإستراتيجيّ الأساسي و مبادي الحرب ، في تعارض مع شتّى الخطوط التحريفيّة، و أكّد على أنّها لا تزال قابلة للتطبيق على الوضع في الصين أمام تهديد العدوان الإمبريالي وقتها . و قد صرّح بدقّة :

" قد يأتي آخرون و يهاجموننا لكن لا يجب أن نقاتل خارج حدودنا . أقول إنّه لن يقع إستفزازنا . حتّى إن دُعينا إلى الخروج، لن نخرج لكن إن أتيتم و هاجمتمونا سنتعاطى معكم . و سيرتهن الأمر بما إذا كان هجومكم على نطاق صغير أم على نطاق كبير . إن كان على نطاق صغير سنقاتل على الحدود . أمّا إن كان على نطاق كبير فأنا أفضّل ترك بعض الأراضي . فالصين ليست بلدا صغيرا . إذا لم يجدوا شيئا لا أعتقد أنّهم سيأتون ، يجب أن نوضّح الأمر إلى العالم قاطبة أنّه لدينا الحقّ و الأفضليّة إلى جانبنا . و إذا غزوا مجالنا الترابي ، حالئذ أعتقد أنّ الأمر سيكون أكثر مواتاة لنا ، و سيكون لدينا في آن معا الحقّ و الأفضليّة . سيكون من اليسير قتالهم بما أنّهم سيسقطون في طوق يضربه الشعب حولهم . و أمّا في ما يتّصل بأشياء كالطائرات و المدفعيّة و المصفّحات ، فإنّ التجربة في كلّ الأماكن تبيّن أنّه يمكن التعاطي معها ." (60) (**" الرئيس ماو يتحدّث إلى الشعب "** لصاحبه ستوارد شرام ، بنتيوم بوكس ، نيويورك 1974 ، ص285-286 ؛ بالأنجليزيّة)

و سنة بعد ذلك ، أصدر ماو تصريحه المساند لنضال شعوب الهند الصينيّة ضد العدوان الأمريكي ، و قد كان أيضا إعلانا لمساندة النضالات الثوريّة لشعوب العالم . و في هذا التصريح ، أكّد ماو على أنّ بلدا صغيرا بإمكانه أن يهزم بلدا كبيرا و بإمكان بلد ضعيف أن يهزم بلدا قويّا متى تجرّأ الشعب على النهوض للنضال ، و رفع البندقيّة و إعتمد على قوّته الخاصّة و قاتل ليحقّق السيادة على بلاده الخاصة . و لم يعتمد هذا على تلخيص النضال البطولي و التجربة البطوليّة في الحرب الثوريّة لشعوب الهند الصينيّة (التي لها قيمة كبرى ، رغم الخيانة التحريفيّة الكاملة لقادة الفيتنام اليوم) و حسب بل أيضا تلخيص السنوات المديدة للنضال المسلّح في الصين عينها ، خاصة عقب تركيز قاعدة الإرتكاز الأولى . و إعتبارا لكون قواعد الإرتكاز الثوريّة هذه كانت تمثّل جوهريّا دولة ، نظاما ثوريّا ، أشّرت التجربة التاريخيّة للثورة الصينيّة بالضبط إلى سيرورة دولة صغيرة و ضعيفة ، قواعد الإرتكاز المحرّرة ، تهزم دولة أقوى بخوض حرب الشعب . لقد أشّرت إلى سيرورة جيش ثوريّ يعتمد على الجماهير الثوريّة و يلحق الهزيمة بالجيش الرجعيّ الذى كان في بداية الحرب متفوّقا تكنولوجيّا و حتّى عدديّا . و كانت لهذا دلالة عظيمة بالنسبة إلى الحرب الثوريّة في كافة البلدان .

و إلى النهاية ، إستمرّ ماو تسى تونغ في قيادة و دفع الثورة الصينيّة إلى الأمام و كذلك النضالات الثوريّة لشعوب العالم . و بوسعنا أن نشاهد بوضوح أنّ التحليل العام لماو تسى تونغ و خطّه الأساسيّ و نظريّته بصدد قضيّة الحرب كما بصدد قضايا أخرى ، سلاح بتّار بيد الشعوب الثوريّة في كلّ البلدان و أنّ له دلالة ثابتة و عالميّة ، على أنّ تطبيقه الملموس يمكن أن يختلف من بلد إلى آخر . في قضيّة الحرب و الخطّ العسكريّ كما في غيرها من القضايا ، قام ماو تسى تونغ بمساهمات خالدة حقّا في النضال الثوريّ للطبقة العاملة و الشعوب المضطَهَدَة عبر العالم و في قضيّة الشيوعيّة .

الفصل الخامس

الثقافة و البنية الفوقيّة

مقدّمة :

في 1967 ، في أوج النهوض الجماهيري للثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى في الصين ، تقدّم ماو تسى تونغ بالتصريح التالى كأحد الخطوط المرشدة الحيويّة لهذا النضال الذى لم يسبق له مثيل : " يجب على البروليتاريا أن تمارس الدكتاتوريّة الشاملة على البرجوازيّة في مجال البنية الفوقيّة بما فيها مختلف مجالات الثقافة ." (1)(ماو تسى تونغ ، " **الرئيس ماو حول مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا " مجلّة بيكين** ، 26 سبتمبر ، 1969 ، صفحة 9 ؛ بالأنجليزيّة).
و هنا لا يشدّد ماو على الأهمّية الكبرى للبنية الفوقيّة عامة فحسب بل على الثقافة بوجه خاص . و كان يؤكّد ليس على حاجة البروليتاريا لممارسة الدكتاتوريّة على البرجوازيّة عامة فقط بل خاصة كنس البرجوازيّة من ميدان الثقافة وإلحاق الهزيمة بمحاولاتها السيطرة على هذا الميدان ما يلعب مثل هذا الدور الكبير في الحقل الإيديولوجي ، في تشكيل الرأي العام و التأثير على القاعدة الإقتصاديّة و الهيكلة الجوهريّة للمجتمع .

من البداية ذاتها ، أثناء الديمقراطيّة الجديدة و كذلك مرحلة الإشتراكيّة من الثورة في الصين ، أولى ماو أهمّية كبرى لدور الثقافة ، و واصل تطوير و تعميق خطّ ثوريّ لإرشاد النضال في هذا المجال . و بالفعل ، مزيد تطوير النظريّة الماركسيّة و خط أساسيّ للثقافة يمثّل بعدُ مساهمة أخرى من مساهمات ماو تسى تونغ الخالدة . و بالأخصّ ، شدّد ماو كثيرا على مجال الأدب و الفنّ و على دورهما في الصراع الطبقيّ ككلّ . و في ظلّ قيادة خطّه ، أنجز الشعب الصينيّ قفزة نوعيّة في هذا المجال الحيويّ ، أبعد من أيّ شيء بلغته سابقا البشريّة بما في ذلك في البلدان الإشتراكيّة .

و بهذا الفصل سيجرى التركيز على مسألة الثقافة هذه و بشكل خاص على قيادة ماو في تطوير أدب و فنّ ثوريّين خدمة لنضال البروليتاريا لتحقيق مهمّتها التاريخيّة ، مهمّة بلوغ الشيوعيّة .

و طبعا ، في هذا المجال كما في غيره من المجالات ، في قيامه بمساهماته الهامة و الخالدة ، كان ماو يعتمد على أكتاف الماركسيّين الكبار الذين سبقوه و خاصة ماركس و إنجلز و لينين و ستالين . و هكذا من الصواب وضع مساهمات ماو في مقارنة بأرضيّة تطوير النظريّة الماركسيّة للفنّ السابقة له .

ماركس و إنجلز

نقطة الإنطلاق بالنسبة إلى الماركسيّين هي أن نشاطات الإنسان الواعية و كجزء منها الأدب و الفنّ لا تقف جانبا أو مستقلّة بذاتها ، و بالطبع لا تخلق الواقع بل بالأحرى كما وضع ذلك ماركس في جملة أضحت شهيرة : " ليس إدراك الناس هو الذى يعيّن معيشتهم بل على العكس من ذلك ، معيشتهم الإجتماعيّة هي التي تعيّن إدراكهم ".(2) (ماركس ، مقدّمة الطبعة الأولى لكتاب " **مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي** " ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1976 ، صفحة 3 ، بالأنجليزيّة + صفحة 127 من ماركس و إنجلز " **بصدد الثوة الإشتراكيّة** " ، دار التقدّم ، موسكو 1983 ، بالعربيّة)

بكلمات أخرى ، نقطة الإنطلاق هي العالم الماديّ و النشاط الإقتصاديّ للناس . فالظروف الماديّة تحدّد نشاطات و تطوّر و إنتاج الفكر البشري و ليس العكس . و مثلما شرح ماركس في " **المقدّمة** " إيّاها :

" تقوم بين الناس ، أثناء الإنتاج الاجتماعي لحياتهم ، علاقات معيّنة ضروريّة ، مستقلّة عن إرادتهم ، هي علاقات الإنتاج التي تطابق درجة معيّنة من تطوّر قواهم المنتجة الماديّة . و مجموع علاقات الإنتاج هذه يؤلّف البناء الإقتصادي للمجتمع، أي الأساس الواقعي الذى يقوم عليه بناء فوقيّ حقوقيّ و سياسيّ و تطابقه بصورة عامة أشكال معيّنة من الوعي الاجتماعي.

إنّ أسلوب إنتاج الحياة الماديّة يشترط تفاعل الحياة الإجتماعي و السياسي و الفكريّ ، بصورة عامة ." (3) (المصدر السابق)

و هذا يعنى أنّ المجتمع ينهض على الحاجة الأساسيّة للناس إلى الأكل و الثياب والمسكن و ما إلى ذلك ، ولأجل الحصول على هذا يجب على الناس أن يتّحدوا معا بشكل خاص ما حتّى يتمكّنوا جماعيّا من تغيير الطبيعة ، لصنع الأشياء المتنوّعة التى يحتاجونها ليعيشوا . و هكذا ، طبيعة المجتمع متجذّرة في المتطلّبات الماديّة للناس . لكن المجتمع و الطبيعة يشهدان سيرورة تغيّر مستمرّ – و ليس تغيّرا دوريّا ، يحدث بذات الطريقة التي بدأ بها بل سيرورة تغيير شبيهة باللولب تتقدّم من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى و تتميّز بالطفرات / القفزات .

و اليوم ، لدينا أشياء لم نعلم بها حتّى قبل مائة سنة فما بالك مليون سنة أو أكثر عندما كانت الأشكال البدائيّة لحياة الإنسان تشكّل نوع المجتمع الأكثر بدائيّة . و هذا من أهمّ المؤشّرات على كيف أنّ المجتمع ليس متجذّرا فحسب في الصراع المنظّم للناس الذين يتوحّدون للصراع و تغيير الطبيعة بل كذلك يتطوّر من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى . و علاوة على ذلك ، الإكتشاف العظيم لماركس (" خيط هاد في أبحاثى " كما أحال على ذلك) كان أنّ هذا التطوّر للمجتمع الإنسانيّ يتحدّد في نهاية المطاف بتطوّر القوى الأساسيّة التي بناها البشر في تفاعلهم مع الطبيعة لإنتاج ما يحتاجون إليه و ما يرغبون فيه – **قوى إنتاج** المجتمع . و شمل هذا الأدوات و الآلات التي يطوّرها الناس كما يشمل و بصفة أهمّ ، الناس أنفسهم ، بكلّ مؤهّلاتهم و قدراتهم ، الذين ينجزون عمليّة الإنتاج .

لأجل إستخدام قوى الإنتاج هذه ، من الواجب على الناس أن يدخلوا في علاقات معيّنة متّصلة بالسيرورة العامة للإنتاج في المجتمع . و طبيعة هذه العلاقات ستختلف و تتغيّر وفق تطوّر قوى إنتاج البشر . و هكذا ، سمّى ماركس هذه العلاقات **علاقات إنتاج** المجتمع .

و مثلما يمضى ماركس ليقول في الإستشهاد أعلاه ، تمثّل علاقات الإنتاج هذه الهيكلة الإقتصاديّة للمجتمع . وهي عادة ما تسمّى ب**القاعدة الإقتصاديّة** . و هذه القاعدة هي " الأساس الحقيقيّ " كما يقول ماركس ، لكامل **البنية الفوقيّة** القانونيّة و السياسيّة و الإيديولوجيّة و الثقافيّة للمجتمع . و المؤسّسات السياسيّة و الهياكل القانونيّة و العادات و التقاليد و الإتّفاقيّات الفنّية و الفلسفات و طُرق التفكير و النظر إلى العالم إلخ لمجتمع معطى و عصر معطى جميعها تنتمى إلى البنية الفوقيّة . و هذا يصحّ على الفلسفة و الثقافة إلخ الذين يمثّلون الطبقة / الطبقات المضطهَدَة و كذلك فلسفة و ثقافة إلخ الطبقة السائدة . لكن طبعا ، كما ألحّ على ذلك ماركس و إنجلز ، " الأفكار و الآراء السائدة في عهد من العهود لم تكن سوى أفكار الطبقة السائدة و آرائها ". (4) (صفحة 70 من ماركس و إنجلس ، " **مختارات** " في أربعة أجزاء ، الجزء الأوّل ؛ دار التقدّم ، موسكو ، باللغة العربيّة) بإختصار، لأجل تركيز هيمنتها في مجالات الإيديولوجيا و الثقافة إلخ ، على طبقة معيّنة أن تفتكّ أوّلا السلطة السياسيّة و تركّز نفسها كطبقة سائدة في الجزء الأكثر حيويّة من البنية الفوقيّة .

لكن مرّة أخرى ، كما لخّص ماركس في رسالة في بدايات تطوّره كماركسيّ :

" خذ درجة معيّنة من تطوّر قوى الناس المنتجة ، تحصل على شكل معيّن للتبادل و الإستهلاك . خذ درجة معيّنة من تطوّر الإنتاج و التبادل و الإستهلاك ، تحصل على نظام إجتماعي معيّن ، و تنظيم معيّن للعائلة أو الفئات أو الطبقات ، - و بكلمة مجتمع مدنيّ معيّن ." (5) (ماركس و إنجلس ، " **رسائل مختارة** " ، الطبعة العربية لدار التقدم موسكو ، صفحة 32)

و كما تعلّمنا الماركسيّة كذلك ، لنفترض نظاما إجتماعيّا معيّنا و مجتمعا مدنيّا و نظاما سياسيّا إلخ و سنحصل على نوع معيّن من الإيديولوجيا و الحياة الفكريّة بما فيها نوعا معيّنا من الثقافة ، بالأدب و الفنّ كجزء هام جدّا منها . و تشتمل الحياة الفكريّة كما لاحظنا ذلك قبلا ، الأفكار التي تمثّل المضطهَدين و أيضا الطبقة الحاكمة – لذكر مثال بارز، ماركس نفسه نتاج للمجتمع **الرأسمالي** . لكن ، مثلما جرى التأكيد للتوّ على ذلك أعلاه ، فقط عندما تصعد الطبقة المضطهَدَة إلى موقع الطبقة الحاكمة – فقط عندما تُطيح بالسلطة السياسيّة القائمة و تركّز سلطة دولتها الخاصة – يمكن لأفكارها أن تغدو الأفكار المهيمنة في المجتمع .

و هذا المنهج في دراسة و فهم المجتمع و التاريخ الذى أقام مبادءه الأساسيّة أوّل ما أقامها ماركس ، معروف ب " **الماديّة التاريخيّة** " . و قد لخّصها إنجلز على النحو التالي :

" ... مفهوما عن مجرى التاريخ العالمي يرى السبب الأوّل و القوّة المحرّكة الحاسمة لجميع الأحداث التاريخيّة الهامة في تطوّر المجتمع الاقتصادي ، في تغيرات أسلوب الإنتاج و التبادل ، في إنقسام المجتمع إلى طبقات مختلفة منجرّاء ذلك ، في الصراعبين هذه الطبقات . " (6) (صفحة 14 من إنجلز ، " **الإشتراكيّة الطوباويّة و الإشتراكيّة العلميّة** " ، دار التقدّم ، موسكو ، بالعربيّة)

و هذه النظرة و منهج الماديّة التاريخيّة هذا هما الإطار الأساسي للفهم الصحيح لمعنى الأدب و الفنّ و لدورهما . الأدب و الفنّ و الثقافة عامة جزء من البنية الفوقيّة . لكن يجب إعادة التذكير و التشديد مجدّدا على أنّ العلاقة بين القاعدة و البنية الفوقيّة ليست متصلّبة ، ثابتة أو تسير بإتّجاه واحد . فبينما الماركسيّة ماديّة هي أيضا جدليّة . و البنية الفوقيّة تأثيرها ليس سلبيّا على القاعدة ، ذلك أنّه ثمّة تفاعل مستمرّ بينهما . و قد تكلّم إنجلز بقوّة عن هذه النقطة وهو يقاتل الميكانيكيّة كنقيض للجدليّة و الماديّة :

" وفقا للمفهوم المادي عن التاريخ ، يشكّل إنتاج و تجديد إنتاج الحياة الفعليّة النصر الحاسم ، **في آخر المطاف** ، في العمليّة التاريخيّة . و أكثر من هذا لم نؤكّد في يوم من الأيّام ، لا ماركس و لا أنا . أمّا إذا شوّه أحدهم هذه الموضوعة بمعنى أنّ العنصر الاقتصادي هو ، على حدّ زعمه ، العنصر الحاسم **الوحيد** ، فإنّه يحوّل هذا التأكيد إلى جملة مجرّدة ، لا معنى لها، و لا تدلّ على شيء . إنّ الوضع الإقتصادي إنّما هو الأساس ، و لكن مختلف عناصر البناء الفوقيّ تؤثّر هي أيضا في مجرى النضال التاريخي ، و تحدّد على الأغلب **شكله** في كثير من الأحيان ؛ و نقصد بهذه العناصر : أشكال النضال الطبقي الظافرة بعد كسب المعركة ، و ما إلى ذلك – و الأشكال الحقوقيّة و حتّى إنعكاس جميع هذه المعارك الفعليّة في عقول المشتركين فيها ، و النظريّات السياسيّة و الحقوقيّة و الفلسفيّة ، و الآراء الدينيّة و تطوّرها اللاحق و سيرورتها نهجا من العقائد . و جميع هذه العناصر تتفاعل ، و في هذا التفاعل تشقّ الحركة الإقتصاديّة لنفسها في آخر المطاف ، بوصفها حركة ضروريّة ، طريقا عبر كثرة لا عدّ لها من الصدف (أي من الأشياء و الأحداث التي صلتها الداخليّة بعيدة أو عسيرة البرهان إلى حدّ أنّه يمكننا إهمالها و إعتبارها غير موجودة). " (7) (ماركس و إنجلس ، " **رسائل مختارة** " ، الطبعة العربية لدار التقدم موسكو ، صفحة 300-301)

و رغم أنّ القاعدة عامة رئيسيّة وهي المحدّدة ، من الصحيح أيضا كما أشار ماو ، أنّ :

" عندما يعوق البناء الفوقيّ ، كالسياسة و الثقافة ، تطوّر القاعدة الإقتصاديّة ، فإنّ التجديدات السياسيّة و الثقافيّة تصبح العامل الرئيسي الحاسم . " (8) (" **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** " ، المجلّد الأوّل ، صفحة 487-488؛ الطبعة العربيّة لدار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1977)

بكلمات أخرى ، العلاقة بين القاعدة و البنية الفوقيّة يجب النظر إليها جدليّا و ليس ميكانيكيّا أو ميتافيزيقيّا . و هذه نقطة شدّد عليها ماو تشديدا كبيرا و زاد في تطويرها ، خاصة في علاقة بالمجتمع الإشتراكي . و تكتسى دلالة كبرى أن ننظر في مساهمة ماو في نظريّة الثقافة الثوريّة و خطّها الأساسيّ .

و بالعودة إلى مؤسّسى الإشتراكيّة العلميّة ، من المهمّ هنا ملاحظة أنّ ماركس طبّق الموقف و وجهة النظر و المنهج الجدليّ و الماديّة التاريخيّة أساسا على الإقتصاد السياسي للرأسماليّة و ثانويّا على تحليل الصراع الطبقي في المجال السياسي كما كان يتطوّر ، خاصة في أوروبا ، عندما كان على قيد الحياة . و إثر جهوده المشتركة مع إنجلز (في " **العائلة المقدّسة** " و " **الإيديولوجيا الألمانيّة** " (9) ، لم يواصل ماركس ليطوّر أيّة نظريّة منهجيّة و شاملة حول المظاهر الإيديولوجيّة (بما فيها الثقافة) للصراع الطبقي عامة و لا للأدب و الفنّ خاصة .

و من جانبه ، إنجلز خصّص بعض العمل المنهجيّ لمثل هذه الأشكال التعبيريّة - بصفة بارزة في أقسام من" **ضد دوهرينغ**" و في " **فوباخ و نهاية الفلسفة الكلاسيكيّة الألمانيّة** " و كذلك في بعض المقالات المتناثرة الأخرى (مقدّمة الطبعة الأنجليزيّة ل " **الإشتراكيّة الطوباويّة و الإشتراكيّة العلميّة** " مثال جيّد على ذلك). لكن في الوقت نفسه ، لم يعر إنجلز أيضا أيّ إنتباه منهجيّ للفنّ . أقصى ما لدينا من كلّ من ماركس و إنجلز بهذا الباب هي تقريبا بعض التعليقات المرتجلة حول كتّاب و أعمال من الماضي و من المعاصرين لهما .

و مع ذلك ، هناك الهامش التالى المختصر على عمقه لماركس في أحد أعماله :

" إنّ ثورة القرن التاسع عشر الإجتماعيّة لا يسعها أن تستمدّ أشعارها من الماضي بل من المستقبل فحسب . إنّها لا تستطيع أن تبدأ بتنفيذ مهمّتها قبل أن تقضي على كلّ إحترام خرافي للماضي . لقد كانت الثورات السابقة في حاجة إلى إستعادة ذكريات ما مضى من حوادث تاريخ العالم لكي تخدع نفسها بشأن محتواها هي بالذات . أمّا ثورة القرن التاسع عشر فيترتّب عليها لكي تستوضح لنفسها محتواها الخاص أن تدع الموتى يدفنون موتاهم . "(10) (صفحة 142 من ماركس وإنجلس ، " **مختارات** " في أربعة أجزاء ، الجزء الأوّل ؛ دار التقدّم ، موسكو ، باللغة العربيّة)

و هذا الموقف ، بتأكيده على الإختلافات الكبرى بين الثورة الإشتراكيّة البروليتاريّة و كافة الثورات الماضية و الطريقة التي بها ينقل إلى مجال الفنّ و الثقافة البروليتاريّين ، موضوع بارز في مساهمات ماو بهذا الصدد ، و موضوع سنعود إليه أدناه .

لينين

لا يمكن أيضا أن نقول إنّ لينين قد طوّر نظريّة كاملة و شاملة للفنّ و الثقافة . لكن لينين **كان** طبعا مشاركا عن كثب في ثورة بروليتاريّة مظفّرة و بالتالى في إرساء مجتمع إشتراكي . و قد صاغ لينين فعلا بعض المبادئ الأساسيّة التي نهضت بدور مفتاح في إرساء أرضيّة تطوير الأدب و الفنّ الثوريّين خدمة لنضال البروليتاريا .

و ما شدّد عليه لينين بوجه خاص في هذا المضمار كان ضرورة أن تندمج الثقافة البروليتاريّة وثيق الإندماج مع الحركة الثوريّة العامة للبروليتاريا . عند نهوض ثورة 1905 في روسيا مثلا تحدّث لينين عن الحاجة إلى تطوير " أدب حزبيّ " و تساءل :

" ففيم يقوم هذا المبدأ ، مبدأ الأدب الحزبيّ ؟ إنّه لا يقوم و حسب في أنّ العمل الأدبي لا يمكن أن يكون بالنسبة للبروليتاريا الإشتراكيّة أداة بيد الأفراد أو الجماعات لإبتزاز المكاسب ، بل لا يمكن له أيضا أن يكون على العموم قضيّة شخصيّة لا تتعلّق بالقضيّة البروليتاريّة العامة . فليسقط الأدباء اللاحزبيّون ! ليسقط الأدباء السوبرمانات ! ينبغي أن تصبح قضيّة الأدب **جزءا** من القضيّة البروليتاريّة العامة ، " دولابا و برغيا " في آليّة واحدة موحّدة هي الآليّة الإشتراكيّة – الديمقراطيّة العظيمة التي تحرّكها الطليعة الواعية كلّها في الطبقة العاملة كلّها . ينبغي أن تصبح قضيّة الأدب جزءا مكوّنا منالعمل الحزبيّ الإشتراكي – الديمقراطي الموحّد ، المنهاجي ، المنظّم . " (11) (لينين ، **" في الإيديولوجيا و الثقافة الإشتراكية "** ، الطبعة العربيّة لدار التقدّم ، موسكو 1970 ، الصفحة 27)

و الموضوع عينه ألحّ عليه لينين عقب تركيز الجمهوريّة السوفياتيّة ، عندما (في 1920) وضع مشروع قرار بشأن الثقافة البروليتاريّة ، و أوّل فصل من فصوله هو :

" في جمهوريّة العمّال و الفلاّحين السوفييتيّة ، ينبغي أن يكون تنظيم الأمور كلّه في حقل التعليم ، سواء أمن الناحية السياسيّة التثقيفيّة على العموم أم من ناحية الفنّ على الخصوص ، مفعما بروح نضال البروليتاريا الطبقيّ من أجل تحقيق أهداف ديكتاتوريّتها بنجاح ، أي من أجل إسقاط البرجوازيّة ، من أجل القضاء على الطبقات ، من أجل إزالة كلّ إستثمار للإنسان من قبل الإنسان ." (12) (المصدر السابق ، صفحة 180-181)

و بطبيعة الحال ، وُجد حينها كما يوجد الآن ، أولئك الذين أغاضهم ذلك و هاجموا هذه المواقف على أنّها لا تنسجم مع " الفرديّة " و " الحرّية " المفترض أنّهما ضروريّتين للإبداع الفنّي . و قد وصف لينين مثل هذه النظرة على أنّها نظرة فرديّة برجوازيّة و أشار إلى أنّ مثل هذا الحديث عن الحرّية المطلقة الصادر عن فنّانين في المجتمع البرجوازي كان مجرّد نفاق أو خداع للذات . و شرح :

" في مجتمع قائم على سلطان المال ، في مجتمع تفتقر فيه جماهير الكادحين و تعيش فيه حفنة من الأغنياء حياة طفيليّة ، لا يمكن أن تقوم " حرّية " فعليّة و حقيقيّة . فهل أنت حر من ناشرك البرجوازي ، أيّها السيّد الكاتب ؟ من جمهورك البرجوازي الذى يطالبك بالخلاعة في الإطارات و اللوحات ، و بالدعارة بشكل " تكميل " للفنّ المسرحيّ " المقدّس " ؟ ذلك أنّ هذه الحرّية المطلقة هي إمّا كلام فارغ برجوازيّ و إمّا كلام فارغ فوضويّ (لأنّ الفوضويّة ، بوصفها مفهوما عن العالم ، هي مفهوم برجوازي مقلوب رأسا على عقب). فمن المستحيل أن يعيش المرء في المجتمع و يكون حرّا من المجتمع . إنّ حرّية الكاتب البرجوازي و الرسّام البرجوازيّ و الممثّلة البرجوازيّة ليست غير تبعيّة مموّهة (أو مقنّعة برياء و نفاق) حيال كيس النقود ، حيال الرشوة ، حيال الشراء ." (13) (المصدر السابق ، صفحة 30-31)

في مجتمع طبقيّ ، من غير الممكن للأدب و الفنّ أن يكونا فوق الطبقات ، من غير الممكن لهما أن لا يعبّر كلاهما عن بعض النظرة الطبقيّة و يخدما مصالح طبقة ما . هذا من جهة و من الجهة الأخرى ، أشار لينين إلى أنّ هذه الطبقات ليست متعادلة بعضها مع بعض و هدف الشيوعيّين هو :

" نعارض الأدب المزعوم نفاقا و رياء بأنّه حرّ و لكنّه المرتبط فعلا بالبرجوازيّة ، بأدب حرّ حقّا و فعلا ، مرتبط **على المكشوف** بالبروليتاريا .

إنّه سيكون أدبا حرّا لأنّ أفكار الإشتراكيّة و العطف على الكادحين ، لا الجشع و الوصوليّة ، هي التي ستجتذب قوى جديدة جديدة إلى صفوفه . إنّه سيكون أدبا حرّا لأنّه سيخدم الملايين و عشرات الملايين من الكادحين الذين يشكّون زهرة البلد و قوّته و مستقبله ." (14) (المصدر السابق ، صفحة 31)

ستالين

كان ستالين مواصلا لعمل لينين في قيادة البروليتاريا السوفياتيّة في بناء الإشتراكيّة و حمايتها ضد الأعداء الخارجيّين و الداخليّين . و قد دافع أيضا و طبّق عديد تطويرات لينين للماركسيّة في نظريّة الفنّ و الأدب .

في ظلّ قيادة ستالين ، طوّر الحزب الشيوعي السوفياتي مفهوم **الواقعيّة الإشتراكيّة** ، مفهوم يتناسب مع وجهة نظر البروليتاريا في الأدب و الفنّ و الذى أرسى جزءا هاما من قاعدة مساهمات ماو في هذا الباب .

سنة 1932 ، بقرار من اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي للاتّحاد السوفياتي ، تمّ إرساء لجان تنظيميّة للمؤتمر الوطني الأوّل للكتّاب السوفيات الذى صاغ لأوّل مرّة مفهوم الواقعيّة الإشتراكيّة . و قد وقع في ميثاق جمعيّة الكتّاب السوفيات تحديد أنّ : " الواقعيّة الإشتراكيّة التي هي المنهج الأساسي للأدب و الفنّ السوفياتي تتطلّب من الفنّان و الأديب أن يقدّما الواقع في مسار تطوّره الثوريّ ، بطريقة صحيحة و ملموسة تاريخيّا " .

لاحظوا أنّ هذا التحديد يؤكّد حقيقة و الطابع التاريخي الملموس و يربط هذا ب " تقديم الواقع في مسار تطوّره الثوريّ " كأهمّ مظهر من مظاهره . أي ، الفنّ البروليتاري متحزّب وهو جزء من النضال الثوريّ للطبقة العاملة ، وهو كذلك يعكس الحقيقة . و بالفعل ، كما سيجرى تعميقه أكثر لاحقا فى التعاطى الخاص مع مساهمات ماو ، مثل هذا الأدب و الفنّ يعكس الحقيقة على وجه الضبط **لأنّه** يعكس و يخدم مصالح الطبقة العاملة . إنّه يعكس الحقيقة لأنّه يعرض مسار التطوّر الواقعي الكامن للتاريخ و المجتمع ، و هذا أمر ثوريّ .

و كما يعنى ذلك مصطلح " الواقعيّة الإشتراكيّة " ، وُجدت أشكال أخرى من الواقعيّة فى الفنّ- بصفة بارزة الواقعيّة البرجوازيّة . و لهذا ، دور تقدّميّ ينهض به في وقت ما بالضبط كما فعلت البرجوازيّة نفسها ، عندما كانت لا تزال طبقة صاعدة . لكن ، طبعا ، حتّى حينها ، كان يكشف الواقع فكان منحصرا بذات حدود نظرة الرأسماليّين إلى العالم . أكبر ما يمكن أن يكشف أبدا هو عالم أفراد يبحثون عن مصلحتهم الذاتيّة و هذا ليس بأيّ شكل من الأشكال الكلّ أو الجزء الأكبر و ليس بالتأكيد جوهر الواقع . و بما أنّ البرجوازيّة أضحت طبقة رجعيّة كلّيا ، تحوّلت " واقعيّتها " إلى ضدّها ، إلى محاولة لتصوير الناس بالطريقة الأبشع و الأكثر حيوانيّة و نفاقا ، أو بطوباويّة محضة و تهرّب من الواقع .

و في الوقت نفسه الذى وقع التقدّم بتلك الواقعيّة الإشتراكيّة كسياسة مرشدة للأدب و الأعمال الفنّية في الإتّحاد السوفياتي ، وقع كذلك التشديد على أنّ هذا ليس غير منسجم مع الرومنسيّة و إنّما هو يتضمّن رومنسيّة من طراز جديد – رومنسيّة ثوريّة – بما أنّ تصوير الواقع في مسار تطوّره الثوري يعنى حتما تصوير البطولات الكبيرة للشعب و أوسع آفاق التقدّم الإنساني .

و في حين أنّ ظهور هذا المفهوم والمثل الأعلى للواقعيّة الإشتراكيّة (بما في ذلك الرومنسيّة الثوريّة كمظهر من مظارها) مثّل تقدّما في تطوير الفنّ البروليتاري ، وُجدت أيضا بعض النقائص من وجهة نظر ستالين في هذا المجال . و من هذه النقائص فكرته القائلة بأنّ الشيء الأساسيّ في الحقل الثقافي في رفع المستويات الثقافيّة لجماهير العمّال و الفلاّحين السوفيات – و أكثر من ذلك ، النظر إلى " رفع المستويات " هذا بالمعنى **التقنيّ** الخالص و بالمعنى الكمّي . (15) (15 – أنظروا تقارير ستالين لمؤتمرات الحزب 16و17و18 و **" مسائل اللينينيّة "**) (لقد عالج ماو هذه المسألة بالخصوص في معالجته للتناقض بين التعميم و رفع المستوى الذى سنركّز عليه قريبا) . و رؤية الواقعيّة الإشتراكيّة و تطبيقها في الإتّحاد السوفياتي قد تضمّنتا هنات مرتبطة بأخطاء ستالين هذه .

و خطأ آخر مرتبط بأخطاء ستالين في هذا المجال تمّ الحديث عنه في خلاصة ندوة العمل على جبهة الأدب و الفنّ التي عُقدت في شنغاي في بدايات 1966 بإشراف من زوجة ماو ، تشيانغ تشنغ ، لصياغة سياسة ترفع راية خطّ ماو في حقل الفنون و تطبّقه بصفة شاملة أكثر:

" لقد كان ستالين ماركسي – لينينيّ عظيم . و نقده للأدب و الفنّ المعصرين البرجوازيّين كان نقدا حادا جدّا . إلاّ أنّه تغاضى دون نقد عن ما يُعرف بالأعمال الكلاسيكيّة لروسيا و أوروبا و كانت النتائج سيّئة . و الأدب و الفنّ الكلاسيكيّين في الصين و في أوروبا (بما فيها روسيا) و حتّى الأفلام الأمريكيّة قد مارست تأثيرا معتبرا على أوساطنا الأدبيّة و الفنّية ، و نظر إليها البعض على أنّها أسفار مقدّسة و قبل بها في كلّيتها . لذا يجب أن نستخلص درسا من تجربة ستالين و يجب أن ندرس الأعمال الأجنبيّة أيضا ، و رفض دراستها سيكون خاطئا ؛ لكن يجب أن ندرسها دراسة نقديّة ، جاعلين الماضي يخدم الحاضر و الأعمال الأجنبيّة تخدم الصين . " (16) (ملخّص ندوة العمل حول الأدب و الفنّ ضمن القوّات المسلّحة ، التي أشرف عليها كلّ من الرفيق لين بياو و الرفيقة تشيانغ تشنغ ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين ، 1968 ، ص 14 ؛ باللغة الأنجليزيّة)

ماو حول أهمّية البنية الفوقيّة

قطع ماو تسى تونغ خطوات حاسمة في التقدّم بتطوير النظريّة الماركسيّة – اللينينيّة في مجال الأدب والفنّ والثقافة عامة . و يرتبط هذا وثيق الإرتباط بالتقدّم العام الذى قاده في الفهم الصحيح لدور البنية الفوقيّة ، لا سيما في ظلّ الإشتراكيّة . و بدوره ، هذا التقدّم جاء في علاقة بتلخيص نظريّة و ممارسة الماركسيّين – اللينينيّين ، و خاصة بعض أخطاء ستالين في هذا المجال . و هكذا ، مثلا ، إستهلّ بحثه في أواخر خمسينات القرن العشرين ، **" نقد لكتاب ستالين " القضايا الإقتصاديّة للإشتراكيّة في الإتّحاد السوفياتي " "** ، بموقف أنّ " لا يقول كتاب ستالين من بدايته إلى نهايته شيئا عن البنية الفوقيّة . إنّه لا يهتمّ بالناس ؛ ما يشغله هي الأشياء و ليس الناس " .(17) (ماو **" نقد لكتاب الإقتصاد السياسي السوفياتي "** ، صفحة 135 بالأنجليزيّة + كتاب شادي الشماوي ، **ماو تسى تونغ و بناء الإشتراكية (نقد لكتاب ستالين " القضايا الإقتصادية للإشتراكية في الإتحاد السوفياتي " و لكتاب الاقتصاد السياسي ، السوفياتي ")** ، مكتبة الحوار المتمدّن)

و كما جرت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثالث (حول مساهمات ماو تسى تونغ في الإقتصاد السياسي إلخ) ، عمل ستالين هذا ، المكتوب في السنوات القليلة الأخيرة من حياته ، تضمّن بعض الرؤى الثاقبة القيّمة و تحليل لمظاهر هامة من التقدّم من الإشتراكيّة صوب الشيوعيّة ، الهدف الأسمى للثورة البروليتاريّة . لكن ، كما تمّت الإشارة هناك ، كان ستالين ينزع إلى التعاطى مع هذه القضايا " ... من وجهة نظر تطوير الإنتاج و رفع المستوى المادي و التقنيّ للجماهير و ليس كثيرا من وجهة نظر السياسة و الإيديولوجيا " . (أنظروا الصفحة 91 ff من المصدر السابق ، باللغة الأنجليزيّة)

و العديد من المساهمات الكبرى لماو ، طبعا ، تركّزت على وجه الدقّة في تطويره لفهم طبيعة المجتمع الإشتراكي و تشديده من هناك على الحاجة إلى مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا ، حتّى بعد أن يكون قد تمّ في الأساس التغيير الإشتراكي في الملكيّة . و كان هذا وثيق الصلة بمزيد تطوير ماو للنظريّة الماركسيّة للتفاعل المتبادل بين القاعدة و البنية الفوقيّة ، لا سيما في ظلّ الإشتراكيّة .

و قد بيّن ماو الأهمّية الحيويّة للتثوير المستمرّ للبنية الفوقيّة و كذلك القاعدة الإقتصاديّة . و لم يدافع عن الفهم الجدليّ للعلاقة بين القاعدة الإقتصاديّة و البنية الفوقيّة . ما يؤشّر على أنّ القاعدة هي الرئيسيّة و الحيويّة فحسب لكن أيضا في أوقات معيّنة تصبح البنية الفوقيّة رئيسيّة حيويّة في تحديد طبيعة القاعدة الإقتصاديّة و تطوّرها . و زاد تلخيص و تعليمنا أنّه في ظلّ الإشتراكيّة ، دور البنية الفوقيّة يكتسى حتّى أهمّية أكبر و الصراع في البنية الفوقيّة يمسى أشدّ و أعقد حتّى . و حتّى بينما تمسك البروليتاريا بالسلطة السياسيّة عامة في المجتمع ، يمكن أن تتحكّم عمليّا البرجوازيّة في بعض أجزاء من البنية الفوقيّة (بالضبط كما يمكنها أن تتحكّم في بعض الوحدات و الأقسام من الإقتصاد). و قد حذّر ماو من أنّ الإيديولوجيا خاصة ستكون مجال صراع مديد و متعرّج بين البروليتاريا و البرجوازيّة . و بحدود 1957 ، كجزء من الخطّ الثوريّ الذى طوّره في تعارض مع التحريفيّين الذين كانوا يعلنون أنّ " الصراع الطبقي يموت " ، أكّد ماو بقوّة على أنّ :

" مسألة من سينتصر في النضال بين البروليتاريا و البرجوازيّة في الميدان الإيديولوجي لم تحلّ بعدُ في الحقيقة . فلا يزال أمامنا نضال طويل الأمد علينا أن نخوضه ضد إيديولوجية البرجوازيّة و البرجوازيّة الصغيرة ." (18) (" خطاب في المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية " ، المجلّد الخامس من **" مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة"** + بالعربيّة ، **" مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ "** لشادي الشماوي ، مكتبة الحوار المتمدّن ، صفحة 20)

و الثقافة ، بطبيعة الحال ، بما فيها الفنّ و الأدب ، تقبع تماما ضمن الحقل الإيديولوجي .

و كما جرت الملاحظة ، طبيعة العلاقة بين القاعدة و البنية الفوقيّة تناقض فيه القاعدة هي المظهر الرئيسيّ عامة ، لكن فيه يمكن للبنية الفوقيّة ، في ظلّ ظروف معيّنة ، أن تصبح المظهر الرئيسيّ . لكن ، إضافة إلى ذلك ، تضطلع البنية الفوقيّة بالدور المبادر في تغيير القاعدة . و لهذين السببين تكتسى البنية الفوقيّة أهمّية حيويّة في أيّ ثورة .

لكن كما جرت الملاحظة أيضا ، كلّ هذا ينسحب بقوّة أكبر حتّى على الثورة **البروليتاريّة** و المجتمع الإشتراكي . ذلك أنّ هذه الثورة ، على خلاف أيّ ثورة سابقة لها في التاريخ الإنسانيّ ، لا تهدف إلى إيصال طبقة جديدة من المضطهِدين إلى السلطة . بالأحرى ، هدف الطبقة العاملة هو التخلّص من كلّ الإستغلال و الإضطهاد . هدفها هو إلغاء كافة الطبقات - أي الشيوعيّة . و هكذا ، الإشتراكيّة التي تظلّ خلالها الطبقات موجودة و خلالها تحكم الطبقة العاملة المجتمع ، **ليست** الهدف الأسمى للثورة البروليتاريّة ، بل مرحلة إنتقاليّة نحو هذا الهدف .

و إعتبارا لهذه الطبيعة الإنتقاليّة للإشتراكيّة ، يجب أن تتحرّك بإستمرار صوب الشيوعيّة . و إن لم تفعل ذلك ، فإنّها بطريق الحتم ستتحرّك إلى الخلف – نحو الرأسماليّة . و يمكن لهذا أن يحدث فوق كلّ شيء لأنّه في ظلّ الإشتراكيّة تولد حتما **برجوازيّة جديدة** و لُبّها يكون داخل الحزب الشيوعي ذاته ، خاصة التحريفيّين في القيادة العليا للحزب ، الذين يمكن أن يفتكّوا السلطة من البروليتاريا و يعيدوا تركيز الرأسماليّة . هذا ما قد حدث في الإتّحاد السوفياتي وإثر وفاة ماو نفّذ التحريفيّون في الصين إنقلابا و سيرورة إعادة تركيز الرأسماليّة الآن جارية في ذلك البلد أيضا .

و الثورة المضادة للبرجوازيّة الجديدة تبدأ في البنية الفوقيّة – هنا تلعب البنية الفوقيّة الدور الحيويّ كما الدور المبادر . و عند إعداد الظروف لمثل هذا الإنقلاب ، هؤلاء المستنزفون الرأسماليّون الجدد يولون عناية كبيرة للصراع فى الحقل الإيديولوجي بما فيه الأدب و الفنّ . و مثلما أشار ماو بدقّة سنة 1962 :

" كتابة الروايات أمر شائع شعبيّا في هذه الأيّام ، أليس كذلك ؟ و إستخدام الروايات كنشاط معادى للحزب إختراع عظيم . يجب على كلّ من يريد الإطاحة بنظام سياسيّ أن يخلق رأيا عاما و يقوم ببعض العمل التحضيريّ إيديولوجيّا . و ينطبق هذا على الطبقات المعادية للثورة كما على الطبقات الثوريّة . " (19) (" خطاب أمام الاجتماع العام العاشر للجنة المركزيّة الثامنة " ضمن كتاب ستوارد شرام ، **" ماو تسى تونغ يتحدّث إلى الشعب "** بالأنجليزيّة ، ص 195)

و إلى درجة أنّ البرجوازيّة – خاصة الأشخاص السامين في الحزب أتباع الطريق الرأسمالي – لم يقع التصدّى لها في هذا الميدان ، ستكتسب قوّة و ستكون في موقع أفضل بكثير للإستيلاء على السلطة السياسيّة . و من هنا الأهمّية الكبرى في ظلّ الإشتراكيّة للصراع في البنية الفوقيّة و موقف ماو المستشهد به في بداية هذا الفصل ، أنّه " يجب على البروليتاريا أن تمارس دكتاتوريّتها الشاملة على البرجوازيّة في مجال البنية الفوقيّة بما فيها مختلف حقول الثقافة " .

خطّ ماو حول الأدب و الفنّ

في إرتباط بهذا ، يستحقّ مقتطف ماركس المذكور أعلاه (من **" الثامن عشر من بروميير "**) التذكير به . فهناك كان ماركس يؤكّد على كيف أنّ الثورات الماضية أمكن لها أن تستعير شعرها من الماضي – أمكن لها أن تختفي في الماضي تحديدا لأجل حجب المعنى التام لطبيعتها الثوريّة الخاصة . و يعود هذا إلى كون جميعها تمثّل إفتكاك السلطة من أجل طبقة مستغِلّة جديدة . و رغم أنّه وُجدت في فترة صعودها ، أدوات تقدّم البشريّة فإنّ الطبقات السابقة ، حتّى وهي تنجز ثورة و تصعد إلى السلطة ، أمكن لها أن لا تكون حقّا واعية بهذا الدور التقدّميّ الثوريّ الذى كانت تنهض به – لأنّه الوعي بذلك تمام الوعي كان سيعنى رؤية طبيعتها التاريخيّة الإنتقاليّة الخاصة ، قبرها الخاص في نهاية المطاف و إضمحلالها .

و البروليتاريا بالعكس ، **يجب** أن تكون متفطّنة و متيقّظة و واعية بالضبط بما تقوم به و بواقع أنّ حكمها الخاص من منظور تاريخي ، ليس سوى أمرا إنتقاليّا . و في الواقع ، البروليتاريا هي الطبقة الأولى و الوحيدة في التاريخ التي تسعى إلى القضاء في آخر المطاف على سلطة دولتها و جميع الظروف الماديّة و الإيديولوجيّة التي تجعل من ذلك الحكم ضروريّا . و بالفعل ، إذا ما تمّ التغاضى عن هذا ، سيُطاح بحكمها و سيُعاد تركيز الرأسماليّة . لهذا لا يمكن للثورة البروليتاريّة أن تستقي شعرها و ثقافتها عامة من الماضيّ – بل يجب أن تسعى بإستمرار ، و بوعي تام لما تفعله و لمهمّتها التاريخيّة العظيمة ، لخلق شيء مختلف عن ما عرفته أبدا البشريّة .

و بالرغم من كون المساهمة الأساسيّة لماو في هذا الحقل كانت متّصلة بتطوير الثقافة البروليتاريّة و إستخدامها في توطيد دكتاتوريّة البروليتاريا و التقدّم بالثورة في ظلّ هذه الدكتاتوريّة ، فإنّه أرسى التوجّه الأساسي لهذا حتّى قبل تركيز السلطة السياسيّة عبر البلاد و ولوج المرحلة الإشتراكيّة للثورة . كان قادرا على القيام بذلك ، في جزء منه ، لأنّ الثورة الصينيّة (كما لمسنا في الفصول السابقة) تطوّرت على نحو لم يتمثّل في الإطاحة بسلطة النظام القديم كلّه مرّة واحدة أو في وقت قصير نسبيّا ، بل من خلال كفاح مسلّح طويل الأمد . و عمليّا ، تمثّل هذا في سلسلة كاملة من الحروب المتنوّعة التي من خلالها ، في مسار أكثر من 20 سنة ، بُنيت قواعد الإرتكاز الجديدة المحرّرة من حكم الرجعيّين ثمّ في النهاية تمّ شنّ الهجوم الشامل لتحرير البلاد بأسرها . و أثناء هذه السيرورة المديدة – وهي ذاتها تميّزت بمراحل فرعيّة – جرى بناء علاقات إنتاج جديدة و بنية فوقيّة جديدة في المناطق المحرّرة لخدمة تطوير نضال الجماهير .

و رغم أنّ العلاقات الإقتصاديّة و الإجتماعيّة و السياسيّة لم تكن بعدُ إشتراكيّة في طبيعتها – و إنعكس هذا في مجال الإيديولوجيا و الثقافة – مع ذلك ، وُجدت مظاهر المستقبل الإشتراكي بما فيها الدور القيادي للبروليتاريا و إيديولوجيّتها ، و قد ناضل ماو بإستمرار من أجلها ضد العناصر البرجوازيّة (و الإقطاعيّة) داخل الحزب الشيوعي الصيني و خارجه أيضا .

ندوة يانان حول الأدب و الفنّ

على هذا الأساس ، طوّر ماو التوجّه الجوهريّ للأدب و الفنّ . و قد تكشّف هذا في سلسلة خطابات ألقاها ماو أثناء ندوة يانان سنة 1942 حول الأدب و الفنّ و التي دامت شهرا . (كما لاحظنا آنفا في هذا الكتاب ، كانت يانان المركز الذى أقامت فيه الحكومة الثوريّة قواعد الإرتكاز و قيادة الحزب الشيوعي الشيوعي الصيني و الجيش الثوري).

قبل سنتين من ذلك ، كتب ماو عمله الأساسي " **حول الديمقراطيّة الجديدة** " و فيه لم يلخّص الإستراتيجيا الأساسيّة للثورة الصينيّة في تلك المرحلة – مرحلة الديمقراطيّة الجديدة – فحسب بل شدّد على واقع أنّه كما قال ، " لم نناضل نحن الشيوعيّين طوال سنوات عديدة من أجل الثورة السياسيّة و الإقتصاديّة في الصين فحسب ، و إنّما من أجل الثورة الثقافيّة أيضا ." و " لن يكون في هذا المجتمع الجديد و هذه الدولة الجديدة سياسة جديدة و إقتصاد جديد فحسب، بل ثقافة جديدة أيضا. "(20) (المجلّد الثاني من " **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** " ، صفحة 474 ؛ الطبعة العربيّة لدار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين) و في ذلك البحث ، عرض في خطوطها الكبرى المميّزات العامة لهذه الثقافة الجديدة ، مشدّدا على :

" إنّ الثقافة الثوريّة هي بالنسبة إلى جماهير الشعب الغفيرة سلاح ثوريّ جبّار ، فهي تهيّئ التربة إيديولوجيّا قبل قيام الثورة، و تشكّل في أثناء الثورة جبهة ضروريّة و هامة من الجبهة الثوريّة العامة ." (21) (المصدر السابق ، صفحة 533)

عموما أرسى " **حول الديمقراطيّة الجديدة** " أرضيّة ل " **أحاديث في ندوة الأدب و الفنّ بيانان** " و فيها يتطرّق للمميّزات الخاصة التي ينبغي أن تكون للفنّ لأجل أن يكون سلاحا ثوريّا .

قبل كلّ شيء ، تحدّث ماو عن مسألة الموقف الطبقيّ و كما جرت الإشارة إلى ذلك ، كلّ من الأدب و الفنّ يجب أن يقادا ، و موضوعيّا سيقادان بنظرة إلى العالم و موقف طبقة ما من طبقات المجتمع ، سواء كان الشخص الذى ينتجها واعيا لذلك أم غير واع به . و في هذا السياق ، أشار ماو إلى أنّه لأجل أن تنهض الثقافة بدور تقدّميّ و ثوريّ ، يجب أن تخدم البروليتاريا لأنّه في هذه المرحلة من تاريخ الإنسانيّة وحدها الطبقة العاملة طبقة ثوريّة تماما و وحدها الطبقة العاملة بوسعها أن تقود الجماهير الشعبيّة في التغيير التام للمجتمع . و أكّد ماو على هذا ، رغم أنّ مرحلة الثورة حينها كانت ديمقراطيّة و لم تصبح بعدُ إشتراكيّة . و فقط بقيادة الطبقة العاملة في كافة المجالات بما فيها الثقافة ، أمكن لها أن تكون ثورة ديمقراطيّة **جديدة** ، قادرة على إلحاق الهزيمة التامة بالإمبرياليّة و الرجعيّة المحلّية و التقدّم صوب مستقبل إشتراكي .

و في إرتباط وثيق بهذا ، طرح ماو أيضا بحدّة مسألة **من أجل من** . من أجل من ، سأل العاملين بالثقافة في يانان ، تنتجون أعمالكم ؟ و المسألة الأساسيّة هنا هي : هل يجب أن تكن من أجل النخبة ، هل يجب أن تكون من أجل " أناس متفوّقين " مفترضين أم يجب أن تكون من أجل الجماهير الشعبيّة ؟ و أجاب ماو أنّه يجب أن تُنتج من أجل الجماهير الشعبيّة و في الصين هي تشتمل على ليس الطبقة العاملة فحسب بل أيضا على مئات ملايين الفلاّحين و كذلك الجنود (خاصة الجيش الثوري) . يجب إنتاج الفنّ من أجل جماهير الشغّالين و المضطهَدين ، أوضح ماو . يجب أن تعانقه الجماهير و يجب أن تتّخذه سلاحا في نضالها .

و لتحقيق هذا ، ألحّ ماو ، على المشتغلين بالثقافة و منتجى الأدب و الفنّ أن يذهبوا إلى صفوف الجماهير و يندمجوا معها ، و يشتركوا معها في العمل ، و يساعدوها على خوض النضال ضد العدوّ . و أكّد على : " لدي مشتغلينا بالأدب و الفنّ ما يقومون به من النشاطات الأدبيّة و الفنّية ، إلاّ أنّ ما يحتلّ المقام الأوّل من نشاطاتهم هو أن يفهموا الناس و يعرفوهم معرفة جيّدة . " (22) (صفحة 95 من " **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** " ، المجلّد الثالث ؛ الطبعة العربيّة لدار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين). لاحظوا أنّه قال إنّ ذلك ليس مجرّد مهمّة لها أهمّيتها بل مهمّة **المقام الأوّل** للكتّاب و الفنّانين الثوريّين .

و قال ماو إنّ الحيويّ هنا هو مسألة المثقّفين و إندماجهم مع الجماهير ، مغيّرين نظرتهم إلى العالم و متبنّين بصلابة الموقف و النظرة و المنهج الثوريّين للبروليتاريا و الماركسيّة . و في صلة بهذا وصف ماو ، في مقطع شهير ، كيف أنّ مشاعره الخاصة تجاه الجماهير تغيّرت وهو يتحوّل إلى ثوريّ . نتيجة التربية البرجوازيّة (و حتّى الإقطاعيّة) ، قال ماو : " عندما كنت طالبا إكتسبت في المدرسة عادات الطلبة و سلوكهم ، و كنت أحسّ بأنّه ممّا يمسّ كرامتى أن أقوم بقسط ضئيل من العمل الجسماني كحمل متاعى الخاص على مشهد من زملائى الذين يعجزون عن حمل أيّ شيء . و قد خيّل إليّ في تلك الأيّام أنّ المثقّفين وحدهم نظفاء في الدنا ، أمّا العمّال و الفلاّحون فهم على كلّ حال متّسخون بالمقارنة معهم ." (23) (المصدر السابق ، صفحة 96)

ويسترسل ماو ليروى كيف تغيّرت مشاعره :

" ولمّا أصبحت ثوريّا و عشت بين العمّال و الفلاّحين و الجنود في الجيش الثوريّ ، بدأت أعرفهم شيئا فشيئا ، كما بدوا يعرفوننى بالتدريج . و عندئذ ، و عندئذ فقط طرأ تغيّر جذريّ على تلك المشاعر للبرجوازيّة و للبرجوازيّة الصغيرة التي غرستها في نفسي المدارس البرجوازيّة . فوجدت حينئذ ، و قد قارنت بين المثقّفين الذين لم يعيدوا تكوين أنفسهم و بين العمّال و الفلاّحين ، أنّ أولئك المثقّفين لم يكونوا نظفاء ، و أنّ أنظف الناس هو العمّال و الفلاّحون ، فهم أنظف من مثقّفى البرجوازيّة و البرجوازيّة الصغيرة ، و إن كانت أيديهم متّسخة و أقدامهم ملطّخة بروث البهائم . و هذا ما نعنيه بالتحوّل فى المشاعر ، التحوّل من مشاعر طبقة إلى مشاعر طبقة أخرى . " (24) (المصدر السابق ، صفحة 97)

و أكّد ماو على أنّ العاملين الثوريّين في الثقافة ينبغي أن يعرفوا الجماهير – ما هي مشاعرهم تجاه الأشياء و كيف ينظرون إلى العالم و كيف كانوا عمليّا يخوضون النضال . ينبغي أن يتعلّموا اللغة الحيّة للشعب ، و أن يتعلّموا و يزيدوا من تطوير الأعمال الثقافيّة ، و الأغاني و الموسيقى و الرقص إلخ .. التي أنتجتها الجماهير نفسها ، خاصة مع تطويرها لنضالها . في حال عدم القيام بهذا ، سينزع الأدب و الفنّ إلى أن يواجه النبذ من الجماهير الشعبيّة – لأنّه ينحو إلى أن يكون غريبا عنها، شكلا و مضمونا .

و كنموذج بارز أشار ماو إلى لو هسون ، كاتب ثوري أثناء الثورة الديمقراطيّة الجديدة تبنّى النظرة الشيوعيّة و وقف بصلابة إلى جانب الجماهير الشعبيّة مستخدما قلمه كسلاح قويّ جدّا في النضال الثوريّ إلى وفاته سنة 1936 . مدح ماو لو شيون قائلا إنّه " أعظم و أشجع حامل لراية " القوّة الثقافيّة الثوريّة الجديدة التي ظهرت في الصين غداة الرابع من ماي 1919، تمرّد مناهض للإمبرياليّة في الصين و إنتشار الماركسيّة – اللينينّة إلى ذلك البلد و تشكّل الحزب الشيوعي الصيني سنة 1921 .(25) (أنظروا ماو، " **حول الديمقراطيّة الجديدة** " صفحة 371-373 بالأنجليزيّة) و بصفة خاصة ، إثر غزو اليابان للصين ، عندما أضحت مهمّة خوض حرب مقاومة ضد اليابان في موقع الصدارة ، قاد لو شيون بقوّة خطّ " أدب الجماهير من أجل الحرب الوطنيّة الثوريّة " ، في تعارض مع الخطّ اليميني ل " أدب الدفاع عن الوطن " الذى لقي حظوة في صفوف أوساط أدبيّة يساريّة مؤثّرة و حتّى في صفوف الحزب الشيوعي الصيني ، و الذى مثّل خطّ إستسلام خضوع لتشان كاي تشاك . فكان ذلك صراعا طبقيّا مفتاحا في حقل الأدب و الفنّ و كان مرتبطا وثيق الإرتباط و لعب دورا هاما في الصراع الطبقي العام ضمن معسكر معارضة اليابان و ضمن الحركة الثوريّة .

فقال ماو : بهذه الطريقة و غيرها من الطرق الأخرى ، وقف لو شيون كعملاق في الجيش الثقافي الثوري في الصين . " فعلى كلّ عضو للحزب الشيوعي و كلّ ثوريّ و كلّ مشتغل ثوري بالأدب والفنّ أن يقتدي بلو شيون ، لكي يصبح " ثورا" للبروليتاريا و جماهير الشعب ، يبذل مهجته من أجلهم حتّى يلفظ آخر أنفاسه . " (26) (صفحة 129 من " **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** " ، المجلّد الثالث ؛ الطبعة العربيّة لدار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين)

وتناول ماو بالبحث أيضا مسألة من يجب على الفنّ أن يمدحه ومن يجب أن يفضحه و ينقده ؟ وجاء جوابه دقيقا ومناسبا :

" إنّ كلّ القوى الظالمة التي تضرّ بجماهير الشعب لا بدّ من كشفها ، و جميع النضالات الثوريّة التي تقوم بها جماهير الشعب لا بدّ من تمجيدها ، هذه هي المهمّة الأساسيّة التي تقع على عاتق الكتّاب و الفنّانين الثوريّين ." (27) (المصدر السابق ، صفحة 122)

لاحظوا التشديد هنا . هذه **مهمّة أساسيّة** للمشتغلين الثوريّين في الثقافة . (و هذا لا يتناقض مع ما قاله ماو قبلا ، أنّ المهمّة الأوّليّة للكتّاب و الفنّانين الثوريّين هي فهم الناس و معرفتهم معرفة جيّدة ، لأنّه يتحدّث عن ما هو عامة أوّليّا ، بينما هنا يتعلّق الأمر بمهمّتهم الأساسيّة في الخلق العملي للأعمال الثقافيّة – بكلمات أخرى ، يتكلّم هنا عن المهمّة الأساسيّة للثقافة و الأدب و الفنّ بخاصة).

عديد الناس في الحزب الشيوعي الصينيّ إعترضوا بنشاط على و عارضوا خطّ ماو حول هذه المسألة . و بالنسبة إلى البعض منهم ، كان هذا جزءا لا يتجزّأ من معارضة خطّه حول الثقافة ككلّ و في الواقع خطّه الثوريّ ككلّ . و قالوا إنّ الفنّانين الثوريّين يجب أن يكونوا " موضوعيّين " – و بهذا يقصدون عادلين . لا يتعيّن أن نمدح دائما العمّال و الفلاّحين و النضال الثوريّ ، شدّدوا ، يتعيّن كذلك أن نشير إلى الجوانب السلبيّة ، النقائص . و إن قام الرأسماليّون بشيء جيّد يجب أن نعترف بفضلهم ، و كذلك إن قام العمّال بشيء سيّء يتعيّن أن نشير إليه أيضا .

و رغم مزاعم أنّ مثل هذا الموقف " موضوعيّ " ، في الواقع هو ليس كذلك . فالقيام بالثورة البروليتاريّة يجب أن يكون نضالا واعيا جدّا ، و هو يعنى فضحا و نبذا تامين لكافة الأفكار التقليديّة ، لكافة قوّة العادات ، لكافة الطرق العاديّة و المقبولة و الطبيعيّة للقيام بالأشياء . و أن نكون " عادلين " في هذا الوضع يعنى موضوعيّا خدمة الطبقة الرأسماليّة التي تملك قوّة العادات و قوّة التقاليد إلى جانبها .

و هذه المسألة و هذا الصراع حولها ظهرا عديد المرّات في مسار الثورة الصينيّة ، ليس أثناء مرحلة الديمقراطيّة الجديدة فحسب بل حتّى بأكثر شراسة أثناء المرحلة الإشتراكيّة . مثلا ، تاو تشو ، تحريفي كان وجها بارزا في عمل دعاية الحزب الشيوعي الصيني في بداية الثورة الثقافيّة ، زعم ضمن عدّة أشياء أخرى ، أنّ كتّاب الحزب يتعيّن أن يُشيروا إلى نقائص الكمونات الشعبيّة التي أنشأت خلال النهوض الجماهيري في الريف و كانت تمثّل تقدّما أكثر للإشتراكيّة هناك . و هنا ، شأنه شأن التحريفيّين الآخرين ، كان تاو تشو يمضى مباشرة ضد الخطّ الأساسي لماو ، بما في ذلك التوجّه الأساسي الذى رسمه للثقافة . و هنا أيضا ، يمكن أن نشاهد مرّة أخرى الدور الكبير للثقافة فى خلق رأي عام لطبقة أو أخرى و الدفاع عن نظام أو آخر .

و ردّا على هذا ، ياو وان - يوان ، ثوريّ صار بارزا إبّان الثورة الثقافيّة و كان واحدا من الأربعة الذين قاتلوا ببطولة للدفاع عن خطّ ماو عقب وفاته ، ردّ بسرعة : " هناك أغنية تسمّى **الكمونات الشعبيّة جيّدة** . هل من اللازم تغيير هذا العنوان بجملة " للكمونات الشعبيّة نقائص " ؟ " (28) (" **تعليقات على كتابين لتاو تشو**" ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1968، صفحة 27 ، بالأنجليزيّة)

و المسألة ليست أنّ الكتّاب الثوريّين يجب أن يكذبوا و يكونوا إحاديّى الجانب . العكس بالضبط . كما شرح ياو :

" يتعيّن أن نميّز بين التيّار الأساسيّ للحياة و التيّارات الأصغر . و فقط عندما نركّز على التيّار الأساسي يكون بوسعنا أن نقدّم عرضا نموذجيّا لجوهر التقدّم الاجتماعي . توفّر التيّارات الأصغر مجرّد مقارنة نسبة إلى التيّار الأساسي و يمكن أن نستعملها لتقديم الجوهر إذ هي تشكّل مظهرا تابعا للكلّ ، و إلتواءات جزئيّة و مؤقّتة في مسار التقدّم ، لا يجب أبدا النظر إليها على أنّها المضمون الأساسيّ للحياة " . (29) (المصدر السابق ، صفحة 26)

طبعا ، لكلّ شيء في آن معا مظهره الجيّد و مظهره السيّء . لكن ما هو المظهر الرئيسيّ . هل هو الجديد و الحيويّ في تعارض مع القديم و المتداعى ؟ و ما هو الهدف الشامل للفنّان الثوريّ ؟ بعدُ سنة 1942 في أحاديثه في ندوة يانان ، حدّد ماو المقاربة الأساسيّة لهذه المسألة . فقال صحيح " إنّ في جماهير الشعب نقائص و عيوب أيضا . " (30) (صفحة 122 من " **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** " ، المجلّد الثالث ؛ الطبعة العربيّة لدار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين) . أجل، وجهة نظر الطبقات المستغِلّة لها تأثيرها . و إنّها لمهمّة هامة للثقافة الثوريّة أن تدرّب الناس و تساعدهم على التخلّص من تلك الأعباء . إلاّ أنّه يجب القيام بهذا على أساس التوحّد معهم و مساندة نضالهم تمام المساندة ؛ يجب القيام بذلك على نحو يساعدهم عمليّا على التخلّص من هذه العراقيل ، و ليس الهجوم عليهم أو عدم رسم خطّ تمايز بين الناس (المتأثّرين إلى درجة معيّنة بإيديولوجيا العدوّ و ثقافته) من جهة و العدوّ و نظامه و إستغلاله و إضطهاده و إيديولوجيّته و ثقافته المنحطّين من الجهة الأخرى .

التعميم و رفع المستوى :

إذن إعتبارا لكون الفنّ الثوريّ يتعيّن أن يخدم الجماهير في نضالها ، المسألة التي تُثار هي ، كيف القيام بهذا ؟ و هنا مسألة حيويّة تطرّق إليها ماو في أحاديثه في ندوة يانان هي التناقض بين **رفع المستوى و التعميم** [التعميم هنا بمعنى الترويج والنشر في صفوف الشعب – المترجم] . كان ذلك مجالا قام فيه ماو بمساهمات جديدة ذات أهمّية .

كان بعض الناس يقولون إنّه بينما يُعدّ نشر الفنّ و الثقافة في صفوف الجماهير أمرا هاما ، الأشياء الأهمّ هي رفع مستوى الفنّ الثوريّ – بكلمات أخرى ، إنّ الفنّ و الأدب كانا بدائيّين جدّا و مملّين و قوالب جاهزة إلخ . إلاّ أنّ ماو عارض بوضوح و حدّة هذه النظرة . فقال إنّ التعميم شعبيّا للفنّ و الثقافة عامة في صفوف الجماهير الواسعة ، كجزء مفتاح من النضال الثوريّ الشرس العام المحتدم آنذاك ، هو المظهر الرئيسيّ .

و أكثر حيويّة ما قاله ماو حول الصلة المتبادلة بين المظهرين ، و علاقة كامل المشكل بمهمّة العاملين في ميدان الثقافة في الإندماج مع الجماهير و التعلّم منها :

" إنّما يجب علينا أن نعمّم ما يحتاج إليه العمّال و الفلاّحون و الجنود أنفسهم و ما يستسيغونه . لذا فقبل أداء مهمّة تثقيف العمّال و الفلاّحين و الجنود يوجد واجب التعلّم منهم . و هذا ينطبق بصورة أكثر على مسألة رفع المستوى . فإنّ رفع المستوى لا بدّ له من أساس . مثلا ، إذا كان أمامك دلو مملوء بالماء ، فهل ترفعه من الهواء بدلا من أن ترفعه من سطح الأرض ؟ إذن ، على أيّ أساس يبدأ رفع الأدب و الفنّ ؟ من أساس الطبقة الإقطاعيّة ؟ من أساس البرجوازيّة ؟ من أساس مثقّفى البرجوازيّة الصغيرة ؟ كلاّ ، ليس من أيّ أساس من هذه الأسس ، إنّما يجوز أن نبدأ من أساس جماهير العمّال و الفلاّحين و الجنود . و لا يعنى هذا رفع مستوى العمّال و الفلاّحين و الجنود إلى ذلك " المستوى " ، مستوى الطبقة الإقطاعيّة و البرجوازيّة و مثقّفى البرجوازيّة الصغيرة ، بل يجب أن يسير رفع المستوى في الإتّجاه الذى يتقدّم فيه العمّال و الفلاّحون و الجنود ، في الإتّجاه الذى تتقدّم فيه البروليتاريا . ههنا تبرز لنا مهمّة التعلّم من العمّال و الفلاّحين و الجنود . و لا نتمكّن من الفهم الصحيح للتعميم و رفع المستوى و لا من الإهتداء إلى العلاقة السليمة بينهما إلاّ إذا إتّخذنا العمّال و الفلاّحين و الجنود نقطة إنطلاقنا . " (31) (صفحة 106 من " **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** " ، المجلّد الثالث ؛ الطبعة العربيّة لدار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين)

بعبارات أخرى ، يجب على الفنّ الثوري و الثقافة الثوريّة أن يشيّدا على ما قد أبدعته بعدُ الجماهير – طرقها الحيويّة الخاصة في الخطاب و التعبير ، على سبيل المثال ، و الأغاني و الرقصات و الموسيقى و الحكايات الفلكلوريّة التي نبعت من الشعب . هذه نقطة الإنطلاق . و ما هو الإتّجاه ؟ إنّه الإتّجاه الذى تتقدّم فيه بعدُ الجماهير الشعبيّة في النضال ، الإتّجاه الذى تتّبعه بعدُ و يجب أن تتّبعه – إتّجاه الإشتراكيّة و الشيوعيّة .

و في الوقت نفسه ، لاحظ ماو أنّه من الضروريّ إنتاج بعض الأعمال الأدبيّة و الفنّية بصفة خاصة لتلبية الحاجيات الثقافيّة للكوادر . و قال ماو إنّ هذا يجب بالضرورة أن يكون أعلى مستوى من الأعمال المنتجة الموجّهة إلى الجماهير العريضة، بما أنّ الكوادرعامة حصّلوا مستوى تعليميّا أكبر من الجماهير وهم في الواقع العاصر المتقدّمة سياسيّا من الجماهير . بيد أنّ مثل هذا الأدب و الفنّ للكوادر يجب أن يستمرّ في خدمة الهدف الأساسي لإستنهاض الجماهير و تنويرها لتناضل بأكثر وعي و تصميم من أجل الهدف الثوريّ . و قد شرح ماو جدليّة ذلك كما يلى :

" إنّ كلّ عمل في سبيل الكوادر هو تماما في سبيل الجماهير أيضا ، إذ لا يمكن تثقيف الجماهير و إرشادها إلاّ بواسطة الكوادر . و إذا ما شططنا عن هذا الهدف ، و إذا كان ما نقدّمه إلى الكوادر لا يساعدهم على تثقيف الجماهير و إرشادها ، فإنّ عملنا من أجل رفع المستوى سيكون مثل إطلاق السهام بلا هدف ، و سيكون قد حاد عن المبدأ الأساسيّ مبدأ خدمة جماهير الشعب . " (32) (المصدر السابق ، صفحة 111)

القطيعة الراديكاليّة في مجال الثقافة :

لماذا يقول ماو إنّ رفع المستوى **لا** يعنى بشكل خاص رفع الجماهير إلى ما يسمّى " المستويات العالية " للطبقات الإقطاعيّة و البرجوازيّة و المثقّفين البرجوازيّين الصغار ؟ ماذا يعنى هنا و ما هي أهمّية هذا ؟

كان هذا يتعارض مباشرة مع خطّ أنّ المهمّة في العمل الثقافي تتقوّم في " رفع " الجماهير إلى حيث تستطيع بشكل صحيح أن تقدّر الأعمال الكلاسيكيّة ل " الرجال العباقرة " للعصور الماضية . هذا إلى جانب موقف أنّ العصر الراهن و النظام الإشتراكيينبغى أن يُنتج " مجرّة " من " الرجال العباقرة " الجدد الذى هو تحديدا خطّ التحريفيّين – في الإتّحاد السوفياتي و في الصين ذاتها بما في ذلك التحريفيّين الذين يحكمون الصين اليوم – و الذين هاجموا بلا هوادة خطّ ماو ليس بصدد الثقافة عامة فحسب بل خاصة بصدد هذه النقطة المتّصلة بمعنى " رفع المستوى " . هنا المعنى جوهريّا هو ما إذا كانت أم لا ثقافة البروليتاريا و منها الأدب و الفنّ ، تمثّل و يجب أن تمثّل شيئا مختلفا نوعيّا عن – و متقدّما أبعد من – جميع الثقافات السابقة . و أجاب ماو بالتأكيد بنعم ، أمّا التحريفيّون جميعهم ، بطريقة أو أخرى ، فأجابوا بالأساس بلا . و ما كان ماو يستند إليه و يطبّقه هو الفهم الذى قدّمه ماركس و إنجلز في **" بيان الحزب الشيوعي "** : إنّ الثورة الشيوعيّة تقطع من الأساس كلّ رابطة مع علاقات الملكيّة التقليديّة ؛ فلا عجب إذن إن هي قطعت بحزم أيضا ، أثناء تطوّرها ، كلّ رابطة مع الأفكار و الآراء التقليديّة .

و أكيد أنّ هذا ينسحب على مجال الثقافة . ليس ممكنا إنجاز الثورة الإشتراكيّة و الإنتقال إلى الشيوعيّة دون خلق ثقافة جديدة تماما بما فيها أدب و فنّ ، تقدّم لأوّل مرّة في التاريخ نظرة البروليتاريا و تروّج لمصالحها في الإطاحة بكلّ ما هو رجعيّ و تقوم بتثوير المجتمع بأكمله . لا يمكن فعل هذا بما يُفترض من رفع الأعمال " الكلاسيكيّة " من الفنّ " فوق الطبقة " و التعاطى معها على أنّها قمّة ما يمكن بلوغه و الذى يجب " رفع " " الرعاع الجهلة " من الجماهير لتقديسها . و كذلك لا يمكن فعل ذلك بخلق ما يفترض أنّه أعمال بروليتارية للفنّ بإستخدام مناهج الطبقات المستغِلّة و مثقّفيها : التعويل على قلّة من " الرجال العظماء " المنفصلين عن الجماهير و عن نضالاتها الثوريّة . بدلا من ذلك ، يجب القيام بالأمر بالتعويل على و التعلّم من و إطلاق العنان و تطوير إبداع و خلق الجماهير ذاتها ، في ظلّ قيادة الماركسيّة .

هل يعنى هذا و هل كان موقف ماو أنّه يتعيّن إنكار جميع الفنّ و الثقافة من العصور السابقة إنكارا عشوائيّا أم ببساطة أن نضعها جانبا على أنّها عديمة الفائدة أو ضارة ؟ بالتأكيد لا . ينبغي تطبيق الماديّة التارخيّة لتقييم دور مثل هذه الأعمال . و تلك التي لعبت دورا تقدّميّا في العصور السابقة يتوجّب الفاع عنها في ذلك الإطار ، بينما مع ذلك لا يتوجّب الإخفاق أبدا في الإشارة إلى التحيّز و الحدود الطبقيّين . و على هذا الأساس ، يمكن لمثل هذه الأعمال أن تُستخدم كجزء من تربية الجماهير على الماديّة التاريخيّة ، طالما أنّ هذا يجرى من وجهة نظر و يرتبط بالتحليل المنهجي لمثل هذه الأعمال بواسطة علم الماركسيّة . و أبعد من ذلك ، بعض الأدوات الفنّية يمكن تبنّيها من أعمال تمثّل نظرة و مصالح طبقات و أنظمة سابقة إستغلاليّة ، لكن هذا عامة يلزم أن **يتأقلم** كذلك لينسجم مع الطابع الثوري للفنّ البروليتاري – بما أنّ الشكل يتداخل مع المضمون .

و تكلّم ماو عن هذا في أحاديثه في ندوة يانان فأعرب عن التالى :

" أمّا التركة الغنيّة و التقاليد الممتازة للأدب و الفنّ في الصين و البلدان الأجنبيّة في العصور السالفة فنحن لها وارثون ، و لكن الغرض من ذلك هو أيضا خدمة جماهير الشعب . و كذلك ، إنّنا لا نرفض الإستفادة من الأشكال الأدبيّة و الفنّية الماضية ، و لكنّنا حين نأخذها ، نعيد صياغتها و ندخل عليها محتويات جديدة ، فتتحوّل إلى أشياء ثورية تخدم الشعب ." (33) (صفحة 101 من **" مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة "** ، المجلّد الثالث ؛ الطبعة العربيّة لدار النشر باللغات الأجنبيّة، بيكين)

و قد وقع تلخيص هذا ، بقيادة ماو ، في شعارات طُبّقت في الثقافة و كذا في غيرها من الحقول : " لنجعل الماضى يخدم الحاضر و الأشياء الأجنبيّة تخدم الصين " و " لنجعل القديم يخدم إنشاء الجديد " .

و كجزء من الخطّ الأساسي لهذا ، يجب أن يُدرك أنّ حتّى الأعمال التي كانت تقدّميّة وقتها – في عصور تاريخيّة سابقة – لم تلعب دورا تقدّميّا في هذا العصر تحديدا إذا وقع تقديمها بلا نقد و عرضها على أنّها " كلاسيكيّات " لاطبقيّة أو حتّى عرضُها دون نقدها نقدا ماركسيّا منهجيّا و تربية الجماهير بشأن مضمونها الطبقي و كذلك دورها التاريخي . و هنا مرّة أخرى ، يجب التشديد على أنّ قوّة العادة و وزن التقاليد الثقيل تعمل لصالح الطبقات المستغِلّة و ضد البروليتاريا . كافة هذه الأعمال الفنّية للعصور السابقة الممثّلة لموقف الطبقات المستغِلّة و مصالحها ، عفويّا ، ستؤثّر على الجماهير في إتّجاه معارض للنظرة البروليتاريّة إلى العالم و مصالحها الثوريّة الخاصة ، و في مثل هذه الأحوال ، ستلعب دورا رجعيّا . و مجدّدا ، إذا كان إستخدام هكذا أعمال ممزوجا بالتربية المنهجيّة في ما يتعلّق ليس بدورها التاريخي فقط بل أيضا بمضمونها الطبقي ونظرتها الطبقيّة إلى العالم ، وفقط إذا كانت الأخيرة تُنقد نقدا شاملا بينما الأولى تفسّر في ضوء الماديّة التاريخيّة ، فقط حينها يمكن أن تلعب نوعا من الدور الإيجابي في الثورة البروليتاريّة .

و أبعد من ذلك ، ما من عمل من هذه الأعمال مهما كان عظيما فى عصره الخاص يمكن أن يقارن بأيّة طريقة بالإبداعات الثقافيّة الثوريّة التي تحقّقت في هذا العصر في ظلّ قيادة البروليتاريا الثوريّة و إيديولوجيّتها . عند تقييمها مقارنة بمثل هذه الأعمال البروليتاريّة للفنّ ، كلّ الأعمال السابقة باهتة . و بمعزل عن أدواتها الفنّية ، لا يمكن أبدا أن تصوّر قوّة عظيمة نضالات الجماهير الشعبيّة لتحرير نفسها في ظلّ قيادة الطبقة الأكثر ثوريّة في التاريخ . فقط الثقافة التي تقودها نظرة و خدمة مصالح هذه الطبقة ، البروليتاريا ، يمكن أن تتسلّق هذه المرتفعات .

و تتركّز مساهمة ماو في مجال الثقافة فى هذه النقطة بوجه خاص ، ممثّلة مزيد التقدّم إلى أبعد من ما سبق من النظريّة و الممارسة الماركسيّة و البروليتاريّة في هذا المجال . و بالضبط في ظلّ قيادة الخطّ الثوري لماو ، خلق الشعب الصيني أعمالا فنّية تمثّل القمّة التي بلغتها الإنسانيّة بعدُ في الثقافة .

الفنّ كبؤرة تركيز الصراع الثوريّ

و مرّة أخرى ، يتعيّن التشديد على أنّ ماو طوّر هذا الخطّ و قام بهذه المساهمات تحديدا من خلال الإبقاء أعلى من كلّ شيء مظهر الموقف الطبقي في الفنّ و الثقافة . هذا ما ألحّ عليه ماو مرارا و تكرارا كما قال في أحاديثه في يانان :

" إن كلّ ثقافة أو كلّ أدب و فنّ في عالمنا اليوم يتبع طبقة معيّنة و خطّا سياسيّا معيّنا . و ليس هناك في الواقع فنّ من أجل الفنّ ، أو فنّ فوق الطبقات ، أو فنّ مواز للسياسة أو مستقّل عنها . " (34) (المصدر السابق ، صفحة 114)

هذا هو جوهر و لبّ كامل التوجّه الأساسيّ لماو . فالفنّ إرتبط على الدوام بطبقة محدّدة ، وهو أيضا غير منفصل عن السياسة و عن الصراع الطبقيّ .

و الآن بهذا ، طبعا ، لم يقصد ماو أنّ الفنّ و الثقافة هما ذاتهما سياسة أو يتماهيان مع الصراع الطقي بأيّ شكل آخر ، و أنّه لا وجود لدور للفنّ و الثقافة لذاته و في حدّ ذاته . العكس بالضبط . و شدّد ماو على أنّ هناك في الواقع التناقض بين المضمون السياسي و الشكل الفنّيّ ، و أنّه ليكون العمل الفنّيّ عملا ثقافيّا يجب أن يكون طبعا جيّدا تقنيّا ، يجب أن يمتلك شكلا خاصا و مناسبا ، و يجب التعبير عن مضمونها على هذا النحو . و قد نقد بوجه خاص وجود الحزب الشيوعي و ضمن الثوريّين وقتها لما يسمّى " أسلوب الملصقة و الشعار " للفنّ ، و لكي ينهض الفنّ بدوره كفنّ و ينهض بدور ثوريّ، يجب أن يكون جيّدا فنّيا . يجب أن يقوم بالوظيفة التي تبحث عنها الجماهير و ترغب فيها من جانب الفنّ ، و إلاّ لن تقدر على الإضطلاع بدور ثوريّ .

لكن ، إذن ، عن ماذا يبحث الناس فى الفنّ ؟ لماذا رغم أنّ الفنّ يتأتّى من الحياة نفسها ، ليس الناس ببساطة راضين بالحياة، بل يطالبون كذلك بالفنّ ؟ أجاب ماو بأنّه من جهة ، رغم أنّ " الأعمال الأدبيّة و الفنّية ، كأشكال إيديولوجيّة ، هي إنتاجات إنعكاس الحياة في دماغ الإنسان في مجتمع معيّن " ، و من الجهة الأخرى ،

" الحياة التي تنعكس في الأعمال الأدبيّة و الفنّية ، يمكن بل يجب أن تكون على مستوى أرقى من الحياة اليوميّة الواقعيّة و اكبر قوّة و أكثر تركيزا و أروع نموذجيّة و أقرب إلى المثل الأعلى ، و بالتالى فهي أكثر شمولا منها ." (35) (المصدر السابق ، صفحة 109)

هذا ما يعنيه أن يكون فنّا . العمل الفنّيّ يجب أن يكون أكثر شدّة و تكثيفا من الحياة نفسها ؛ لا يمكن أن يعكس بسلبيّة الحياة؛ المسرحيّة ، الرواية ، الأغنية إلخ لا يمكن ببساطة أن تعكس حياة شخص لحظة بلحظة – لن تكتسي أهمّية . يجب على الفنّ أن يكثّف و يشدّد الحياة ، يجب أن يرفعها إلى مستوى أعلى .

لكن كلّ تكثيفات الحياة ليست متشابهة و لا تخدم المصالح عينها . و يُثير هذا مسألة الحقيقة و الواقع . و الكتّاب و النقّاد البرجوازيّون (أو على الأقلّ أولئك الذين لا زالوا يزعمون الواقعيّة) يقولون : " حسنا ، يمكن للفنّ الثوري أن يكون أكثر مثاليّة إلاّ أنّ فنّنا أصدق مقارنة بالواقع . و مع ذلك ، في الواقع ، الحال هو العكس بالضبط . كلّ الفنون تعبّر عن بعض مظاهر الواقع ، بالضبط لأنّها إنتاج إجتماعي . لكن الفنّ البرجوازيّ لا يمكن إلاّ أن يصوّر ، في أفضل الأحوال ، سطح الأشياء ، في حين أنّ الفنّ البروليتاري الثوريّ يمكن أن يبيّن الجوهر الكامن ، الحقيقة الفعليّة . لا يمكن للفنّ البرجوازيّ إلاّ أن يُكثّف ما هو بصدد الموت ؛ و اليوم الفنّ البروليتاري وحده يمكن أن يكشف ما هو جديد و صاعد .

و مثلما تمّت الإشارة إلى ذلك قبلا ، لا وجود لتجانس بين واقع أنّ الفنّ الثوري متحزّب و أنّه يصوّر الواقع ، و لا بين واقع أنّه سلاح في نضال الجماهير و أنّه صحيح . ذلك أنّه كما قال ماو في عمل شهير آخر :

" يعتبر الماركسيّون أنّ الممارسة العمليّة التي يباشرها الإنسان في المجتمع هي وحدها المقياس الذى يختبر به ما إذا كانت معرفة الإنسان بالعالم الخارجي...إذا أردت إكتساب المعرفة فلا بدّ أن تشارك في الممارسة العمليّة التي تهدف إلى تغيير الواقع ." (36) (**" مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة "** ، المجلّد الأوّل ، صفحة 433 و 439 ؛ الطبعة العربيّة لدار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين)

واقع أنّ عملا فنّيا ينتج كجزء من الممارسة الثوريّة ، و يُستعمل للمساعدة في تغيير الواقع ، لا يعنى أنّه يعكس الحقيقة – لأنّه في الواقع لا يمكن للحقيقة إلاّ أن تُعكس عبر سيرورة غير الواقع ، و الحقائق الأعمق و الأكثر أساسيّة حول التاريخ و المجتمع و البشر لا يمكن بلوغها إلاّ من خلال سيرورة تغيير الواقع تغييرا ثوريّا .

عندئذ ، ماذا يفعل الفنّ الثوريّ ؟ يلخّص ماو ذلك بإقتضاب : " على الأدب و الفنّ الثوريّين أن يخلقا شخصيّات مختلفة من الحياة الواقعيّة لمساعدة الجماهير على دفع التاريخ إلى الأمام ." (37) (**" مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة "** ، المجلّد الثالث ، صفحة 109 ؛ الطبعة العربيّة لدار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين)

في علاقة بمهمّات المشتغلين في الثقافة ، و بوجه خاص في علاقة بالنقد الأدبيّ و الفنّي . و عالج ماو كذلك العلاقة الجدليّة بين السبب و النتيجة في تقديم العمل الفنّيّ . قال إنّ النتيجة كانت المظهر الرئيسيّ و ، في آخر التحليل ، معيار تقييم السبب. لكنّه حذّر ضد الميتافيزيقا في مقاربة هذه المسألة : أشار إلى أنّ المثاليّين يجهلون النتيجة بينما ينظرون فقط في السبب ، غير أنّ الماديّين الميكانيكيّين يخطئون أيضاف ى النظر فقط فى النتيجة و ليس في السبب . في تعارض مع هذا ، أوضح ماو :

" إنّنا ماديّون ديالكتيكيّون ندعو إلى الوحدة بين الدافع و الأثر . فدافع خدمة الجماهير لا ينفصل عن أثر كسب رضاها ، و من الضروريّ أن نوحّد بين الإثنين . إنّ دافع خدمة الجماهير حسنا إذا لم يأت بأثر يكسب رضى الجماهير و يفيدها . و نحن حينما نفحص النيّة الذاتيّة لدى كاتب ما ، أي نفحص دافعه لمعرفة ما إذا كانت هذه النيّة سليمة و طيّبة أم لا ، لا نحكم عليها وفقا لبيانات الكاتب بل وفقا لأثر نشاطاته (أهمّها إنتاجه) على الجماهير في المجتمع . " (38) (المصدر السابق ، صفحة 118)

و طبعا ، لا شيء من هذا يعنى أنّ أيّ عمل أدبيّ و فنّي ، كي يلعب دورا إيجابيّا ، عليه أن يكون ثوريّا بالتمام أو يعكس بالتمام نظرة البروليتاريا . و بالفعل ، يمكن أن توجد و قد وُجدت أعمال تقدّميّة كانت نتيجتها الموضوعيّة أساسا دفع الجماهير إلى الأمام في الصراع ضد العدوّ الأساسي ، حتّى مع أنّ الكاتب أو الكاتبة ، الفنّان أو الفنّانة ليس شيوعيّا / ليست شيوعيّة . و كان من الصحيح البحث عن الوحدة مع و التأثير على مثل هؤلاء الناس . لكن ، تحديد القيام بهذا ، و كذلك لتحقيق الهدف الأساسي لخلق أعمال تقودها النظرة البروليتاريّة لتلبية حاجيات الجماهير (و الكوادر) بالمعنى الأتمّ ، كان من الضروريّ للعاملين بالثقافة الثوريّة أن يتبنّوا التوجّه الذى رسمه ماو في أحاديث ندوة يانان و إنتاج على هذا الأساس لأدب و فنّ يمكن أن " يساعدا الجماهير على دفع التاريخ إلى الأمام " بالطريقة الأشمل و يمكن أن تخدم كنماذج .

الصراع حول الجبهة الثقافيّة فى الجمهوريّة الشعبيّة

و لم يحقّق خطّ ماو ، الخطّ البروليتاري ، حول الفنّ و الأدب و الثقافة عامة الظفر في صفوف الحزب الشيوعي الصيني و الحركة الثوريّة دون صراع . كان لزاما بإستمرار و بشراسة القتال طوال مسار الثورة الصينيّة . كان هذا صحيحا سنة 1942 و حتّى أكثر مع تقدّم الثورة الصينيّة ، مع كنس الطبقات المستغِلّة القديمة و دخلوا المرحلة الإشتراكيّة مع تأسيس الجمهوريّة الشعبيّة سنة 1949 . و أكثر من ذلك ، في حين أنّ أحاديث ندوة يانان رسمت التوجّه الأساسي ، كانت هناك حاجة إلى تطوير هذا الخطّ مع تقدّم النضال من مرحلتها الأولى ، مرحلة الثورة الديمقراطيّة الجديدة ، إلى مرحلة الثورة الإشتراكيّة . و هكذا كان يجب أن يُدافع عن خطّ ماو و يُعمّق من خلال تطبيقها على الظروف الجديدة ، مع تطوّر الثورة الصينيّة .

مثلا ، سنة 1951 ، كتب ماو إفتتاحيّة (أو جزءا من الإفتتاحيّة) ل**يوميّة الشعب** ينادى فيها بنقد شريط **" حياة يوهيسون"** الذى كان يروّج له زمنها . فهذا الشريط الرجعيّ كان يمدح بسفور هذا الرجل الذى كما قال ماو ، " وهو يعيش كما كان يعيش مع نهاية حكم سلالة تشنغ في عصر صراع كبير للشعب الصيني ضد المعتدين الأجانب و الحكّام الإقطاعيّين المحلّيين [عاش يو من 1838- 1896] ، لم يحرّكوا ساكنا ضد البنية الإقتصاديّة و البنية الفوقيّة الإقطاعيّة " (39) و كون مثل هذا الشريط لم يُعرض وقتها فقط بل لقي مديحا مسرفا بما في ذلك من أعضاء بارزين من الحزب ، كانت تشير إلى أنّ الصراع الطبقي كان فعلا حادا جدّا و أنّ القوى البرجوازيّة كانت تشنّ هجمات شديدة مستخدمة الثقافة كأداة هامة في ذلك .

أو مرّة أخرى ، وُجدت سنة 1954 ، رسالة صاغها ماو ، رسالة حول دراسة **" حلم الغرفة الحمراء "** وهي رسالة إلى المكتب السياسي للجنة المركزيّة للحزب ، وهي قد شملت نصّين نقديّين لشابين بشأن **" حلم الغرفة الحمراء "** ، و تقييم مثقّف برجوازيّ ، يو بينغ - بو و علّق ماو على كيف أنّ هذه الأبحاث التي تبدو صحيحة في الأساس قد إستُعبدت بدلا من أن ترحّب بها الأوساط الأدبيّة . (40) (ماو تسى تونغ ، **" رسالة حول دراسة " حلم الغرفة الحمراء "** ؛ المجلّد الخامس من **" مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة "** ، ص150-151 ، بالأنجليزيّة)

و كشف هذا الحادث الصراع الطبقيّ الكامن المتواصل بحدّة كبيرة و كيف تمظهر ذلك في ميدان الثقافة . و بالفعل دلّل هذا الحدث على أنّه مجرّد تمهيد لصراع مروحته عريضة جدّا بالفعل – مسألة هو فانغ .

كان هو فانغ عضوا في الحزب و وجها من المثقّفين . و رغم عضويّته في الحزب ، لم يتحوّل أبدا عمليّا ماركسيّا – لينينيّا، و في الواقع تبنّى الفرديّة البرجوازيّة للكتّاب و الفنّانين و عارض وضع السياسة في مصاف القيادة في الفنّ . و في أواسط خمسينات القرن العشرين ، بدأ في تنظيم مجموعات معارضة بوجه خاص في الجامعات .

و في أواخر 1954 ، أخذت فدراليّات الفنّانين و الكتّاب في الصين في نبذ أخطاء السلطات الأدبيّة بشأن نقد تقييم يو بينغ - بو ل **" حلم الغرفة الحمراء "** مستغلاّ فرصته ، طفق هو فانغ ينقد الحزب الشيوعي ل " إستبداده " في الفنّ . عقب صراع معه ، قدّم نقدا ذاتيّا منافقا في جانفي 1955، لكن عمليّا عاد إلى تنظيم زمرته من المعارضين الرجعيّين بحماس أكبر حتّى. و عندما تمّ تسليط الضوء على هذا ، نظّم ماو حملة ليس ضد هو فينغ فحسب بل لإجتثاث المعادين للثورة عموما . و كجزء من هذا تمّ نشر كتاب **" مواد حول زمرة هو فينغ المعادية للثورة "** ، و كان ماو ناشره و ساهم فيه بمقدّمة و كذلك بهوامش للناشر .(41) (المصدر السابق ، صفحة 176-182)

في **تمهيده** ، عالج ماو مسألة لماذا يجرى نشر هذه المواد و ما أهمّية النضال ضد هو فينغ تتمثّل في :

" تحتاج الجماهير كثيرا لهذه المواد . كيف يستعمل المعادون للثورة تكتيكاتهم المخادعة ؟ كيف ينجحون في تضليلنا بمظاهرهم الخدّاعة ، بينما يقومون خلسة بالأشياء التي بالكاد ننتظرها ؟ كلّ هذا غير مفهوم لدي آلاف و آلاف الناس ذوى النوايا الحسنة . على هذا الحساب ، شقّ عديد المعادين للثورة طريقهم إلى صفوفنا . نجاح إكتشاف العناصر السيّئة و التخلّص منها يرتهن بمزيج من الإرشاد الصحيح من الأجهزة القياديّة مع درجة عالية من الوعي السياسي من جهة الجماهير ، لكن في هذا الصدد عملنا في الماضي لم يكن دون نقائص . " (42) (المصدر السابق ، صفحة 177-178)

بإختصار ، ، كما لخّص ماو ، " نولى أهمّية لوضع هو فينغ لأنّنا نودّ أن نستخدمه لتربية الجماهير الشعبيّة ." (43) (المصدر السابق ، صفحة 178)

و هذا الحال يبرز على الأقلّ نقطتين هامتين . أوّلا ، تبيّن الترابط الوثيق للمسائل و الصراعات في مجال الأدب و الفنّ مع الصراع الطبقي في المجتمع عامة . و ثانيا ، يجسّد تلخيص ماو و تحرّكه في هذه الحال كيف أنّ النضالات في هذا المجال يمكن أن تخدم كأرضيّة حيويّة لتدريب الجماهير في خوض الصراع الطبقيّ بوجه خاص في ظلّ الظروف الجديدة للإشتراكيّة.

و في السنوات العديدة التالية ، إشتدّ أكثر الصراع الطبقيّ في الصين في نفس وقت تطوّر الأحداث و في عدد في البلدان الأوروبيّة الشرقيّة الأخرى وُجدت إضطرابات جدّية معادية للثورة جلبت إليها فئات لها دلالتها من الجماهير ، لاعبة على الغضب ضد النزعات البيروقراطية و عيوب أخرى فى الحكم و علاقاتها بالناس و قد شجّعهم هذا ، اليمينيّون في الصين ، مع مثقّفين برجوازيّين لم تُعد تربيتهم ينهضون بدور مؤثّر ، شنّوا هجوما صلب الحزب الشيوعي الصيني والدولة الإشتراكيّة، و كذلك إضطرابات مثيرة . و في هذا الإطار ، في بدايات 1957 ، وُضعت سياسة " دع مائة زهرة تتفتّح و مائة مدرسة تتبارى " .

" مئة زهرة "

وقع تقديم هذا كسياسة طويلة الأمد " تحفزإنطلاق الفنّ و تقدّم العلم ، و تحفز إزدهار الثقافة الإشتراكيّة في أرضنا " ، كما شرح ماو (44) (" **حول المعالجة الصحيحة للتناقضات في صفوف الشعب** " ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين ، بالعربيّة ، صفحة 34) . كان ماو و الحزب الشيوعي الصيني يتّبعون مثل هذا الخطّ الذى حاجج من أجله ستالين لمّا لاحظ أنّه " عامة ما يتمّ الإقرار بأنّه لا يمكن لأيّ علم أن يتطوّر و يزدهر دون معركة آراء ، دون حرّية النقد ." (45) (ستالين، " **الماركسيّة و قضايا علم اللغة** " دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين ، صفحة 29 ، بالأنجليزيّة) أو كما وضع ذلك ماو ، موسّعا هذا التقييم أبعد من العلم إلى الفنّ أيضا :

" نحن نعتبر أنّ الترويج القسريّ لهذا الأسلوب أو لهذه المدرسة ، و تحريم ذلك الأسلوب أو تلك المدرسة ، بقوّة السلطة الإداريّة ، هو عمل يضرّ بنموّ الفنّ و العلم . إنّ مسألة الصواب و الخطأ في الفنّ و في العلم ينبغي أن تُحلّ عن طريق نقاش حرّ بين أوساط الفنّانين و العلماء و عن طريق ممارسة الفنّ و العلم . " (46) (" **حول المعالجة الصحيحة للتناقضات في بين صفوف الشعب** "، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين ، 1966 ، بالعربيّة ، صفحة 34)

لكن ، طبعا ، يعنى هذا **الصراع** بين أشكال الفنّ و مدارس العلم . و أكّد ماو بُعيد الموقف أعلاه بقليل أنّ هذا جزء من الصراع الطبقي العام في المجتمع الإشتراكي :

"النضال الطبقي لم ينته بعدُ. إنّ النضال الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازيّة ، و النضال الطبقي بين مختلف القوى السياسيّة ، و النضال الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازيّة في الحقل الإيديولوجي ، كلّ ذلك ما برح طويلا ذا مدّ و جزر، وهو في بعض الأحيان نضال عنيف جدّا . إنّ البروليتاريا تجهد إلى تحويل العالم أيضا وفق مفهومها عن العالم . فمسألة من سينتصر و من سينكسر ، أهي الإشتراكيّة أم الرأسماليّة ، لم تجد حلّها الحقيقيّ بعدُ في هذا الميدان ...

إنّ النزاع بين الإشتراكيّة و الرأسماليّة في بلادنا ، على الصعيد الإيديولوجي ، لا يزال يتطلّب وقتا طويلا و بعد ذلك فقط يتقرّر المصير ." (47) (المصدر السابق ، صفحة 35-36 + صفحة 18-19 من " **مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ** " ، بالعربيّة ، نسخ و تقديم و ملاحق لشادي الشماوي ، مكتبة الحوار المتمدّن)

لذا كانت هذه السياسة طريقة لخوض الصراع الطبقيّ . طبعا ، كما أشار ماو ، هذان الشعاران بذاتهما و في حدّ ذاتهما ليس لهما طابع طبقي – يعنى ، يمكن إستعمالهما بطبيعة الحال بطرق متعارضة من قبل طبقات متعارضة . ستكون للبروليتاريا معاييرها الخاصة للحكم على الأشياء التي تظهر للتمييز ، كما قال ماو ، بين الزهور العطرة والزهور السامة . و يُشير ماو إلى العديد من هذه المعايير ، و أهمّها أن تكون مفيدة للتغيير الإشتراكي و أن تساعد في توطيد الدور القياديّ للحزب الشيوعيّ .

بكلمات أخرى ، ليست كلّ فكرة أو عمل فنّيّ التي تطلّ برأسها في ظلّ هذه السياسة ستكون زهرة متفتّحة . و بعضها سيكون بذورا ضارة ، و يجب إقتلاعها . لكن الواقع أنّ بعض البذور ظهرت في ظلّ هذه السياسة لا يعنى أنّها سيّئة . بالعكس . و ذلك أوّلا لأنّ مثل هذه البذور يجب أن تظهر على أيّ حال : " البذور ستنمو حتّى بعد عشرة آلاف سنة من الآن و لذلك يجب أن نستعدّ لخوض النضالات طوال ذلك ." (48) (ماو تسى تونغ ، " خطابات في ندوة الكتّاب العامّين " ، " **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** " ، المجلّد الخامس ، صفحة 359 ، بالأنجليزيّة) بصيغة أخرى ، ستُوجد أفكار سيّئة و ضارة في ظلّ الإشتراكيّة لفترة زمنيّة طويلة [و حتّى في ظلّ الشيوعيّة] . و يجب إعداد البروليتاريا و الجماهير الشعبيّة لخوض صراع مصمّم و مستمرّ ضدّها .

لكن إلى جانب هذا ، سياسة دع مئة زهرة تتفتّح و مئة مدرسة فكريّة تتبارى ستكون عادة مفيدة في ظهور هذه الأفكار إلى العلن حتّى يمكن قتالها و إجتثاثها . و في الواقع هذا ما حصل سنة 1957 . و بالفعل إستغلّ اليمينيّون البرجوازيّون في الصين الفرصة المتوفّرة لهم من خلال هذه السياسة و شنّوا هجوما كبيرا . و حينها إغتنمت البروليتاريا و حزبها هذه الفرصة للتصدّى لهذا الهجوم و تحطيم هؤلاء الرجعيّين .

فإشتكى بعض اليمينيّين من أنّهم خُدعوا (وهو موضوع كرّره عديد الأكاديميّين البرجوازيّين الصينيّين أيضا) لكن ماو شرح :

" يقول بعض الناس إنّ ذلك كان مخطّطا سرّيا . نقول إنّه كان مخطّطا علنيّا . لأنّنا أوضحنا إلى العدوّ مقدّما : فقط عندما يُسمح للأشباح و الوحوش بالظهور إلى العلن يمكن كنسها ؛فقط عندما يُسمح للبذور السامة بأن تبزغ من الأرض يمكن إجتثاثها . ألا يزرع الفلاّحون عدّة مرّات في السنة ؟ إضافة إلى ذلك ، يمكن إستعمال البذور التي تمّ إجتثاثها كسماد . سيبحث الأعداء الطبقيّين دائما عن فرص لتؤكّد نفسها . لن يقبلوا بخسارة سلطة الدولة و مصادرة أملاكهم . و مع ذلك ، كثيرا ما حذّر الحزب الشيوعي أعداءه مسبّقا و جعل إستراتيجيّته الأساسيّة معروفة لهم ، إلاّ أنّهم يشنّون هجمات . الصراع الطبقي واقع موضوعيّ ، مستقلّ عن إرادة الإنسان . و هذا يعنى أنّ الصراع الطبقي حتميّ . لا يمكن تجنّبه حتّى و إن أراد الناس تجنّبه . و الشيء الوحيد للقيام به هو الإستعمال على أفضل وجه للوضع و قيادة الصراع إلى النصر . " (49) (المصدر السابق ، ص 454)

ستظلّ البرجوازيّة موجودة في ظلّ الإشتراكيّة و ستصارع و تشنّ هجمات على البروليتاريا . و أحيانا أفضل تكتيك للبروليتاريا هو تركها تظهر إلى العلن و هكذا تفضح و هكذا تفضح نفسها أمام الجماهير و يتمّ تسليح الشعب بفهم ما هو برنامجها الحقيقيّ – إعادة تركيز النظام القديم – كي تمكن تعبأة الناس لتوجيه ضربات لها .

إحتدام المعركة في الميدان الثقافي

رغم أنّ هذا الصراع و عديد الصراعات الأخرى ، لم يقع بطبيعة الحال بأيّ شكل من الأشكال إجتثاث البرجوازيّة . و واصلت القوى البرجوازيّة المتمركزة بصفة متزايدة داخل الحزب الشيوعي ذاته ، لا سيما في مستوياته العليا ، واصلت التمتّع بحيويّة و قوّة ، و في الواقع تكثّفت قوّتها إلى درجة معتبرة في مجالات الفنّ و الثقافة . و كان النظام التعليمي حصنا من حصونها ما دفع ماو إلى أن يقول لاحقا وهو يراجع مسار السنة الأولى من الثورة الثقافيّة سنة 1967 :

" حسب ما أرى ، المثقّفون بمن فيهم المثقّفين الشبّان الذين لا زالوا يتلقّون التعليم في المعاهد ، لا زالوا يملكون أساسا نظرة برجوازيّة إلى العالم سواء كانوا في صفوف الحزب أم خارجه . و يُعزى هذا لأنّه لسبع عشرة سنة بعد التحرير ، الأوساط الثقافيّة و التعليميّة كانت تحت هيمنة التحريفيّة . و بالنتيجة الأفكار البرجوازيّة مزروعة في دم المثقّفين . " (50) (ماو تسى تونغ ، كما إقتُبس من " حديث للرئيس ماو مع بعثة عسكريّة أجنبيّة [ألبانيّة] " **شعوب الصين** ، نشر دافيد ملتن ، ننسى ملتن و فرانز شورمان ، كتب فنتاج ، نيويورك ، 1974 ، صفحة 263 ، بالأنجليزيّة)

و هنا من المهمّ ملاحظة أنّ هذا التقييم لماو للثقافة و التعليم على أنّهما كانا تحت هيمنة التحريفيّة طوال ال17 سنة عقب التحرير إلى بداية الثورة الثقافيّة تعرّض بلا هوادة إلى الهجمات الحادة من التحريفيّين في الصين . و الآن ، منذ إفتكاك السلطة ، سمّوا هذا التقييم " التقديرين " (حول التعليم و الثقافة و نسبوهما إلى ما سُمّيت ب" مجموعة / عصابة الأربعة " كهجوم غير مباشر لكن صارخ على ماو ذاته و خطّه الثوريّ و كجزء مكوّن حيويّ لإنقلابهم على الثورة الثقافيّة و الثورة الصينيّة ككلّ (لا يمكن أن يوجد شخص واعى سياسيّا في الصين لا يعلم أنّ هذين " التقديرين " كانا عمليّا لماو عينه).

قبل الثورة الثقافيّة ، كان التحريفيّون كذلك متخندقين بقوّة في الفنون حيث دفعوا بممثّلين للطبقات المستغِلّة القديمة و نخب جديدة كنماذج و روّجوا لقيم برجوازيّة و حتّى إقطاعيّة ، ما أدّى إلى تحذير ماو الشهير الذى وجّهه إلى وزارة الثقافة قائلا، " إذا رفضت التغيير ، يجب أن تعاد تسميتها بوزارة الإمبراطوريّين و الملوك و الجنرالات و الوحوش ، وزارة المواهب و الفنون الجميلة أو وزارة المومياءات الأجنبيّة " .

رأي ماو أنّ الرأي العام (و كذلك الظروف العامة) يقع إعداده لإنقلاب لهؤلاء التحريفيّين ، و شنّ هجوما مضادا ، مركّزا في البداية بوجه خاص على ميدان الثقافة و خاصة الأدب و الفنّ . و بداية من 1963 ، زوجة ماو و رفيقة دربه ، تشيانغ تشنغ ، إلى جانب شانغ تن – شياو ، و رفيق مقرّب آخر من ماو و عضو في ما سُمّي " مجموعة / عصابة الأربعة " ، قادا تحدّى التحريفيّين بالذات في هذا الحقل محدثين من خلال صراع حاد منتهى الحدّة تغييرات إختراقات . و مجال هام من التحدّى كان الشكل الفنّي التقليدي الصيني ، أوبيرا بيكين ، الذى تواصلت فيها عروض الأعمال القديمة الإقطاعيّة و شبه الإقطاعيّة ، تقريبا بصفة حصريّة .

و طوال تلك الفترة ، إستخدم ماو عينه شكل الشعر ليعلن النصر الحتميّ للثورة على الرجعيّة ، و واجه تيّارا مناقضا تحريفيّا عالميّا ، مركّزا في الإتّحاد السوفياتي و الهجمات المتصاعدة لأتباع الطريق الرأسمالي في الصين ، في تزامن مع

هذه النزعة العالميّة للخيانة و الإستسلام الجبان للإمبرياليّة . و ختم ماو قصيدة شهيرة كتبها في بدايات 1963 بالأسطر التالية :

البحار الأربعة ترتفع ، و السحب و المياه فى هيجان

و القارات الخمس تهتزّ و الرياح و الرعد يهدران

قوّتنا لا يمكن الصمود أمامها

لنتخلص من كافة الحشرات ! (51) (ماو تسى تونغ ، " ردّ على الرفيق كوو مو- جو " **أشعار** ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين ، 1976 ، صفحة 47)

في الختام ، سنة 1965 ، إثر تقديم القيادة العامة لإعداد الرأي العام الثوري ، و توجيه ضربات قليلة أولى في المجال الثقافي الحيويّ ، نظّم ماو هجوما مضادا سياسيّا مباشرا . و بصفة هامة لها دلالتها ، إرتبط هذا أيضا بحقل الثقافة .

لقد كتب التحريفيّون و عرضوا مسرحيّة كان إطارها الماضي غير أنّها معتمدة المقارنة كانت تهاجم بصفة مباشرة جدّا ماو تسى تونغ . أُطلق على هذه المسرحيّة إسم " **طرد هاي جوى من وظيفته** " و كانت تدافع بالملموس عن رجل تمّ طرده من وظيفته في الماضي الإقطاعي إلاّ أنّه بإعتماد المقارنة الواضحة جدّا كانت عمليّا تهاجم ماو لإطاحته بوزير الدفاع الأسبق بنغ تاه- هواي الذى هاجم بحيويّة القفزة الكبرى إلى الأمام في الصين أواخر خمسينات القرن العشرين . و مثلما ألمح ماو في ديسمبر 1965 :

" جوهر " **طرد هاي جو من وظيفته** " كان مسالة الطرد من الوظيفة . إمبراطور تشيا تشينغ [من أسرة المينغ ، 1522-1566] طرد هاي جو من وظيفته . في 1959 ، طردنا بنغ تاه-هواي من وظيفته . و بينغ تاه-هواي هو " هاي جو " أيضا". (52) (ماو تسى تونغ ، خطاب في هنغشاو ، ديسمبر 1965 ، مقتبس في كتاب ستوارت شرام المذكور آنفا ، ص 237. و ذكر أيضا في هان سيين ، **رياح في البرج** ، ليتل يرون ، بوستن ، 1976 ، صفحة 266)

لذا إقترح ماو تنظيم نقد لهذه المسرحيّة . بيد أنّ هذا لم يكن ممكنا في بيكين أين كانت قبضة التحريفيّين شديدة – و كان على رأسهم ليو تشاوتشى و دنك سياو بينغ و بنغ تشان (حينها والى بيكين) و آخرون- مسؤولين هناك . فتوجّب القيام بذلك من شنغاي أين كانت للتحريفيّين هناك أيضا اليد العليا على أنّ قبضتهم ما كانت شديدة كما هو الحال في بيكين . ياو وان – يوان ، بتنسيق عن كثب مع ماو ، كتب نقدا لاذعا للمسرحيّة . (" **حول الدراما التاريخيّة الجديدة " طرد هواي جيو من وظيفته "**) فاضحا هدفها الاجتماعي و جوهرها الحقيقيّين . و هذا المقال ، كما سيعبّر عن ذلك ماو لاحقا ، كان بمثابة إشارة إنطلاق الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى .

الثورة الثقافيّة و تثوير الثقافة

سنناقش الثورة الثقافيّة بالتفصيل في الفصل التالي . و هنا جانب الفنّ و الثقافة هو مركز إهتمامنا . لكن طبعا ، كان هذا مظهرا محوريّا من هذه الثورة – و سُمّيت ثورة ثقافيّة لسبب وجيه . و كما قالت اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الصيني ؛ في قرار يُقال إنّ ماو صاغه بنفسه ، و بالخصوص في فقرة تستحقّ أن نقتبسها في كلّيتها :

" على الرغم من أن البرجوازية قد أسقطت ، فإنها ما تزال تحاول إستخدام الأفكار و الثقافة و التقاليد و العادات القديمة للطبقات المستغلة بغية إفساد الجماهير و الإستيلاء على عقولها و محاولة القيام بالردّة . و على البروليتاريا أن تصنع العكس تماما : يجب أن تجابه كل تحد من جانب البرجوازية على صعيد الإيديولوجيا مجابهة مقابلة و تستخدم الأفكار و الثقافة و العادات و التقاليد الجديدة للبروليتاريا لتغيير السيماء الروحية للمجتمع كله ... و هدفنا فى الوقت الحاضر هو مكافحة و إسقاط أولئك الأشخاص ذوى السلطة الذين يسيرون فى الطريق الرأسمالي ،و نقد و إقصاء "الثقات" الأكاديميين البورجوازيين الرجعيين و إيديولوجيا البورجوازية و سائر الطبقات المستغلة ، و تحويل التربية و الأدب و الفنّ و سائر أجزاء البناء الفوقي التى لا توافق الأساس الإقتصادي الإشتراكي ، بحيث يسهل توطيد و تطور النظام الإشتراكي . " (53) (قرار اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الصيني حول الثورة الثقافيّة البوليتاريّة الكبرى وقعت المصادقة عليه في 8 أوت 1966، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين ، 1966 ، صفحة 1 ؛ بالأنجليزيّة + ملحق 1 لكتاب من تأليف شادي الشماوي

متوفّر بمكتبة الحوار المتمدّن ، **" الصراع الطبقي و مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا : الثورة الثقافيّة البرولتاريّة الكبرى قمّة ما بلغته الإنسانيّة فى تقدّمها صوب الشيوعيّة ")**

و هكذا بينما لم تعتن الثورة الثقافيّة بالتأكيد بأعمال الأدب و الفنّ فحسب ، أو حتّى ببساطة بالثقافة عامة فحسب بل في نهاية المطاف (بما أنّها كانت ثورة حقيقيّة) كان عليها أن تركّز على المسألة السياسيّة لمن يمسك بالسلطة في المجتمع ، مع ذلك مجال الثقافة عامة و مجال الأدب و الفنّ خاصة كان مجال غاية في الأهمّية فيه جرى الصراع حول المسألة السياسيّة .

و بالتالى ، كان الصراع في حقل الفنّ محتدما للغاية . و مثال جيّد هو حال **" الفتاة ذات الشعر الأبيض "** وهي دراما ثوريّة أنتجت تقريبا في بدايات الثورة الصينيّة ، و شهدت عدّة تغيّرات في مسار تلك الثورة . و هذه الأوبيرا إستندت إلى قصّة حقيقيّة من فترة حرب المقاومة ضد اليابان ، و كانت تُروى في حكايات الفلكلور و بدورها أُعيدت كتابتها جماعيّا من قبل عديد الكتّاب في الجيش الأحمر و تاليا أُعيدت كتابتها مجدّدا على أساس النقد الذى أعرب عنه الفلاّحون . و خلال السنوات الأخيرة من الحرب ضد اليابان و أثناء الحرب الأهليّة التي تبعت ذلك ، جرى عرضها عديد و عديد المرّات في المناطق المحرّرة . و الشكل الذى إتّخذته حينها كان كالتالي .

بطلة الأوبيرا إبنة فلاّح . إحتجزها المالك العقّاري عندما لم يستطع والدها دفع ديونه في السنة الجديدة ، و أُجبرت على أن تكون خادمة في منزل المالك العقّاري ، و تعرّضت للضرب و التعذيب على يد زوجة المالك العقّاري . إنتحر والدها . و إغتصبها المالك العقّاري . و لمّا صارت حاملا و هدّدت بفضحه ، خطّط لقتلها . ففرّت إلى البرارى و وضعت إبنها و أصبح شعرها أبيضا جرّاء ما قاسته و جرّاء ظروف حياتها في كهف . كانت تحصل على الغذاء من معبد قرية أين كان الفلاّحون يتركون قرابينهم مفكّرين أنّها شبحا أو إلاهة . و لمّا وصل جيش المشاة الثامن بقيادة الحزب الشيوعي إلى المنطقة، سمع عن ظهورها فإقتفى أثر " الشبح " فإكتشف الفتاة ذات الشعر الأبيض و صغيرها . و حينما علمت كيف أنّ الأشياء آخذة في التغيّر ، عادت مع الجيش إلى قريتها القديمة و فضحت المالك العقّاريّ الذى تعرّض إلى الضرب . و إجتمعت الفتاة ذات الشعر الأبيض مع فلاّح آخر كان قبلا حبيبها ، و كان الإنطباع في النهاية أنّه صار بوسعهما الاستقرار و الحياة بسعادة الآن .

بداية قبل ذلك ، و في إطار ما مثّل جزءا هاما من الإعداد للثورة الثقافية ، و بخاصة تحت قيادة تشيانغ تشنغ ، جدّت عدّة تغييرات في هذا العمل . و بعدّة طُرق عكست الأوبيرا الفترة التي أنتجت فيها – مرحلة الثورة الديمقراطيّة الجديدة و حتّى بصورة أخصّ المرحلة الفرعيّة من النضال ضد العدوان الياباني . و مع تقدّم الثورة و إستكمال الثورة الديمقراطيّة الجديدة الجديدة و ولوج المرحلة الإشتراكيّة ، كان على أعمال الفنّ أن تعكس هذا التقدّم و تدفع بمزيد الخطوات إلى الأمام . و قد لعب هذا العمل بوجه خاص دورا إيجابيّا و هاما في الماضى لكنّه كان بعيدا عن أن يتماشى ، في شكله القديم ، مع حاجيات مواصلة النضال في المرحلة الإشتراكيّة . و في الواقع ، إن لم يقع إدخال تغييرات عليه لإبقائه منسجما مع تقدّم الثورة و نموّ وعي الجماهير ، كان سيتحوّل إلى نقيضه – كان سيُصبح وسيلة للترويج للأفكار و المشاعر المعارضة للمضيّ قُدُما بالثورة الإشتراكيّة و البناء الإشتراكي . و ليس بلا داعى أو لمجرّد حقد ضد تشيانغ تشنغ أنّه منذ إفتكاك السلطة في أكتوبر 1976 ، أعاد التحريفيّون في الصين تركيز النسخة القديمة من **الفتاة ذات الشعر الأبيض !** ماحين التغييرات الثوريّة (الملخّصة أدناه) المنجزة تحت قيادة تشيانغ تشنغ .

و من التغييرات التي أدخلتها تشيانغ تشنغ أنّ والد الفتاة لا ينتحر بل يُقتل وهو يقاوم هجوم قطّاع الطرق التابعين للمالك العقّاري . و كذلك لا تتعرّض البطلة نفسها للإغتصاب بل بالأحرى تقاوم بإستمرار طغيان المالك العقّاري و زوجته و في نهاية المطاف تضطرّ إلى الفرار لأنّها تتعرّض أكثر فأكثر للقمع لمقاومتها مضطهَديها .

و الآن ، قد يقول العديد من الناس (مثلما فعلوا في الصين) إنّ مثل هذه التغييرات المدخلة تجعل الأوبيرا أقلّ واقعيّة ، و إنّ تشيانغ تشنغ و الذين إتّبعوا ماو كانوا يحاولون أن يجعلوا الأمر يبدو كما لو أنّ كلّ فلاّح إضطرّ إلى التخلّى عن إبنته إلى مالك عقّاري (و كان هذا حدوثه شائعا جدّا في الصين الإقطاعيّة و شبه الإقطاعيّة) و إنّ كلّ إبنة فلاّح حاول المالك العقّاري إغتصابها (و كان هذا شائعا أيضا) كانت تبدى مقاومة ، في حين أنّ هذا لم يكن عمليّا صحيحا . و بالطبع **إنّه** لواقع أنّه ليس كلّ شخص في تلك الظروف قد أبدى مقاومة من هذا القبيل ، كان البعض خاضعين و البعض الذين قاوموا بطرق أخرى تماما ، أقلّ مواجهة ممّا فعله الفلاّح الأب و إبنته في **" الفتاة ذات الشعر الأبيض "** التي شهدت تغييرات . لكن ، وُجد كذلك الكثيرون الذين قاوموا فعلا و قاوموا مقاومة نضاليّة .

كلّ هذه الطرق المختلفة من ردود الأفعال يمكن أن يُقال إنّها نموذجيّة ، و رسم أيّ منها في دراما قد يكون تكثيفا لمظهر أو آخر من مظاهر الحياة . لكن ما كان يجرى خلقه في الصين هو فنّ **ثوريّ** ، تكثيف ثوريّ للحياة ، شيء ، بكلمات أخرى ،

سيساعد الجماهير على دفع عجلة التاريخ إلى الأمام و سيساعد على التغيير الثوريّ للمجتمع . و من أجل هذا الهدف أهمّ شيء يُصوّر هو المقاومة الشرسة للناس لمضطهِدِيهم ، و كيف بمستطاعهم كسر قيودهم .

و علاوة على ذلك ، هذا لا يعنى تزوير الأشياء ، على عكس المزاعم القائلة بأنّ مثل هذا الفنّ الثوري" غير واقعيّ " . طبعا ، مثلما مرّ بنا قول ذلك للتوّ ، كلّ من الفلاّح الذى ينتحر و ذلك الذى يقاوم حقيقتان . لكن ، عمليّا ، من من هذين الإثنين يمثّل تمثيلا صحيحا جوهر ما يحدث في صفوف الفلاّحين أثناء الثورة الصينيّة ؟ أليس أكثر بكثير من جوهر الأشياء، أكثر النزعة التي كانت تسير فيها الأمور ، أنّ الفلاّحين كانوا ينهضون كالإعصار الجامح محطّمين مضطهَديهم و ناهضين بجزء حيويّ من تغيير المجتمع ؟ كانت كامل الثورة الصينيّة ، كأيّ ثورة ، تبدو غير واقعيّة ، شيئا كان غير ممكن تصديقه أو القبول به ، بالنسبة إلى الرجعيّين – و (طالما أنّ نظرتهم لم يُعد تشكيلها حقّا) حتّى في صفوف البرجوازيّة و البرجوازيّة الصغيرة اللتان سايرتا الثورة ، على الأقلّ في مراحل معيّنة . لم يستطيعوا أن يستوعبوا جوهر ما كانت الثورة تعنيه و الدور العملي و الحيويّ للجماهير . و بالتالى ، رسم واقع الفلاّحين الأبطال كان أيضا ينحو إلى أن يبدو " غير واقعيّ " لهؤلاء الناس بالذات .

و أيضا ، في إنسجام مع هذا التوجّه الإشتراكي ، تغيّرت كذلك نهاية الدراما . فعوض التعرّض إلى الضرب ، يسحب المالك العقّاري إلى خارج الركح ليُعدم . و السبب هو أنّ في الأوبيرا المالك العقّاري يرمز أساسا إلى القوى الرجعيّة و إعدامه يبيّن كيف أنّ الشعب الصينيّ كان ينهض و يُطيح بهؤلاء الرجعيّين بقوّة السلاح . (إعتُبر أنّه إذا ما كان ليُقتل على الركح، فإنّ ذلك سيجلب له تعاطفا عفويّا من الحضور).

و كذلك ، في النسخة الجديدة ، في جمع الفتاة ذات الشعر الأبيض مع حبيبها ، تمّ تقليص أهمّية موضوع الحبّ فأمسى ثانويّا جدّا نسبة إلى نضال الفلاّحين و الشعب الصيني ككلّ . و بدلا من مضيّ الإثنين إلى الحياة السعيدة بعد ذلك ، يتعهّد كلاهما بدفع الصراع الطبقي قُدُما . و هذا ، مجدّدا ، كان ضروريّا و صحيحا ليس في التصوير الأدقّ لمطالب الثورة الديمقراطيّة الجديدة التي كانت لم تنته بعدُ في الوقت الذى تقدّمه نهاية العمل ، لكن حتّى أكثر تلبية مقتضيات المرحلة الإشتراكيّة ، حيث كما لخّص ماو ، هناك حاجة إلى مواصلة الثورة و ، بالتوازي مع ذلك ، حاجة إلى أن تعكس الأعمال الفنّية الدور الطويل الأمد و الجاري و المركزي للصراع الطبقي .

و حُوّلت **الفتاة ذات الشعر الأبيض** أيضا إلى باليه [Ballet] في تلك الفترة ، أحد أعظم الأعمال الفنّية البشريّة . و فيها وقع دمج أشكال الرقص الغربيّة و الموسيقى الكلاسكيّة مع الأشكال التقليدّة الصينيّة ، و المؤشّرات و النماذج البرجوازيّة من الحركات و الوضعيّات التي هي تقريبا مرادفة للباليه في الغرب وقع تغييرها إلى حركات و وضعيّات مناضلة و ثوريّة.

و هذه الأعمال الفنّية مثل **الفتاة ذات الشعر الأبيض** التي تمّ إدخال تعديلات عليها كانت معروفة بأنّها " أعمال نموذجيّة " – أي قُدوة بوسع الناس في الصين قاطبة إستخدامها كنماذج في تطويرهم لأعمال فنّية عديدة و متنوّعة . و فضلا عن ذلك، في ظلّ قيادة خطّ ماو و بالقيادة الملموسة لتشانغ تشنغ و آخرين يطبّقون هذا الخطّ ، لم يقع إنتاج أعمال نموذجيّة فحسب في مجالات أخرى من الأدب و الفنّ (إضافة للباليه و أوبيرا بيكين) ، كالموسقى السنفونيّة ، بل إزدهرت الأعمال الثوريّة إزدهارا كبيرا ، لا سيما إبداعات الجماهير نفسها ، في مجالات كالأفلام و أشكال دراميّة أخرى و القصص القصيرة و الشعر و الرسم و الموسيقى و الرقص إلخ .

و علاوة على هذا ، بطريقة لم يسبق لها مثيل ، أثناء هذه الفترة من الثورة الثقافيّة ، قُطعت خطوات كبيرة في تعبأة الجماهير عينها لخوض الصراع في الحقل الثقافي و تطوير الثقافة الإشتراكيّة . و مشكل من مشاكل الصين هو أنّها كانت لا تزال بلدا متخلّفا ، غير متطوّر تقريبا . و هذا يصحّ بخاصة في الريف و من مضاعفات ذلك أنّ نظام النقل و المواصلات ظلّ نسبيّا متخلّفا ، لا سيما في المناطق الريفيّة . و في ظلّ قيادة الثوريّين كماو و تشيانغ تشنغ ، و خاصة خلال عقد الثورة الثقافيّة في مختلف مراحلها و أشكالها المتباينة ، من 1966 إلى 1976 ، تمّ تطوير طُرق جديدة لإبلاغ هذه الأنواع الجديدة من الثقافة إلى الشعب – من مثل تطوير آلات بثّ أفلام صغيرة من الممكن حملها بسهولة إلى المناطق الجبليّة في الريف أو وضعها على درّاجات حتّى تُنقل الأشرطة و تُعرض حتّى في المناطق النائية و صعب الوصول إليها نسبيّا .

و زيادة على ذلك ، فرق أوبيرا بيكين و فرق عروض أخرى كانت تنظّم سلسلة عروض في الأرياف بدراجات و حقائب الظهر ، مقدّمة عروضا في مناطق نائية ، و مساعدة فرقا محلّية على إنتاج أعمال نموذجيّة و مشاهدة عروض الأعمال المحلّية للتعلّم منها .

كانت هذه من الطُرق الملموسة التي إجتهدت البروليتاريا و حزبها و المشتغلون في الميدان الثقافي في إستخدامها لتقليص الإختلافات بين المدينة و الريف في الحقل الثقافي ، و هكذا ساعدوا على تغيير المجتع في ظلّ الإشتراكيّة بإتّجاه الشيوعيّة.

ميدان الثقافة أثناء المعركة الكبرى الأخيرة لماو

لكن الثورة الثقافيّة لم تشهد تقدّما في خطّ مستقيم تماما ، شأنها في ذلك شأن أيّ شيء آخر . ذلك أنّها كانت ثورة و بطبيعة الحال قاومها بشراسة المعادون للثورة و على رأسهم أتباع الطريق الرأسمالي في الحزب الشيوعي ذاته . و قد وُجدت عدّة منعرجات و إلتواءات و عدّة مراحل تطلّبت تكتيكات متباينة للتعاطى مع الظروف المستجدّة .

و بدأت المرحلة النهائيّة من الثورة الثقافيّة ، مرحلة المعركة الكبرى الأخيرة لماو مع هزم خيانة لين بياو الذى مع نهاية 1971 مات في تحطّم طائرة كان فارّا بواسطتها من البلاد بعد إخفاقه في محاولة إغتيال ماو و تنظيم إنقلاب في الصين . لكن لين بياو كان قد تماهى بعدّة أشكال مع الثورة الثقافيّة لذا مثّلت خيانته إنفتاحا لإلتقاط الأنفاس إستغلّه الكثير من الذين تعرّضوا لضربات خلال الثورة الثقافيّة و آخرون عارضوها من البداية أو صاروا لاحقا من معارضيها . و أكثر من ذلك، إستطاع اليمين الإستفادة من واقع أنّه أثناء هذه المرحلة كانت الصين تدخل في عقد بعض التسويات و ترسى علاقات دبلوماسيّة و تعقد إتّفاقيّات مع الولايات المتّحدة و الغرب لتحسين ميزان القوى مع الإتّحاد السوفياتي الذى أضحى يمثّل حينها تهديدا مباشرا للصين . و إنتهت هذه المعركة الأخيرة ، عقب وفاة ماو ، بالإنقلاب المعادي للثورة في أكتوبر 1976 الذى شهد إيقاف الرفاق الأقرب من ماو، قادة قوى البروليتاريا الصينيّة الذين وقعت شيطنتهم على أنّهم" عصابة الأربعة ". لحظتها ، إنتصرت التحريفيّة في الصين .

في هذه المعركة الكبرى الأخيرة ، كانت الثقافة و الفنّ مرّة أخرى مجالا حيويّا للصراع . فقد سعى التحريفيّون إلى الإنقلاب على المكاسب التي حقّقتها البروليتاريا على كافة الجبهات بما فيها (و حتّى خاصة) على هذه الجبهة .

سنة 1973 ، نظّموا بشدّة إعادة إنتاج مقنّعة بالكاد لدراما رفعت إلى الأعلى خطّ ليو تشاوتشى في تعارض مع خطّ ماو قبل الثورة الثقافيّة . و تقريبا في الآن نفسه ، تحت غطاء " الإنفتاح على الغرب " ، و خدمة لأهداف الإستسلام إلى الغرب ، روّجوا بلا نقد و أنكروا الطابع و المضمون الطبقيّين لأعمال فنّية من البلدان الإمبرياليّة الغربيّة ، و خاصة " الموسيقى المطلقة " (موسيقى آلاتيّة بلا عنوان يصفها) . و إلى جانب هذا ، شنّوا هجوما شرسا على الأعمال الثوريّة الجديدة في الأدب و الفنّ المنجزة إبّان اثورة الثقافيّة بما في ذلك هجوما ضاريا على الأعمال النموذجيّة و بالخصوص على تثوير أوبيرا بيكين .

لقد إتّهموا الثوريّين بقمع الإبداع الفنّيّ و إشتكوا من أنّه لا توجد كفاية " أزهار متفتّحة " – محاولين ضخّ سياسة لتتفتّح مائة زهرة بمضمون برجوازي و إستخدامها ضد خطّ ماو القائل بأنّه " يجب على البروليتاريا أن تمارس الدكتاتوريّة الشاملة ضد البرجوازيّة في مجال البنية الفوقيّة بما في ذلك مجالات متنوّعة من الثقافة " الذى وضعه ماو في وحدة جدليّة مع سياسة " دع مائة زهرة تتفتّح " و الذى عزّز الأساس البروليتاري لهذه السياسة . و إلى جانب كلّ هذا ، شَطب التحريفيّون التغييرات في التعليم و حقول العلم والتكنولوجيا التي جدّت أثناء الثورة الثقافيّة ، مشتكين من أنّ هذه السياسات الجديدة خلقت " فوضى" في الأشياء و خاصة أنّها منعت الصين من " اللحاق ب و تجاوز " – في الواقع ، كانوا يقصدون التذيّل إلى و تقليد و الإستسلام إلى – البلدان " المتقدّمة " في العالم – أي البلدان الإمبرياليّة .

ماو و القوى الثوريّة التي كان يقودها ، و لبّها القيادي الناشط " الأربعة " - وانغ هوانغ - وان ، تشانغ تشن – تشياو ، تشيانغ تشنغ ، ياو وان - يوان - ، لم يتصدّ بحيويّة لهذه الهجمات الخاصة و حسب بل شنّ هجوما مضادا في مجال البنية الفوقيّة و خلق الرأي العام . و بُعيد المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني (في أوت 1973) ، شنّوا حركة نقد لين بياو و كنفيشيوس وهي حملة تعليميّة أساسا في شكلها و تمثّل صراعا في منتهى الأهمّية في البنية الفوقيّة . و خلال هذه الحملة، جرى إستخدام منهج المقارنة التاريخيّة و بالإعتماد على الماديّة التاريخيّة و تعليمها للجماهير ، و جرى فضح خطّ التحريفيّين المعادي للثورة و سياساتهم و تحضيراتهم لإفتكاك السلطة و الإنقلاب على الثورة و الإستسلام للإمبرياليّة ، و جرى تشجيع نقدها جماهيريّا .

و لاحقا ، في صائفة 1975 ، مع بلوغ الصراع الطبقي الشامل أوجه ، إستخدم ماو الأدب و الفنّ كسلاح حاد في هذه المعركة . فركّز بالخصوص الإنتباه على و دعا إلى النقد الثوريّ للرواية التاريخيّة **" هامش الماء "** (Water Margin) و بطلها (سنغ شيانغ) كان عمليّا خائنا للفلاّحين المتمرّدين و قد إستولى على قيادتهم . مثله مثل هؤلاء في الصين الراهنة الذين إلتحقوا بالثورة في مرحلتها الديمقراطيّة لكنّهم لم يصبحوا أبدا ثوريّين صرحاء ، لم ينجزوا أبدا قطيعة راديكاليّة مع الإيديولوجيا البرجوازيّة ، إلتحق سنغ شيانغ بصفوف الفلاّحين المتمرّدين لا لشيء سوى قتال الموظّفين الفاسدين و ليس

لقتال الإمبراطور . و في الختام ، وافق على عرض العفو من الإمبراطور ، و إلتحق بخدمته لقتال الفلاّحين المتمرّدين الذين واصلوا النضال و كانوا مصمّمين على المضيّ به إلى نهايته .

لم يكن نقد هذه الرواية ، كما شدّد على ذلك ماو ، مجرّد ممارسة أكاديميّة أو بحثا في الجماليّة ؛ قال ماو ، ميزة الرواية هي تحديدا أنّها ستساعد الجماهير الشعبيّة على التعرّف على الإستسلاميّين ، السنغ شيانغ المعاصرين ، الذين يرغبون في خيانة الثورة في الصين و بيعها إلى الإمبرياليّة . كانت الأهداف أولئك في السلطة خاصة في قمّة الحزب الذين كانوا يروّجون لخطّ تحريفي و لإتّباع الطريق الرأسمالي – أناس مثل دنك سياو بينغ و خلفهم شو آن لاي – قادة قدماء أخفقوا في التقدّم مع تواصل الثورة في المرحلة الإشتراكيّة و تحوّلوا من ديمقراطيّين برجوازيّين (ديمقراطيّين برجوازيّين ثوريّين) إلى أتباع الطريق الرأسمالي ، معادين للثورة .

و مع غليان هذه المعركة الأخيرة و إندلاعها كصراع سافر شامل ، أضحت مجالات التعليم و الثقافة جبهتي قتال في غاية الأهمّية . و فضلا عن تركيز الإنتباه على المعركة في حقل التعليم في أواخر 1975 بدايات 1976 و إعارة الإنتباه إلى واقع أنّ هذا كان إنعكاسا حادا للصراع الطبقي الشامل وقتها ، قاد ماو و القوى الثوريّة النضال في المجال الثقافيّ كمجال آخر هام جدّا للمواجهة الشاملة . و رصاصة من أهمّ الرصاصات التي أطلقها ماو لم تشمل الفنّ فقط بل شملت شكل الفنّ أيضا . و بصورة خاصة ، كما فعل ذلك قبلا ، إستخدم ماو الشعر كطلقة أولى في هذا الصراع – بخاصة قصيدتين كتبهما ماو في الأصل سنة 1965 و أعاد نشرهما بمناسبة غرّة السنة الجديدة في 1976 . و مثّل ذلك رسالة إلى الشعب الصينيّ بأنّه ، كما في فترة 1965 ، هناك خطر كبير بأن يستولي التحريفيّون على السلطة و يعيدوا تركيز الرأسماليّة و بالتالى (حتّى و إن أمكن أن تختلف الأشكال في بعض الجوانب ممّا كانت عليه في بداية الثورة الثقافيّة) و هناك أيضا حاجة إلى صراع كبير و شامل لمنع حدوث هكذا إنقلاب .

قصيدة " إعادة زيارة شنكنغشان " تزخر بالتفاؤل الثوريّ و تعيد التذكير بالإنتصارات الصانعة للعصر للثورة الصينيّة طوال ال38 سنة السابقة و تشير إلى الطريق إلى الأمام في الصراعات الشرسة التي ستُفضى إلى إنتصارات جديدة في المستقبل . و شنكنغشان منطقة جبليّة أين أرسيت أوّل قاعدة إرتكاز للجيش الثوريّ ، واضعة الثورة الصينيّة على طريق النضال المسلّح ، سنة 1927 .

و القصيدة الأخرى " حوار عصفورين " تصوّر صراعا بين ثوريّ و تحريفيّ ، مقدّمين كعصفورين ، الرخّ الأسطوريّ و المغرّد الخائف الذى يتطلّع إلى البطاطا و اللحم (" شيوعيّة الغولاش " الخروتشوفيّة) و يضع ثقته في " التوافق الثلاثي" (معاهدة منع التجارب النوويّة المعيبة الممضاة بين خروتشاف و أمثاله في الصين الذين يعتبرون أنّ النهوض الثوريّ و الإضطراب في الصين و العالم " جحيم فوضى " . و إجابة الرخّ ، العصفور القويّ الممثّل للثورة ، هو أنّ العالم ينقلب رأسا على عقب ، يتغيّر خلال هذه النضالات الثوريّة . و هتان القصيدتان ، إلى جانب الصراع على الجبهة الثقافيّة عامة ، لعبتا دورا هاما فى هذه المعركة الكبرى الأخيرة لماو تسى تونغ ، في تسليح الجماهير و منها صفوف أعضاء الحزب و الكوادر الثوريّة ، لخوض الصراع الثوريّ بالضبط أمام أنياب الإعصار التحريفي الذى يُطلقه أتباع الطريق الرأسمالي في السلطة .

و يُبيّن إنتصار التحريفيّين في هذه المعركة الأخيرة و إستيلاؤهم على السلطة تحديدا صحّة خطّ ماو و مفاده أنّه طوال الإشتراكيّة توجد طبقات و يوجد صراع طبقي و خطر إعادة تركيز الرأسماليّة (و كذلك هجمات الإمبرياليّة و الرجعيّين الأجانب الآخرين) و أنّه بالتالى من الضروريّ مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا . و يُبيّن بوجه خاص مدى صحّة خطّ ماو حول دور البنية الفوقيّة – ليس أنّها تكتسى أهمّية كبرى في ظلّ الإشتراكيّة فقط بل تنهض كذلك بدور رئيسيّ و حيويّ . و الإنقلاب التحريفي الذى مثّل تغيّرا نوعيّا و بداية سيرورة عمليّة للإنقلاب على الثورة و إعادة تركيز الرأسماليّة، حدث بداهة و على وجه الضبط في البنية الفوقيّة ، و بطبيعة الحال لا يمكن أن يحدث في أيّ مكان آخر .

و إلى ذلك ، هذه المعركة الأخيرة ذاتها ، مثلها مثل الصراعات السابقة جميعها في الصين الإشتراكيّة – و في الفترة الأسبق من الثورة – تجسّد الأهمّية الكبرى ليس للبنية الفوقيّة عامة فحسب بل أيضا لمجال الثقافة و الصراع في هذا المجال بشكل خاص . إنّها تدلّل على مدى صحّة و مدى أهمّية المساهمة المتمثّلة في الصياغة الدقيقة لماو بأنّه عقب إفتكاك السلطة ، يغدو من الحيويّ تكريس انّه " يجب على البروليتاريا أن تمارس الدكتاتوريّة الشاملة ضد البرجوازيّة في مجال البنية الفوقيّة بما في ذلك مختلف مجالات الثقافة " ، و السياسات التي تمّ تطويرها و المكاسب التي تمّ تحقيقها في ظلّ قيادة الخطّ الثوري لماو حول الثقافة و البنية الفوقيّة . و ليس بوسع أيّ إنقلاب تحريفي و إنقلاب مؤقّت في الصين بأيّ شكل كان أن ينكرا أو ينتقصا من المساهمات الهائلة الخالدة حقّا لماو تسى تونغ بما فيها في المجال الحيويّ للأدب و الفنّ و الثقافة ككلّ .

الخاتمة

ماو تسى تونغ أعظم ثوريّ فى زمننا

مقدّمة : لقد تفحّصت في الفصول السابقة مساهمات ماو تسى تونغ في عدد من الحقول الخاصّة بما فيها أعظم مساهمة من مساهماته – تطبيق الماديّة الجدليّة على المجتمع الإشتراكي و على ذلك الأساس تطوير فهم أنّ الطبقات و الصراع الطبقي توجد طوال مرحلة الإشتراكيّة و نظريّة مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا خلال هذه الفترة الإنتقاليّة الطويلة ، في وحدة مع الطبقة العاملة العالمية و الشعوب المضطَهَدَة في كلّ بلد من البلدان ن على الإنتصار النهائي للشيوعيّة عبر العالم . و قد وقع بيان كيف أنّ ماو قد أثرى و طوّر الماركسيّة – اللينينيّة في هذا المجال الأهمّ و في غيره من المجالات كذلك ، في وحدة مع جدليّة قيادة النضال الثوريّ لمئات الملايين في الصين إلى مستويات غير مسبوقة ، ما وفّر على هذا النحو إلهاما و إضاءة للطريق للشعوب الثوريّة بملايينها في كلّ ناحية من أنحاء الكوكب .

و من هذا يمكن أن نلاحظ أنّ مساهمات ماو تسى تونغ خالدة فعلا . و في ختام هذا الكتاب ، مع ذلك ، من المهمّ و الضروري النظر بطريقة مكثّفة و شاملة في آن معا في دور ماو كقائد ثوريّ ، حتّى نتمكّن من مزيد الفهم التام للماذا و كيف أنّه أعظم ثوريّ في زمننا – و بالفعل هو كذلك منذ زمن لينين .

ماو قائد عظيم لإبحار فى مياه مجهولة

أن يكون ماو قد قاد النضال في الصين الذى أفضى إلى تأسيس الجمهوريّة الشعبيّة ، و أن يكون هذا قد غيّر راديكاليّا الصين و العالم ، وقائع معروفة على نطاق واسع و قليلون هم الذين ينكروها (أو يتجرّأون على إنكارها . و إنّه لواقع كذلك أنّه خلال هذا النضال الطويل الأمد ، بمراحله المختلفة و عديد الإلتواءات و المنعرجات ، كان ماو يخوض معاركا شرسة ضد الإنتهازيّين في صفوف الحزب الشيوعي الصيني الذين ، من اليمين و " اليسار " كانوا يعارضون و يهاجمون الخطّ الصحيح للتقدّم الذى قاد ماو صياغته . و أبعد من ذلك ، و كجزء حيويّ من صياغة الخطّ الصحيح و توفير تلك القيادة ، كان على ماو أيضا أن يتحدّى و يقطع مع قوّة العادة صلب الحركة الشيوعيّة العالميّة . و بوجه خاص ، كان عليه أن يقاتل المقاربة الميكانيكيّة التي أكّدت على أنّ الثورة في الصين يجب أن تتّبع بالضبط الطريق ذاتها التي سلكتها روسيا – أنّه يجب التعاطى مع البرجوازيّة كعدوّ بدلا من حليف ممكن ، و أنّ المدن يجب أن تُفتكّ أوّلا ، و ليس الريف إلخ . و إن لم يفعل ماو ذلك و بالعكس مضى مع الذين طالبوا بأن تكون الثورة الصينيّة نسخة من الثورة السوفياتيّة ، و الذين إستخدموا تجربة الإتّحاد السوفياتي عينه كأيقونة مقدّسة و تعاطوا مع تبنّيهم لها كأمر رئيسيّ ، عندئذ يمكن أن نقول دون زلل إنّه لم تكن لتوجد ثورة صينيّة و لا جمهوريّة صين شعبيّة .

و فضلا عن ذلك يمكن أن نقول إنّه لقانون للثورة و خاصة الثورة البروليتاريّة أنّه من أجل أن تنجح في ايّ بلد معيّن ، يتعيّن على النضال في ذلك البلد و على أولئك الذين يقودونه أن يبتعدوا عن و حتّى يعارضوا بعض المفاهيم الخاصة أو الممارسات السابقة الى أضحت مكتسبة لمكانة " الضوابط الراسخة " في صفوف الحركة الثوريّة . و هذا تعبير عن الماديّة الجدليّة لأنّ كلّ ثورة تنهض على أساس ظروف ملموسة (تناقضات) في البلاد (و العالم) زمن حدوثها ، و كلّ ثورة جديدة بطريق الحتم تعنى أنّ مسائل جديدة و تناقضات جديدة تثار و يجب حلّها . إنّه لمن المبادئ الأساسيّة و المنهج الماركسي- اللينينيّ أن تطبّق كمرشد عالمي للثورة – لكن أيضا يتمّ تطويرها و إثرائها بإستمرار ذلك أنّ المعرفة العلميّة لا تبرح تتعمّق بما فيها الفهم الماركسيّ – اللينينيّ للواقع بالمعنى الأتمّ ، و لا ينفكّ الواقع يشهد تغيّرات ما يتطلّب و يدعو إلى تعميق لا يتوقّف لهذه المعرفة .

لقد تحدّث ستالين عن المسألة ، خاصة وهو يحيل على الثورة الروسيّة و قيادة لينين لها . و أشار إلى أنّه قبل تجربة الثورة الروسيّة ، كان الماركسيّون عامة يتبنّون فكرة أنّ الجمهوريّة الديمقراطيّة البرلمانيّة ستكون الشكل الذى بواسطته ستحكم الطبقة العاملة – نظرة تعزّزت بتصريحات إنجلز بهذا المضمار . و علاوة على ذلك ، لاحظ ستالين أنّ إنجلز و ماركس قد غستخلصا أنّ الإشتراكيّة لا يمكن أن تبنى في بلد واحد – و هذا أيضا كان حكما مقبولا و إكتسب قوّة الدوغما ضمن عديد الماركسيّين . و تساءل ستالين ما الذى كان سيحصل لو أنّ لينين طبّق حرفيّا ماركسيّة وقتها بدلا من الإعتماد على تطبيق روح الماركسيّة و منهجها ؟ لم يكن من الممكن تطوير السوفياتات كشل من خلاله كانت الطبقة العاملة تمارس حكمها في تلد البلاد – بالفعل لم يكن ليُوجد إتّحاد سوفياتي و لم تكن الإشتراكيّة لتبنى في تلك البلاد . و من البديهيّ قول يا لها من خسارة كانت ستتكبّدها البروليتاريا العالميّة .(1) (من أجل نقاش ستالين لهذا ، أنظروا خاتمة " **تاريخ الحزب الشيوعي للاتّحاد السوفياتي** " ، خاصة الصفحات 356-359 ، باللغة الأنجليزيّة) .

و الأمر نفسه في الصن . لقد حاجج ماو بصفة متواصلة أنّه يجب تطبيق المبادئ العالميّة و أنّ الدروس الأساسيّة لثورة أكتوبر في روسيا يجب الدفاع عنها – خاصة الحاجة إلى إفتكاك السلطة بواسطة النضال المسلّح الجماهيري و قيادة الحزب الثوريّ للبروليتاريا – لكن هذه يجب أن تجد تطبيقا مختلفا في الظروف الملموسة للصين عن تلك التي وُجدت في روسيا . على هذا الأساس و كجزء من قيادة النضال لإفتكاك السلطة السياسيّة عبر البلاد في الصين ، قام ماو ببعض مساهماته الهامة التي أغنت و طوّرت الماركسيّة – اللينينيّة – لا سيما في صياغة إستراتيجيا الثورة الديمقراطيّة الجديدة المؤدّية إلى الإشتراكيّة ، و في الخطّ العسكريّ و في إرساء الأرضيّة الأساسيّة لتطويره للفلسفة الماركسيّة .

و لئن كان صحيحا أنّ ماو لم يكن يستطيع قيادة الثورة الصينيّة في مرحلتها الأولى إلى النصر ، إلى تأسيس الجمهوريّة الشعبيّة ، دون تحدّى و إحداث قطيعة مع الأفكار التقليديّة القويّة صلب الحركة الشيوعيّة العالميّة ، فإنّ الأمر أصحّ حتّى فيما يتّصل بقيادة مواصلة التقدّم في المرحلة الإشتراكيّة ، عقب تأسيس الجمهوريّة الشعبيّة . و كان هذا على هذا النحو في حقول كالإقتصاد السياسي و الثقافة و كان هو الحال بصفة نهائيّة أكثر مع أعظم المساهمات الخالدة لماو – الخطّ الأساسي و نظريّة مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا .

و الأهمّ ، هل يمكن تصديق أن توجد ثورة ثقافيّة بروليتاريّة كبرى في الصين كحدث غير مسبوق في كامل تاريخ الحركة الشيوعيّة و البلدان الإشتراكيّة ، إن كان ماو لا ينوى " السير ضد التيّار " (لإستخدام جملته الخاصّة) – ليس للمضيّ في مواجهة المعارضة المريرة في صفوف الحزب الشيوعي الصيني ذاته ، بصورة أخصّ من طرف (و ضمن عديد ، لهم شعبيّة) قادة الحزب ، لكن كذلك النأي عن و حتّى " دوس " بعض " الضوابط " التي صار البعض ينظرون إليها كأشياء مقدّسة ، في مناطق أساسيّة متّصلة بسير بسير الحزب و علاقته بالجماهير ؟ طبعا ، هذا لا يصدّق. و أيضا لا يصدّق أنّه دون مثل هذه " التجاوزات " – أي التطويرات – للماركسيّة اللينينيّة ، تقدر الثورة الصينية على بلوغ الأعالى التي بلغتها، و ليس تحقيق إختراقات جديدة على طريق الشيوعيّة بل أيضا إلهام و تعليم و دفع الثوريّين عبر العالم قاطبةبإتّجاه الهدف عينه .

<u>الثورة الثقافيّة : إنفجار ضوء من خلال الغيوم</u>

إثر خيانة خروتشاف و زمرته في الإتّحاد السوفياتي و الخسارة الرهيبة بالنسبة للبروليتاريا هناك ، فوق كلّ شيء ، كانت الصين الثوريّة في ظلّ قيادة ماو تسى تونغ هي التي سطعت أكثر من أيّ وقت مضى كمشعل للثوريّين في كلّ قارة من القارات . كان ذلك ، مع بلوغه نقطة عالية في ستّينات القرن العشرين و بدايات سبعيناته ، زمن نشوب عاصفة ضخمة من النضالات الثوريّة في تقريبا كلّ بلد من بلدان العالم ، و بالأخصّ في بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة . لكن مع الإنقلاب في الإتّحاد السوفياتي و النبذ الساطع منطرف خروتشاف للثورة و تحريفه للماركسيّة – اللينينيّة ، وُجد كذلك قدر كبير من الإضطراب و حتّى اليأ بما في ذلك في صفوف الثوريّين . و مخترقة الغبار الذى أثارته خيانة خروتشاف ، لم تمدّ تجربة الصين و فكر ماو تسى تونغ ملايين الثوريّين خاج الصين فحسب و إنّما أيضا أوقدت تصميمهم على تبنّى علم الماركسيّة – اللينيّة و تطبيقه .

هل كان هذا فقط أم أساسا لأنّ الحزب الشيوعي الصيني دافع عن التجربة الثوريّة و مكاسب الشعب السوفياتي في بناء الإشتراكيّة قبل إنقلاب خروتشاف و زمرته . لا ، كان كلّ ذلك هاما جدّا و جزء من المكاسب إلاّ أنّه ليس الشيء الأساسي. أساسا كان ألأمر أنّ ماو قاد الثوريّين في تلخيص التجربة الإيجابيّة و نقائص و أخطاء بناء الإشتراكيّة في الإتّحاد السوفياتي و قيادة ستالين و كذلك التجربة الإيجابيّة و السلبيّة للصينو البلدان الإشتراكيّة الأخرى عامة ، و على ذلك الأساس أنجز قفزة أعمق في المضيّ قُدما بالنضال في سبيل الشيوعيّة . و قد وجد هذا تعبيرا نظريّا عنه في الخطّ الأساسي لمواصلة الثورة

في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا . لكن الأهمّ من ذلك ، كانت الممارسة الملموسة لمئات الملايين من الشعب الصيني في ظلّ قيادة هذه النظريّة ، و بوجه خاص إبّان الثورة الثقافية البروليتاريّة الكبرى ، التي (مرّة أخرى لنستعمل جملة ماو) نشرت طلقات مدافع الماركسيّة – اللينينيّة و الحقيقة الأساسيّة التي مفادنا انّه من حقّنا أن نثور على الرجعيّة و أنّ مستقبل الشيوعيّة ستنشئه البروليتاريا و الجماهير الشعبيّة ، و نشرت هذا إلى كلّ ركن من أركان العالم .

لكن مع الإنقلاب التحريفي في الصين ذاتها في أكتوبر 1976 ، أضحت المساهمات العظيمة لماو و قيادته العام للثورة الصينيّة تتعرّض إلى هجمات جديدة . قبل كلّ شيء ، يشدّد التحريفيون في السلطة في الصين الآن من هجومهم على خطّ ماو ، مركّزين نارهم خاصة على الثورة الثقافيّة و مكاسبها ، ما يمثّل ليس تقدّما كبيرا للنضال الثوري للشعب الصيني و حسب بل كذلك أعلى قمّة بلغتها البروليتاريا العالميّة . و في حين أنّ هؤلاء المرتدّين و المخادعين لا زالوا مضطرّين لمواصلة بعض المزاعم بصدد الدفاع عن ماو – على الأقلّ كرمز وطنيّ – و هم يدوسون بصورة سافرة أكثر فأكثر الأشياء الأساسيّة التي وقف من أجلها و قاتل من أجلها – و بالفعل يجب عليهم القيام بذلك لقمع الجماهير الثوريّة و لإعادة تركيز الرأسماليّة .

الإنقلاب في الصين و الهجمات الجديدة ضد ماو

و في الوقت نفسه ، أطلق آخرون ، على أساس إنتصار الثورة المضادة في الصين، هجمات على ماو و فكر ماو تسى تونغ. و بعض هؤلاء ضمّنوا ذلك حتّى هجمات على خطّ ماو و قيادته للثورة الديمقراطّة الجديدة و الثورة الإشتراكيّة .

لكن ، مجدّدا ، الهجوم الأكثر كثافة إنصبّ على الخطّ الأساسي لماو بشأن الطبقات و الصراع الطبقي في ظلّ الإشتراكيّة و نظريّة مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا – أهمّ مساهماته الخالدة . و كلّ هذا أدّى إلى قدر كبير من الإضطراب في صفوف الحركة الشيوعيّة العالميّة . و البعض إنطلاقا من إنتهازيّتهم و آخرون إنطلاقا من جهلهم إتّخذوا موقف أنّه إعتبارا لحصول إنقلاب في الصين ، و إعتبارا لأنّ التحريفيّين قد إفتكّوا في نهاية المطاف السلطة و هم يمضون بسرعة بالصين على الطريق الرأسمالي ، بالتالى الخطّ الأساسي لماو بشأن الطبقات و الصراع الطبقي في ظلّ الإشتراكيّة و نظريّة مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا ، و كذلك ممارسة الشعب الصيني في ظلّ قيادة ذلك الخطّ و النظريّة الأساسيّين بالخصوص أثناء الثورة الثقافيّة يجب أن يكونوا خاطئين . أو يقال إنّ ماو و القادة الثوريّون الآخرون في الصين يجب أن يكونوا قد قاموا بأخطاء جدّية حتّى و إن كان خطّهم العام صحيحا .

بالنسبة إلى النقطة الأولى ، ما قيل في الفصل الرابع (حول الفلسفة) يتحدّث مباشرة عن ذلك :

" ينمّ هذا النوع من التفكير عن التجريبيّة و النسبيّة فصحّة هذه النظريّة لا ترتهن بالنتائج المباشرة فى وضع معيّن . لقد تعمّقت و تحقّقت فى الممارسة و فى صراع مئات الملايين جماهير الشعب الصيني و سيزداد تحقّقها مستقبلا عبر النضال الثوري فى الصين و غيرها من البلدان . " (أنظروا الصفحة 187 بالأنجليزيّة + باللغة العربيّة ، الصفحة 70 من " **مساهمات ماو تسى تونغ الخالدة** " – القسم الأوّل من الكتاب - ترجمة شادي الشماوي ، مكتبة الحوار المتمدّن)

أمّا بالنسبة إلى مسألة أخطاء الثوريّين فبالتأكيد ينبغي أن يكونوا قد إقترفوا بعض الأخطاء – ما من أحد معصوم من الخطأ- بيد أنّ هذا ليس الشيء الأساسي الذى يجبالتركيز عليه في تحليل التراجع أو النكسة في الصين . و بينما من الصحيح أن نبحث عن الأخطاء التي يمكن أن يكونوا قد إرتكبوها و أن نلخّصها ، و أن ننجز تحليلا لجميع جوانب الإنقلاب مطبّقين موقف و وجهة نظر و منهج الماركسيّة – اللينينيّة ، فإنّه من الواضح أنّه مهما كانت هذه الأخطاء فهي لم تكن سبب هذه النكسة . (2) (من أجل المزيد حول هذا ، أنظروا " **الثورة و الثورة المضادة : الإنقلاب التحريفي في الصين و الصراع في صفوف الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة** " و " **خسارة الصين و الإرث الثوريّ لماو تسى تونغ**" كلاهما من منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو 1978 – بالأنجليزيّة)

بهذا المضمار ، و كنقطة عامة أساسيّة ، من المهمّ أن ندرك حقّا أنّ الصراع الطبقيّ في ظلّ الإشتراكيّة هو بالضبط ذلك – و أنّ البرجوازيّة في بلد إشتراكي ، خاصة في أوقات معيّنة ، قد تتوفّر لها أوضاعا مناسبة أكثر ممّا تكون مناسبة للبروليتاريا. و يُعزى ذلك إلى تطوّر التناقضات الداخليّة في هذا البلد في تلك اللحظة و كذلك في الوضع العالمي و التداخل بين الوضعين وقتها . و إليكم تصريح لماو ذاته مناسب جدّا :

" في النضال الإجتماعي ، تعاني القوى التي تمثّل الطبقة الطليعيّة في بعض الأحيان من نكسات ، ليس بسبب أفكارها الخاطئة ، ولكن لأنّها ، فيما يتعلّق بالقوى المعارضة ، أقلّ قوّة مؤقّتًا من قوى الرجعيّة ؛ ومن هنا جاءت إخفاقاتها المؤقّتة ، لكن ينتهي بها الأمر دائمًا بالانتصار ." (3) (موقع الحوار المتمدّن ، www.ahewar.org)

و المسألة هنا ليست تحليل الصراع في الصين الذى أدّى إلى الإنقلاب التحريفي في أكتوبر 1976 و أسباب و دروس هذا الإنقلاب (كما تقترحه مقدّمة هذا الفصل ، تحليل أوّليّ و أساسي لذلك قد تمّ إنجازه في مكان آخر ، بينما تظلّ هناك مهمّة البناء على ذلك التحليل و تعميقه – بتطبيق الماركسيّة – اللينينيّة – فكر ماو تسى تونغ). بالأحرى ، ما يعنيه هنا هو تحليل – و نقد – المقاربة التي تقول إنّه نظرا لكون الثورة قد وقع الإنقلاب عليها ، بالتالى يجب على الثوريّين أن يكونوا على خطأ – أو يجب على الأقلّ أن يكونوا قد إرتكبوا أخطاء جدّية . و كما تمّت الإشارة إلى ذلك قبلا ، هذا المنهج براغماتي ، و بالتالى عارضت الماركسيّة . لكن ، أبعد من ذلك ، تخفق مثل هذه المقاربة كذلك في فهم السيرورة الفعليّة للثورة الصينيّة و تطوّر التناقضات التي تميّزها ، خاصة إثر تأسيس الجمهوريّة الشعبيّة ، و بالتالى تخفق في أن تقيم بصفة صحيحة المكاسب الكبرى التي كانت ضدّها وهي تتقدّم نحو المرحلة الإشتراكيّة .

مكاسب رائعة للثورة الصينيّة ، مساهمات ماو تسى تونغ

كما جرت الإشارة إلى ذلك في عدّة مناسبات في هذا الكتاب ، إنطلقت الثورة الصينيّة أوّلا – و لم يكن بوسعها إلاّ أن تنطلق – خلال مرحلة الديمقراطيّة الجديدة قبل التمكّن من التقدّم نحو الإشتراكيّة . في هذا الصدد لم يكن بطرق هامة مختلفا كثيرا عن عديد حركات التحرير المناهضة للإمبرياليّة الأخرى التي إنتشرت في بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة منذ الحرب العالميّة الثانية . و تجربة مثل هذه النضالات قد بيّنت بوضوح أنّه فيما أنّها مهمّة عسيرة كسب النصر في النضال لإنهاء السيطرة الإستعماريّة (بما في ذلك الإستعمار الجديد) ، من الصعب أكثر لخوض النضال لتركيز الإشتراكيّة و تاليا مواصلة التقدّم في المرحلة الإشتراكيّة – و تبيّن أنّ هذا صحيح حتّى أين قاد النضال حزب شيوعي . و العدد الأكبر من هذه الحركات ، حتّى حيث كانت مقادة من منظّمات تعلن أنّها ماركسيّة – لينينيّة ، لم تتقدّم إلى الإشتراكيّة و بالتالى ، بالفعل ، قد فشلت حتّى في أن تتمّ التحرّر من الإمبرياليّة ، لتسقط بدلا من ذلك تحت جناح قوّة إمبرياليّة أو أخرى – عادة واحدة أو أخرى من القوى العظمى في هذه الفترة .

منظور إليها في هذا الضوء ، كان ذلك مكسبا عظيما للثورة الصينيّة حتّى للقيام بإنتقال أوّليّ من الديمقراطيّة الجديدة إلى الإشتراكيّة . و لم يُنجز هذا دون نضال هائل – بما في ذلك في صفوف الحزب الشيوعي الصينيّ .

و الكثيرون في الحزب بمن فيهم عدد القيادات العليا لم يرغبوا حقّا في المضيّ قُدما بالثورة ، إثر تحرير البلاد . و مثلما أعرب عن ذلك ماو في مناسبات عدّة ، كانوا يعملون على الإطاحة بالإمبرياليّة و الإقطاعيّة و الرأسماليّة – البيروقراطيّة لكنّهم لم يكونوا ميّالين إلى المضيّ قُدُما بالنضال ضد البرجوازيّة لتحقيق إنتصار الإشتراكيّة على الرأسماليّة و مواصلة التقدّم بإتّجاه الشيوعيّة . و بقدر ما كانت الثورة تتقدّم في المرحلة الإشتراكيّة ، بقدر ما كان عديد هؤلاء القادة يعارضون ذلك – ليس جميعهم لكن ليس عددا قليلا منهم فقط . المعنيّ هنا هو ظاهرة الديمقراطيّين – البرجوازيّين المتحوّلين إلى أتباع الطريق الرأسمالي في المرحلة الإشتراكيّة ، وهو موضوع عالجناه مرّات كثيرة في هذا الكتاب .

و من أجل الإستيعاب الحقيقيّ لهذا من الضروريّ فهم أنّ في بلد كالصين القديمة وحدها البروليتاريا و الحزب الشيوعي يمكن أن يقودا النضال الديمقراطي و المناهض للإمبرياليّة بطريقة شاملة ، و لذلك إلتحق الكثير و الكثير من الناس بالحزب الشيوعي – و حتّى صاروا من قادته – كانوا يرغبون حقّا في إنجاز النضال الديمقراطي و المناهض للإمبرياليّة غير أنّهم بعدُ شيوعيّين في نظرتهم إلى العالم . أليس ظاهرة مستشرية في عديد البلدان اليوم لم تتحرّر بعدُ من الإمبرياليّة ، و لم يكملوا الثورة الديمقراطيّة ، و إنّ هناك الكثير من الناس الذين يعتبرون أنفسهم إشتراكيّين و حتّى شيوعيّين و هم في الواقع ليسوا كذلك بل هم (في أفضل الأحوال) برجوازيّون ثوريّون ؟ و مثل هذا كان كذلك ظاهرة مستشرية في الصين القديمة بما في ذلك في صفوف الحزب الشيوعي الصيني الذى أثبت أنّه القوّة الوحيدة القادرة على قيادة النضال إلى النصر ، حتّى في مرحلته الأوّلى . و الآن عديد هؤلاء الناس يجارون تقدّم الثورة و تطوّروا إيديولوجيّا إلى شيوعيّين . إلاّ أنّ الكثير منهم لم يفعلوا . و كما جرت ملاحظة ذلك ، بقدر ما كانت الثورة تتعمّق في المرحلة الإشتراكيّة ، بقدر ما كان هؤلاء الناس الأخيرين يعارضونها و بقدر ما يصبحون يائسين في محاولاتهم للإنقلاب عليها . و بالنسبة إلى الذين أضحوا موظّفين سامين كان هذا التيّارأكبر حتّى .

مقال مجلّة الحزب الشيوعي الشيوعي ، " **الثورة** " (ديسمبر1978) حول شو آن لاي الذى يمكن أن يُعتبر النموذج الأوّل لمثل هؤلاء ، شرح هذه الظاهرة :

" بالنسبة على هؤلاء الديمقراطيّين البرجوازيّين ، كان هدف الثورة تجاوز تخلّف الصين و ما يقترب من الخنق التام لها من طرف القوة الإمبرياليّة . و بالتالى ، تحوّلوا إلى " الإشتراكية " – الملكيّة العامة – على أنّها الوسيلة الأكثر فعاليّة و الأسرع لتحويل الصين إلى بلد مصنّع بدرجة كبيرة و عصريّ. و مع تقدّم الثورة الإشتراكيّة ، قاتلوا لحدوث هذا التطوير وفق خطوط برجوازيّة – و وفق ظروف الصين ، لن تعيد تركيز الرأسمالية فحسب و إنّما ستؤدّى أيضا إلى جعل الصين تعود إلى الوقوع تحت هيمنة قوّة إمبرياليّة أو أخرى . "(4) (" **إعتاد على مهاجمة خطّ ماو – الدور الرجعيّ الخفيّ لشو آن لاي** " ، " **الثورة** " مجلّة اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الثوري ، ديسمبر 1978 ، صفحة 16 بالأنجليزيّة)

و إلى ذلك ، كما جرت ملاحظة لك عدّة مرّات في هذا الكتاب ، هكذا ناس و تحريفيّين عامة لديهم قاعدة إجتماعيّة ، في ظلّ ظروف معيّنة ، يمكن تعبأتها كقوّة لها وزنها للإطاحة بدكتاتوريّة البروليتاريا – مثلما جدّ فعلا سنة 1976 .

و مرّة أخرى ، في ضوء كلّ هذا ، بالإمكان رؤية المكسب البارزللجماهير الصينيّة و قيادتها الثوريّة ، و على رأسها ماو تسى تونغ ، أنّها لم ترسم طريقها إلى الأمام من خلال نضال كبير للمضيّ بالصين على الطريق الإشتراكي فحسب و لم تقتحم أرضيّة جديدة في بناء الإشتراكيّة فحسب كما هو الحال في القفزة الكبرى إلى الأمام ،بل كذلك واصلت الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا ، و أنجزت حركة ثوريّة جماهيريّة غير مسبوقة في ظلّ الإشتراكيّة ، الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى ، و من خلالها تصدّت لمحاولات إعادة تركيز الرأسماليّة لعقد بأكمله – متقدّمة بنضال البروليتاريّة العالميّة إلى قمم جديدة ! و كلّ هذا ليس لقول إنّ الإنقلاب في الصين كان حتميّا ، إنّ البروليتاريا في الصين كان مآلها أن تخسر السلطة أو أيّ شيء من هذا القبيل ميتافيزيقي و هراء جبري . لكنّه يوفّر الإطار الصحيح لفهم النضال الفعلي – تواصل الصراع الطبقي – الذى حدث في الصين و كلّ من المكاسب غير المسبوقة للثورة الصينيّة و كذلك أسباب هذه النكسة و دروسها . و يوفّر الإطار الصحيح لتقييم المساهمات الرائعة لماو تسى تونغ .

دور ماو و دور القادة

عند نقاش مساهمات ماو تسى تونغ و الدفاع عنها و دور أناس مثل ماو و لينين في الحركة الثوريّة ليست المسألة مسألة قول إنّ القادة العظماء لا يخطئون أبدا أو أنّ التاريخ يصنعه الأبطال و ليس الجماهير . القادة الثوريّون العظماء يلبسون أحذيتهم مثل بقيّتنا ، و يأكلون و يفرغون ما في أمعائهم مثلنا .

و بالفعل الجماهير هي التي تصنع التاريخ . بصورة جوهريّة ، الجماهير هي التي " تصنع " القادة الثوريّين العظماء . إنّه النضال الثوري للجماهير هو الذى يفرز قياداته . و بدورهم ، ينهض القادة بدور إيجابي له دلالة كبيرة ، و في نهاية التحليل لا يمكن أن يكون ذي دلالة واقعة إلاّ إذا واصلوا الوقوف إلى جانب و بالمعنى الجوهري وسط ، نضال الجماهير و على هذا الأساس يقودونها إلى الأمام . في هذا العصر ، في الثورة الأكثر أصالة و الأكثر راديكاليّة في التاريخ ، الثورة البروليتاريّة التي تعنى أنّهم يضطلعون بدورهم بتطبيق علم الماركسيّة – اللينينيّة للتعلّم من الصراع أيضا قيادته . و على هذا النحو من الممكن أن يؤثّروا و فعلا هم يمارسون تأثيرا هائلا على حركة الجماهير و من الممكن عمليّا أن يسرّعوا في السيرورة الثوريّة الحتميّة (بالضبط كما يمكنهم أن يؤخّروها عبر الأخطاء و الإنحرافات عن الماركسيّة – اللينينيّة).

و علاوة على ذلك ، و بالضبط مثلما يقوم القادة العظماء بالأمور العاديّة للحياة بالطريقة نفسها التي تقوم بها بقيّتنا ، ينهضون أيضا بدورهم كقادة ثوريّين بالطريقة الأساسيّة ذاتها كما ينجز كلّ المقاتلين الواعين للطبقة مساهماتهم في الحركة الثوريّة . أي ، يقومون بذلك تحديدا بالتمكّن من و بتطبيق علم الاركسيّة – اللينينيّة بطريقة حيويّة على ضوء الظروف الملموسة في بلادهم و العالم بأسره . و بالتالى ، المسألة في التركيز على دور مثل هؤلاء القادة و مساهماتهم العظيمة هو تحديدا في التعلّممنهم و تقوية تصميم و قدرات كامل الحركة الثوريّة في التمكّن من و تطبيق علم الماركسيّة – اللينينيّة و على هذا النحو يقومون بأكبر مساهماتهم في المهمّة التاريخيّة للبروليتاريا .

و كجزء من هذا ، يجب فهم أن ما من أحد ، مهما كانت عظيمة مساهماته / مساهماتها ، قد يكون معصوما من الأخطاء . و هذا ، طبعا ، ينسحب على القادة العظماء كذلك بمن فيهم ماو . و في حين يتمّ رفع راية و التعلّم من المساهمات الرائعة و الدفاع عنها ، و كذلك عن الدور العام لمثلهؤلاء القادة من الهجمات ،من الضروريّ أيضا فهم أخطائهم و التعلّم منها .

و بصفة خاصة في ما يتعلّق بماو ، يبدو أنّه وُجدت نزعة لبثّ أكثر من اللازم لجربة الثورة الصينيّة على النطاق العالميّ . و بالخصوص ، إتّخذ هذا شكل إعطاء طابع أو مظهر قوميّ للنضال في (على الأقلّ في بعض) بلدان رأسماليّة و حتّى إمبرياليّة في ظروف حيث مثل هذه البلدان لا يمكن أن تنهض بدور تقدّميّ . و هذه مسألة غاية في التعقيد و ما من تحليل شامل لها يمكن إنجازه أو حتّى محاولة إنجازه بجدّية ، هنا . بالأحرى ، بعض النقاط سيقع التعريج عليها بإقتضاب شديد في علاقة بهذا .

و كلّ هذا مرتبط وثيق الإرتباط بمسألة كيف نعالج التناقض بين الداع على بلد إشتراكي من جهة و من الجهة الأخرى إنجاز نضالثوريّ في بلدان أخرى حيث البروليتاريا ليست بعدُ في السلطة ، خاصة البلدان الرأسماليّة و الإمبرياليّة التي لا تمثّل الخطر الأساسي للبلد الإشتراكي في وقت معيّن (أو ليست جزءا من كتلة من البلدان التي تقف على رأسها دولة إمبرياليّة تمثّل عندئذ مثل هذا الخطر) . و يصبح هذا معقّدا و حادا بصفة خاصة في وضع حيث تقترب حرب بين دول إمبرياليّة و إحتمال وقوع هجوم على دولة إشتراكيّة لا سيما في كتلة إمبرياليّة ، ينمو بجدّية .

و بالخصوص ، في السنوات القليلة الأخيرة من حياة ماو ، أضحى من الواضح أنّ الإتّحاد السوفياتي كان يمثّل الخطر الأساسي على الصين ، و بوجه خاص في إطار تطوّرات محتدّة بإتّجاه حرب بين قوى الإمبرياليّة مع الولايات المتّحدة، كان الإتّحاد السوفياتيعلى الأرجح جدّا سيشنّ هجوما على نطاق واسع ، و ربّما غزو تام ضد الصين. في هذه الظروف ، كان من الصائب تماما بالنسبة إلى الصين أن تقوم ببعض التحرّكات الدبلوماسيّة و غيرها لتفقد الإتّحاد السوفياتي توازنه و لتستعمل التناقضات بين الكتل الإمبرياليّة لجعل الصين فى أقوى موقف للتعاطي مع هجوم سوفياتي عليها . لكنهذا يجب القيام به على نحو ، عامة ، يساهم في تطوير النضال الثوريّ العالميّ و لا يدعو الثوريّين في بلدان كتلة الولايات المتّحدة إلى التخلّى عن النضال من أجل الثورة أو تقليص " الثورة " إلى النضال ضد الإتّحاد السوفياتي .

إجمالا ، تعاطى ماو و مركز القيادة البروليتاريّة الذى كان يقوده في صفوف الحزب الشيوعي الصيني (مع ما تسمّى " مجموعة الأربعة " لبّه القيادي النشيط) مع هذا التناقض بطريقة ثوريّة . لقد ناضلوا من أجل خطّ دعم نضالات ثوريّة حقيقيّة في بلدان أخرى بما فيها تلك ضمن كتلة الولايات المتّحدة ، بينما في الوقت نفسه حذّروا الثوريّين أن يسمحوا للإتّحاد السوفياتيبأن يخترق هذه النضالات و يستعملها و يحوّلها إلى أذيال خاصة له باسم " الدعم ". و أكثر من ذلك ، ناضلوا بحيويّة ضد خطّ التعويل على – و في الواقع الإستسلام إلى – إمبرياليّة الولايات المتّحدة و بيع الثورة في الصين نفسها باسم " تعصير " البلاد و " تعزيز الدفاع " ضد الإتّحاد السوفياتي . لكن من الجهة ألخرى ، تبنّوا تحليل أنّ الإتّحاد السوفياتي كان مصدر الحرب الأخطر ، على أساس مشابهلذلك الذى صرّح وفقه ستالين بأنّ الدول الإمبرياليّة الفاشيّة العدوّ الأساسي في أواخر ثلاثينات القرن العشرين . و قد شمل هذا ، على ألقلّ إلى درجة معيّنة ، الترويج لخطّ " النضال القوميّ" ضد الإتّحاد السوفياتي في الدول الرأسماليّة و الإمبرياليّة التي تشكّل معا مع الولايات المتّحدة كتلتها الإمبرياليّة (بالضبط مثلما فعل ستالين ، حتّى في ثلاثينات القرن العشرين في ما يتّصل بهذه البلدان المعارضة للكتلة الإمبرياليّة الفاشيّة) . و كما أكّد حزبنا في إجتماعاته لإحياء ذكرى ماو ستى تونغ سنة 1978 " لقد عزّز هذا الخطأ إلى درجة معيّنة التحريفيّين في الصين الذين كانوا – و لا زالوا – يحاججون بأنّ الخطر السوفياتي على الصين يبرّر و يتطلّب التخلّى عن الثورة في الداخل و في الخارج . و هذا الصنف من الأخطاء المقترفة من الثوريّين وُجد كما تمّت الإشارة إليه ، في صفوف الحركة الشيوعيّة العالميّة ، بالعودة إلى ثلاثينات القرن العشرين ، و هناك حاجة حقيقيّة لمزيد التلخيص الشامل لها و نقدها لأجل تقاديها في المستقبل . (5) (بوب أفاكيان ، **" خسارة الصين و الإرث الثوري لماو تسى تونغ "** ، صفحة 114)

و في الوقت نفسه ، رسم حزبنا بإستمرار و بطريقة صحيحة خطّ تمايز واضح بين خطّ ماو و سياساته و رفاقه الثوريّين من جهة و من الجهة الأخرى ، أولئك التحريفيّين الخونة الذين إستولوا على السلطة من خلال تحطيم مراكز القيادة البروليتاريّة في صفوف الحزب الشيوعي الصيني عقب وفاة ماو و هم يعيدون بسرعة تركيز الرأسماليّة و يستسلمون إلى الإمبرياليّة . و تنبغى الإشارة إلى أنّ ماو و رفاقه في الصين تعلّموا من بعض أخطاء ستالين و صحّحوها في ما يتّصل بالتناقض بين الدفاع عن بلد إشتراكي و إنجاز النضال العالميّ. لم يتّخذوا موقف ربط كلّ شيء بالدفاع عن الصين . و بالأخصّ ، إعترفوا بأهمّية قيادة الصراع الطبقي للبروليتاريا ضد البرجوازيّة في الصين . لكن أكثر من ذلك ، واصلوا كذلك كماجرت الإشارة إليه ، القتال لتقديم الدعم للنضالات الثوريّة الحقيقيّة في بلدان أخرى ، حتّى تلك صلب كتلة الولايات المتّحدة . (6) (من أجل المزيد بهذا الصدد ، فضلا عن المواد المذكورة أعلاه ، **" إستراتيجيا العوالم الثلاثة : إعتذار للإستسلام "** ، مجلّة **" الثورة "** ، نوفمبر 1978 ، صفحة 3)

و هكذا ، رغم بعض الإختلافات التي كانت لحزبنا مع ماو و رفاقه حول بضعة مسائل متّصلة بالوضع العالمي ، و طبيعة النضال الثوري في بلدان إمبرياليذة مختلفة و صلة هذا بالدفاع عن الصين بشكل عام إعترفنا بالدور الثوريّ جوهريّا في هذا الصدد و بالحاجة إلى التعلّم من كلّ من مساهماتهم في الأمميّة و بعض الأخطاء التي إرتكبوهافى هذا المجال . و أكثر

جوهريّة، مع ذلك ، كما أشرنا ، هي الحاجة إلى مزيد التلخيص الشامل ليس لخطّ و تصرّفات ماو و الثوريّين الآخرين في الصين فقط بل أيضا لتاريخ الحركة الشيوعيّة العالميّة حول هذه المسألة و دروسها الإيجابيّة منها و السلبيّة ، بالعودة إلى أربعين سنة أو أكثر .

و هذا حيويّ بصورة خاصة على ضوء الوضع العالمي الراهن المتميّز ليس فحسب بالإنقلاب في الصين و قدر كبير من الإضطرابات في صفوف الحركة الشيوعيّة العالميّة و إنّما كذلك بتعمّق أزمة الإمبرياليّة و التطوّرات المتصاعدة بإتّجاه كلّ من الحرب العالميّة و الثورة .

لنتعلّم من ماو تسى تونغ و نتقدّم بقضيّة الشيوعيّة

في ثنايا هذا الكتاب و كذلك في هذا الفصل الختامي بوجه خاص ، جرى تحليل بعض أهمّ مساهمات ماو تسى تونغ بما فيها أعظمها – نظريّة مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا . و هذه المساهمات أكبر بكثير من أيّة أخطاء إرتكبها ماو وهي تميّزه أيضا كأعظم ثوريّ في زمننا . غير أنّه تمّ التشديد أكثر على أنّ هدف تفحّص مساهمات قائد ثوريّ عظيم مثل ماو هي تحديدا للتعلّم منها و المضيّ قُدما بقوّة أكبر بالقضيّة الثوريّة التي لها قدّم مثل هؤلاء الناس إلهاما و قيادة كبيرين .

و ناظرين عندئذ إلى دور ماو و مساهماته عامة و على نحو شامل ، ما يبرز أكثر من غيره ، ما يشدّد في الواقع على كلّ هذه المساهمات ، ما هو الأكثر أساسيّة في التعلّم منه ، هو الشموليّة التي طبّق بها ماو الموقف و وجهة النظر و المنهج الماركسي – اللينيني ، و بخاصة تطبيقه للجدليّة في معارضة الميتافيزيقا . النشوء الذى لا يتوقّف للتناقضات و لحلّها ، كما هو ضد كلّ المفاهيم المطلقة و الركود – أدركه ماو كقوّة محرّكة في تطوّر الأشياء كافة ، في الطبيعة و المجتمع و الفكر، و يسير هذا الفهم مثل طريق قرمزيّ عبر كتابات ماو و أفعاله . هل يمكن لأيذ كان أن يتصوّر ماو كبيروقراطي ثقيل أو " قدماء المحاربين الذين يعيشون في رفاه " مستندين على أكاليلهم .

و بالأخصّ ، تطبيق ماو للجدليّة في فهم و تفسير العلاقة بين المادة و الوعي ، و التغيّر المستمرّ للواحدة إلى الأخرى ، هو الذى قاده إلى التشديد بقوّة وهو محقّ في ذلك ، على دور البنية الفوقيّة و على السياسة و الوعي في قيادة الممارسة الثوريّة لتغيير العالم بما في ذلك الناس . و هذه نقطة جوهريّة لها أهمّية عظيمة في كلّ من الإعداد إلى و إنجاز إفتكاك السلطة و مواصلة الثورة إثر كسب السلطة السياسيّة . إنّها نقطة ألحّ عليها لينين إلحاحا كبيرا في قيادة الحركة الثوريّة كما عبّر عن ذلك في عمله المَعلَم ، **" ما العمل ؟ "** و كذلك في غيره من الأعمال . وهي كذلك نقطة بالمعنى الحقيقي أعاد ماو إحياءها و زاد في تطويرها في قيادة الشعب الصيني و البروليتاريا العالميّة إلى أعلى قممها بعدُ . سواء في الصراع الطبقي بما في ذلك الحرب ، أو في الإنتاج أو التجريب العلميّ ، أكّد ماو على التعويل على النشاط الواعي للجماهير ، و ليس على التكنولوجيا و التقنية ؛ على الناس و ليس على الأشياء .

لهذا طبعا البرجوازيّة والتحريفيّون والإنتهازيّون من كلّ الأصناف ، داخل الصين و خارجها ، قد نعتوا ماو ب" المثالي ". بيد أنّ ماو كان ماديّا أصيلا . فقد ركّز نفسه على العالم الواقعيّ ، **في سيرورته من الحركة و التغيير المستمرّين ، من الأدنى إلى أعلى ، و الحلول الحتميّ للجديد محلّ القديم** . و لهذا لم يُغفل أبدا بل أدرك بصفة مستمرّة الصلة بين الحاضر و المستقبل ، وجود عناصر المستقبل في الحاضر ، و واقع أنّ نضال البوليتاريا عبر العالم ضد البرجوازيّة و كافة الرجعيّة، سيتقدّم في نهاية المطاف و بعناد رغم الإلتواءات و المنعرجات و الإنتكاسات و التراجعات المؤقّتة ، سيتقدذم بالبشر نحو الهدف التاريخي للشيوعيّة ، و هذا عينه ستدفعه إلى الأمام التناقضات و الصراعات .

هذا ما يتخلّل جميع أعمال ماو و مساهماته الخالدة حقّا . و هذا هو ، فوق كلّ شيء ، ما يمكن و يجب على كافة المصمّمين على القيام بالثورة و يتطلّعون إلى تحقيق هدف الشيوعيّة السامي أن يتعلّموه من ماو تسى تونغ .

ملاحق الكتاب 46 (3)

الملحق الأوّل :

إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " : إعتذار للإستسلام

الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

مجلّة " **الثورة** " ، المجلّد 3 ، عدد 14 ، نوفمبر 1978

https://www.marxists.org/history/erol/ncm-5/rcp-3.htm

لفترة زمنيّة الآن ، وقع إيلاء إنتباه خاص كبير داخل الحركة الشيوعية العالميّة لنقاش الخطّ العالمي الصيني . فمنذ الإنقلاب المعادي للثورة فى الصين بُعيد وفاة ماو تسى تونغ ، صار واضحا جليّا أنّ إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " جزء لا يتجزّأ من الخطّ العام للتحريفيّين الصينيّين لإعادة تركيز الرأسمالية فى الصين و الإستسلام للإمبريالية ، خاصة فى هذا الوقت الإمبريالية الأمريكيّة ، على النطاق العالمي .

فى 1966 كتب ماو إلى زوجته و رفيقته القريبة أنّه بعد وفاته إذا صعد أتباع الطريق الرأسمالي إلى السلطة ، " سيتمكّن اليمين فى السلطة من إستخدام كلماتى ليعزّز قوّته لفترة . ثمّ سيتمكّن اليسار من إستخدام كلمات أخرى و ينظّم نفسه للإطاحة باليمين " . لقد كانت هذه الكلمات تنبّئيّة فعلا . لكن ما هو مميّز هو قلّة كلماته التى يمكن للتحريفيّين فى الصين أن يستخدموها لمحاولة إستغلال سمعة ماو قصد إعطاء وزن لخطّ يمضى ضد كلّ ما أمضى ماو حياته فى قتاله .

بطبيعة الحال ، البارز إلى حدّ كبير هو أنّ نظريّة " العوالم الثلاثة " ليست نظريّة أصلا و إنّما بالأحرى ظلّ تبرير خاوى للتحريفيين الصينيّين لإتباعهم سياسة براغماتيّة فى الشؤون الدوليّة . إنّها سياسة لا تقوم على التقدّم بمصالح الثورة العالميّة بل على العكس سياسة تقوم على التضحية بدعم النضالات الثوريّة و هي معتمدة على خطّ شامل من إشعال نار فى الإشتراكيّة فى الصين ذاتها خدمة لما يراه المستولون التحريفيّون على أنّه مصالحهم المباشرة و الضيّقة . إنّها " نظريّة " شوفينيّة تُحلّ المصالح القوميّة للصين – كما تراها عدسات النظرة المشوّهة للبرجوازيّة – محلّ النضال العالمي ضد الإمبريالية و تطالب بأن تحتلّ هذه " المصالح " الموقع المركزي فى نضال الحركة الشيوعية العالمية .

و لأنّ إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " وصفة للإستسلام ، فقد وجدت مدافعين متحمّسين عنها فى عديد البلدان عبر العالم ضمن تحديدا أولئك الذين يطلقون على أنفسهم "ماركسيّين " ويتطلّعون للتمسّك بأيّ تبرير – لا سيما تبرير يدعمه بلد له سمعة مثلما هو حال جمهوريّة الصين الشعبيّة – للإستسلام إلى برجوازيّتهم الخاصة . و فى بلدنا الخاص رأينا هذا بأكثر وضوح و بخزي من جهة الحزب الشيوعي الماركسي – اللينيني (سابقا رابطة أكتوبر) الذى إستخدم هذه " النظريّة " لتبرير خطّه الهادف إلى توجيه " الضربة الأساسيّة " ليس إلى حكّامهم الخاصّين ، الطبقة الحاكمة للولايات المتّحدة بل إلى الإمبرياليّين-الإشتراكيّين . وكذلك ، وجدوا هم وأمثالهم فى إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " تبريرا مناسبا لتجاهل و بالفعل معارضة النضالات الحقيقيّة للتحرّر الوطني فى بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة . لكن فقط عندما رفع الإنتهازيّون و الإشتراكيّون – الشوفينيّون هذا الخطّ التحريفي حول العالم ، تقدّم الماركسيّون – اللينينيّون الحقيقيّون إلى الأمام من كلّ ناحية من أنحاء الكوكب لمواجته أيضا .

إستبعاد التحليل الطبقي

يصوّر التحريفيون الصينيّون (فى مقالهم الأهمّ حول الموضوع " **نظريّة الرئيس ماو [هكذا !] فى التمييز بين العوالم الثلاثة مساهمة عظيمة فى الماركسيّة – اللينينيّة** ") تحليل " العوالم الثلاثة " على أنّه يعكس اصطفاف القوى الطبقيّة على النطاق العالمي . و مع ذلك ، لا شيء يمكن أن يكون أبعد من هذا التحليل عن الحقيقة .

لنخطو خطوة إلى الوراء ، للحظة ، فى العالم الشامخ للجغرافيا السياسية . من البديهي أنّ تحليل " العوالم الثلاثة " لا يوفّر أيّة رؤية ثاقبة للمهام العمليّة أو إصطفاف القوى الطبقيّة فى أيّ بلد خاص . بالعكس تماما ، إلى درجة إستخدامه لتوفير أي توجّه عملي بهذا الصدد ، هو رجعي صراحة - بإستثناء ربّما فى الإتّحاد السوفياتي الذى ليست الثورة خارج القانون بعدُ، على ما يبدو .

فى " العالم الثالث " ، مثلا ، نجد مجمّعة معا بلدان ذات علاقات طبقيّة مختلفة . و فى غالبيّة هذه البلدان توجد السلطة السياسيّة بيد أعداء الثورة ، البرجوازيّة الكمبرادوريّة و الملاّكين الإقطاعيين . هل يمكن أن يكون هناك أي شكّ فى أنّ فى بلدان مثل إيران و الفليبين و الشيلي و كينيا و نيكاراغوا أو البرازيل ، المهمّة التى تواجه جماهير الشعب هي الإطاحة بأنظمتها حتّى تكسب التحرّر الوطني ؟ أي معنى ممكن يمكن أن يكون " للنضال ضد الإمبريالية " إذا لم يكن حجره الأساسي تركيز حكم سياسي للطبقات الشعبيّة ، أوّلا و قبل كلّ شيء الطبقة العاملة و الفلاّحين ؟

فى بلدان أخرى كالموزنبيق أو تنزانيا ، السلطة السياسية ليست بيد ناطقين متقدّمين بإسم الإمبريالية و المهمّة السياسية هي تسليح الجماهير بفهم أنّ البرجوازيّة الوطنيّة تنزع نحو الإستسلام للإمبريالية و إلاّ ستسحقها إن لم تفعل ذلك . يجب على الشيوعيّين أن يعدّوا الجماهير سياسيّا و تنظيميّا و عسكريّا للمضي بالثورة إلى الأمام نحو الإشتراكية ويجب بصراحة أن يبنوا النضال بإتّجاه ذلك الهدف .

و تضع نظريّة " العوالم الثلاثة " حتّى " البلدان الإشتراكيّة " كجزء من هذا " العالم الثالث " المتجانس . (لاحقا سنخوض فى الإشارة إلى أنّ ماو ألمح إلى أنّ الصين جزء من " العالم الثالث ").

و كذلك ، ضمن ما يسمّى بالعالم الثاني ، نجد غالبيّة البلدان الإمبرياليّة . نظامهم الإجتماعي و أساسهم الطبقي يميّز عن القوى العظمى ذاتها . و مهمّة البروليتاريا فى هذه البلدان لا يمكن أن تكون سوى الإطاحة بطبقاتها الحاكمة الخاصة ، و ليس أي نوع من النضال ضد القوى العظمى فى تحالف مع برجوازيّتهم الخاصة . و أيضا من الواضح تمام الوضوح أنّ عديد البلدان المسمّاة بالعالم الثاني هي بلدان مستغِلّة عالميّة بحدّ ذاتها . و الحديث عن " الوحدة بين العالم الثاني و العالم الثالث " لا يمكن إلاّ أن تعني تعزيز " الوحدة الراهنة " (للأضداد) الموجودة بعد و توسيعها . هل يعنى واقع كون لفرنسا مثلا قسط أكبر فى بعض بلدان غرب أفريقيا من الولايات المتّحدة أنّ نوعا ما يتعين على الجماهير فى تلك البلدان أن تحافظ على وضعها الراهن ؟ أن النظام الإجتماعي الجوهري مختلف نوعا ما إن كانت الولايات المتحدة أو كان الإتحادالسوفياتي هو الذى يتحكّم لوحده فى المشهد هناك؟

تقوم إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " على فرضيّة (و تأكيد !) فى تحليل " العالم الثاني " على أنّ الوضع الثوري غير موجود و لا يمكن أن يتصوّر ظهوره . و بالتالى لا يمكن للطبقة العاملة فى هذه البلدان القيام بالأفضل من التوحّد مع البرجوازيّة من أجل موقع أن تكون أفضل المقاتلين فى الحفاظ على مصالح الإمبرياليّين .

و هكذا يمكن رؤية أنّه بصرف النظر عن كيفيّة النظر إلى ذلك ، فإنّ تحليل " العوالم الثلاثة " لا يوفّر أي طرح حول كيفيّة التقدم بالنضال من أجل الثورة فى أي بلد خاص . لكن إسترتتيجيا " العوالم الثلاثة " تُقدّم على أنّها إستراتيجيا عالميّة شاملة (مسألة القيام بالثورة فى اي بلد لا يشملها هذا). المسألة الأولى التى تأتى حتما إلى الذهن هي ، إستراتيجيا لأجل ماذا ؟ و مرّة أخرى ، يظهر الجواب – لأي شيء عدا التقدّم بالثورة على النطاق العالمي .

و بالفعل ، يتزحلق المرء على جليد رقيق حالما تقدّم إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " للبروليتاريا العالمية . لقد بيّنت التجربة التاريخيّة أنّ مثل هذه الإستراتيجيّات ، حتّى حيث كانت صحيحة ، لم تكن سوى محدودة و ذات فائدة قصيرة المدى . من وجهة نظر تاريخيّة – عالميّة ، يظهر تحالف إستراتيجي أساسي فى عصر الإمبرياليّة – الرابط بين نضال البروليتاريا فى البلدان المتقدّمة من أجل الإشتراكيّة و نضالات تحرير الشعوب المضطهَدة فى البلدان المستعمرة كمكوّنان للثورة البروليتاريّة العالميّة .

<u>الدفاع عن الإستعمار الجديد</u>

لكن بالرغم من الإستخدام الليبرالي لمقتطفات من أقوال لينين و ستالين و ماو تسى تونغ حول هذا المظهر الأساسي للنضال ضد الإمبريالية العالميّة من قبل التحريفيين الصينيين ، يمضى " تحليل العوالم الثلاثة " تماما ضد هذا المبدأ اللينيني . وبالفعل ، إنّه ينكر بالذات نضالات التحرّر الوطني – مقدّما إيّاها بالأساس كشيء من الماضي . عوض النضال من أجل التحرّر الوطني فى " العالم الثالث " و هو نضال لا يمكن إلاّ أن يكون بموقع القلب منه النضال من أجل السلطة السياسية (أي سلطة الدولة) ، يعوّض بنضال من أجل " الإستقلال الإقتصادي " إستراتيجيا " بقيادة الطبقات الحاكمة الرجعيّة !

تدافع إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " عن أنّ الغالبيّة العظمى من بلدان " العالم الثالث " قد حقّقت إستقلالها لكنّها لا تزال عرضة لبلطجة القوى العظمى و تحدّياتها . بيد أنّ هذه الفرضيّة التى يأملون تمريرها بحركة يد خفيفة ، تمضى ضد الوقائع و الخطّ الثوري للينين فى " **الإمبريالية ، أعلى مراحل الرأسمالية** " بأنّ الإستقلال السياسي الشكلي لم يلغى أبدا الهيمنة الإمبرياليّة الفعليّة .

و فى حين أنّ مثل هذه الحالات كانت زمن لينين إستثناءا للقاعدة (و وجد الإمبرياليّون أنّه لا يزال ممكنا الحكم من خلال الإستعمار المباشر) ، أحد أهمّ النقاط فى النضال ضد التحريفيّة الخروتشوفيّة كان التشديد على أنّ الإستعمار الجديد أضحى الشكل السائد الذى يعتمده الإمبرياليّون ، و خاصة الإمبرياليّون الأمريكان ، للهيمنة على مساحات واسعة من الكوكب . و قاتل بكلّ ما أوتي من جهد ضد ذات الموقف القائل بأنّ صلة الإستعمار يمكن بشكل ما أن تضمحلّ عبر " التقدّم الإقتصادي" أي دون ثورة. ويحتاج المرء تذكرّ فقط الفتنام حيث كان الجزء الجنوبي من البلاد شكليّا " مستقلاً "، ليدرك مدى كون هذا الخط قشرة . و بالفعل ، فى الغالبيّة العظمى من " العالم الثالث " " الإستقلال " الحقيقي أي التحرّر من الإمبريالية ، هو تحديدا الموضوع على جدول الأعمال .

بعيدة عن أن تكون إستراتيجيا ستشجّع الجماهير الشعبيّة فى أمم " العالم الثالث " على النهوض ضد الهيمنة الإستعماريّة الجديدة ، تنادى إسترتتيجيا " العالم الثالث " إستراتيجيا عمليّا بتعزيزتلك الهيمنة . و بعض النقاط " النظريّة " (و العمليّة) التى أثارها التحريفيّون الصينيّون جديرة بأن نسوق ملاحظات مقتضبة بشأنها .

إليكم كيف يقدّم التحريفيّون الصينيّون النضال فى " العالم الثالث " منذ الحرب العالميّة الثانية :

" فى بدايات السنوات الأولى ما بعد الحرب ، لم تكسب غالبيّة بلدان العالم الثالث بعدُ إستقلالها و كان البعض منها فى وضع شبه تبعيّة . زمنها ، كان نضالها يستهدف تحقيق التحرّر الوطني و الإستقلال ، و إتّخذ أوّلا شكل النضال الثوري المسلّح . و حينها إعتُرف عالميّا بأنّها تمثّل القوّة الأساسيّة فى قتال الإمبرياليّة . و اليوم ، لا تزال الشعوب فى بعض أنحاء العالم الثالث تخوض نضالا مسلّحا من أجل التحرّر و الإستقلال ، ولا تزال تقاتل فى مقدّمة النضال على الصعيد العالمي ضد الإمبريالية و الإستعمار . إنّه لواجب مقدّس لكلّ من البروليتاريا العالمية و الشعوب الثوريّة فى العالم أن تقدّم دعما حازما لنضالها ." [مثلما فى إيران ؟! الحزب الشيوعي الثوري]

و الآن يطفح على السطح سؤال : هل ستظلّ **بلدان** آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينيّة التى قد **كسبت** الإستقلال القوّة الأساسيّة فى النضال ضد الإمبرياليّة لفترة تاريخيّة مديدة نسبيّا ؟ و إجابتنا هي نعم . (التشديد من وضعنا . من المقال الأهمّ للتحريفيّين، **" نظريّة الرئيس ماو [هكذا !] فى التمييز بين العوالم الثلاثة مساهمة عظيمة فى الماركسيّة – اللينينيّة "** الذى نشر أوّل ما نشر بالأنجليزية فى **مجلّة بيكين** عدد 45 ، 1977 و أعيد نشره ككرّاس إليه تشير رقم الصفحات و من هنا فصاعدا يحال عليه كمقال " العوالم الثلاثة " ؛ ص 42 -43).

بوضوح المسألة التى يثيرها التحريفيّون هي أنّ نضالات التحرّر الوطني فى حدّ ذاتها شيء من الماضي و ما يمكن أن يوجد اليوم يوجد كإستثناء . و على العكس من ذلك النقطة المركزيّة هي ما إذا كانت البلدان (التى يمكن فقط أن تعني الأنظمة فى السلطة ، كتمييز عن الأمّة ، و المقصود بها الشعب) ستحافظ على إستقلالها و تعزّزه . لقد وقعت تصفية القتال من أجل السلطة السياسيّة و معه الحاجة إلى الثورة لأنّه كما وضع ذلك ماو بصيغة لامعة " تنبع السلطة السياسيّة من فوّهة البندقيّة ". ورغم واقع أنّ بعض التغيّرات الحقيقيّة قد حدثت فى بلدان " العالم الثالث " طوال العقدين الأخيرين و أكثر ، بالكاد يضطرّ المرء إلى شرح كيف أنّ الطبقات القاعديّة للبلدان قد تحوّلت أو كيف أنّ قبضة الإمبرياليّة عليها مختلفة جوهريّا الآن .

فى أمريكا اللاتينيّة ، على سبيل المثال ، تقريبا كلّ البلدان كانت شكليّا مستقلّة قبل الحرب العالميّة الثانية : لم يحدث أي تغيير فى أنظمتها الإجتماعيّة و لا إختلاف حقيق فى علاقتها بالإمبرياليّة . كيف يمكن للمرء أن يقول أنّ الأنظمة فى هذه

البلدان التى إستهدفها ماو و الحزب الشيوعي فى ستيّنات القرن العشرين على أنّها دعائم إستعماريّة جديدة عميلة للإمبريالية قد أمست الآن أنظمة " مستقلّة " وجب تعزيزها و ليس الإطاحة بها ؟

لغايات ديماغوجيّة ، عن قصد يحاول التحريفيّون الصينيّون أن يخلطوا أصناف" الشعب " و" الأمّة " مع " البلد "، آملين أن تمنح الأنظمة الرجعيّة الغطاء الثوري للنضال ضد الإمبريالية و من أجل التحرّر الوطني . لكن الديماغوجيّة مجرّد ديماغوجيّة و حينما نبلغ لبّ المسائل السياسيّة الراهنة من الواضح أنّ التحريفيين الصينيّين يعارضون النضال من أجل التحرّر الوطني .

و لنأخذ على سبيل المثال إحدى نعوت التقدّم الكبير الذى أحرزته بلدان " العالم الثالث " نحو الإستقلال . " عددا كبيرا من بلدان العالم الثالث تملك الآن جيوشها الخاصّة و بدرجات متفاوتة قد خفّفت من تأثير الإستعمار " ياله من إنجاز ! ما يمكن أن نسأله هو ما هي الطبيعة الطبقيّة لهذه الجيوش ؟ هل هي موجودة للحفاظ على النظام الإجتماعي المعتمد على حكم البرجوازيّة الكمبرادوريّة و الملاّكين الإقطاعيّين أم هي حقّا جيوش موجّهة ضد الإمبرياليّة ؟ لعلّ هذه النظرة لأهمّية الجيش تشرح الشغف الخاص لدى التحريفيين الصينيّين بشاه إيران الذى نجح فى بناء جيش يفوق جيش بعض القوى الإمبرياليّة قوّة و عتادا . و يتعيّن أن توضّح الأحداث الأخيرة فى إيران لكلّ من تابعها و ليس مجنونا أو دجّالا ، بإسم من يتحرّك .

وفى المدّة الأخيرة ، بشأن شغف التحريفيين الصينيّين بالإستعمار الجديد ، فى خطاب دنك سياو بينغ سنة 1974 أمام الأمم المتّحدة ، الذى قدّم فيه لأوّل مرّة تحليل " العوالم الثلاثة " ، قام بالإقتراح التالي :

" فى عديد البلدان النامية ، يعدّ إنتاج المواد الأوّليّة قسما كبيرا من الإقتصاد الوطني . إذا إستطاعت هذه البلدان أن تمسك بيديها إنتاج المواد الأوّليّة و إستعمالها و بيعها و تخزينها و نقلها وبيعها بأثمان معقولة على أساس علاقات التجارة العادلة فى التبادل من أجل كمّية أكبر من السلع الضروريّة لنموّ إنتاجها الصناعي و الفلاحي ، عندئذ ستستطيع أن تعالج خطوة خطوة الصعوبات التى تواجهها و تعبّد الطريق لتخطّى سريع للفقر و التخلّف " .

يا له من موقف " ماركسي – لينيني " تماما ! ليس فقط من غير الضروري خوض الثورة لتخطّى الفقر و التخلّف ، بل يمكن لعلاقات الإستعمار الجديد نفسها أن تحقّق ذلك ! إنّ وصفة دنك للنموّ ليست مختلفة فى أي شيء عن نداء السوفيات من أجل " تقسيم عالمي للعمل " أو بصفة أتمّ دعوة متقطّعة الإمبريالية البريطانية الآن لأن تكون " ورشة العالم " ؟

ليست العلاقة الإمبريالية بين البلدان المتقدّمة و البلدان التابعة أوّلا غياب " علاقات التجارة العادلة " و إنّما على وجه الضبط أنّ الإمبريالية تفرض وضعا حيث البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة تتميّز بإنتاج المواد الأوّليّة و من الجهة الأخرى ، هي سوق لتصدير السلع المصنّعة و الأهمّ من ذلك ، للرأسمال نفسه . و طبعا ، هذه العلاقة الأساسيّة التى تجعل من مفهوم " علاقات التجارة العادلة " أو " النظام الإقتصادي الجديد " حيلة و خدعة . إذا أعدنا النظر فى ما مضى ، من الواضح أن دنك فى الموقف أعلاه كان جزئيّا فقط يهدف إلى تبرير النظام الإقتصادي القديم للإمبريالية عموما . و كان كذلك يروّج لبرنامجه المعادي للثورة لربط الصين مرّة أخرى بالدائرة الإمبريالية – وهو برنامج وقع تطبيقه بحيويّة منذ الإنقلاب المعادي للثورة فى أكتوبر 1976 فى الصين . و بالضبط مثلما كان دنك ينظر بحسد لممثّلي البرجوازية الكمبرادوير الغنيّة بالبترول فى الشرق الأوسط ، كذلك اليوم فى الصين يكرّس نصيحته الخاصة ، ممضيا إتّفاقا لبيع بلايين الدولارات من البترول الصيني إلى اليابان مقابل الحصول على تقنية متقدّمة . (ينبغى أن تلقى وصفة دنك ل" التنمية " مساندة فيدال كاسترو – رغم الإختلافات حول اية قوّة عظمى يجرى الركوع أمامها – بما أنّ كاسترو منذ سنوات عدّة كان يطبّق بالضبط نفس برنامج تبعيّة الإستعمار الجديد بالحفاظ على كوبا كمنتج عملاق للسكّر مرتبط بالإتحاد السوفياتي و بأن يقول للجماهير أنّ هذا بشكل ما سيمكّنها من شراء " تخطّى سريع للفقر والتخلّف " فى يوم ما).

إنّ خطاب دنك أمام الأمم المتّحدة مثال جيّد عن ما كان يشير إليه ماو عندما قال :

" هذا الشخص لا يفهم الصراع الطبقي ؛ لم يشر أبدا إلى هذه العلاقة المفتاح . ولا يزال يكرّر " قط أبيض ، قط أسود " ، و لا يميّز بين الإمبريالية و الماركسية " .

<u>نظريّة قوى الإنتاج</u>

إنّ نظريّة " العوالم الثلاثة " و البرنامج العالم للتحريفيّين الصينيين من أجل إعادة تركيز الرأسمالية لهما خيط صلة مشتركة مع " نظرية قوى الإنتاج " التحريفيّة . ومثلما يدافع فعلا هواو و دنك عن أنّ الصين ستتقدّم نحو " الشيوعية " بتحقيق " التعصيرات الأربعة " على أساس إعادة تركيز علاقات الإنتاج الرأسماليّة ، كذلك تدّعى نظريّة " العوالم الثلاثة " أنّ البلدان ستصبح مستقلّة من خلال المكاسب الإقتصاديّة دون القطيعة مع علاقات التبعيّة للإمبريالية .

تقدّم " نظريّة قوى الإنتاج " " النموّ " كمجرّد حصول كمّي على قدرة إنتاجيّة بينما تبقى على علاقات الإنتاج نوعا ما تغيّر نفسها آليّا . إنّها تتجاهل أنّه فى ظلّ الرأسماليّة ، و الإشتراكية أيضا فى مظاهر هامة منها ، إنّها تحديدا علاقات الإنتاج الرأسمالية (أو بقايا منها) هي التى تعرقل قوى الإنتاج لهذا بالذات ثمّة حاجة للثورة لتحرير قوى الإنتاج . فى هذه النظرة، النظرة البرجوازيّة ، ترى بثبات قوى الإنتاج كمجرّد مسألة وسائل الإنتاج ، المصانع و آبار النفط إلخ لا يمكن أن تشمل حقيقة التى لخّصها ماركس بأنّ " أكبر قوّة إنتاج هي الطبقة الثوريّة ذاتها " . و مطبّقة على الوضع العالمي ، هي نظرة البرجوازيّة الكمبرادوريّة التى تبحث عن الإنسحاب من عمل الجماهير الشغّيلة ، و تتشاجر مع أسيادها الإمبرياليّين من أجل رؤية أكثر " عدالة " لغنائم ، لكن لا تملك أبدا فكرة عمليّة للقتال من أجل إلغاء علاقات الإنتاج و العلاقات بين البلدان التى ترعاها الإمبريالية و تحافظ عليها .

الدفاع عن الوطن ، أسلوب " العوالم الثلاثة "

من قمم سخرية إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " أنّه بينما تمحى فى الأساس و ترمى إلى غياهب النسيان ، حروب الإستقلال عن الإمبريالية (التحرّر الوطني) فى بلدان العالم الثالث (أو على الأقلّ تلك الموجّهة ضد الولايات المتّحدة) ، تعيد إحياءها فى أوروبا . فوفق مقال " العوالم الثلاثة " ، الإشارة إلى أوروبا ،

" الحروب القومية ضد العدوان على نطاق واسع ، والإستعباد والقتل من قبل القوى العظمى ليست ممكنة فحسب بل هي حتميّة و تقدّميّة و ثوريّة ". (ص 63)

ومن العسير تصوّر هجوم أكثر مباشرة على المبدأ الأساسي اللينيني بشأن الموقف الذى تتّخذه البروليتاريا فى البلدان الإمبرياليّة تجاه برجوازيّتها " الخاصة " . موقف لينين بخصوص الحرب العالمية الأولى و الصراع الشرس ضد الذين إتخذوا موقفا آخر عدا النضال من أجل الإنهزاميّة الثوريّة إزاء برجوازيّتها الخاصة معروف جيّدا طبعا . و مثلما لخّص ماو بشكل موجز للغاية فى 1938 ، " إنّ الأحزاب الشيوعية فى الدول الرأسماليّة ،فيما يتعلّق بمسألة الحرب ، تعارض الحروب افمبريالية التى تشنّها بلدانها ؛ فإذا ما نشبت مثل هذه الحروب ، فإّ سياسة هذه الأحزاب هي السعي لهزيمة الحكومات الرجعيّة القائمة فى بلدانها . و إنّ الحرب الوحيدة التى نريد هذه الأحزاب خوضها هي الحرب الأهليّة التى تعدّ لها العدّة . " (**" قضايا الحرب و الإستراتيجية "** ، المجلّد الثاني ، ص 219-220 باللغة الأنجليزيّة ، و بالعربيّة ص 304)

لكن وفق الحكّام التحريفيين للصين راهنا مقولة ماو أعلاه ، شأنها شأن الخطّ الثوري عامة ، تجاوزها الزمن . و عوض ذلك يتعيّن على الأحزاب الشيوعية أن تعدّ للقتال فى حرب ضد القوى العظمى (إقرأوا السوفياتيّة) . ويمكن أن يشرعوا " اليوم " برفع شعار " الدفاع عن الإستقلال الوطني " . (مقال " العوالم الثلاثة " ، ص 59)

و باحثين عن بعض التبرير لخيانتهم ، يقدّم التحريفيّون الصينيّون فقط واقع أنّه فى الفترات السابقة كانت " القوى العظمى" تتصارع فيما بينها من أجل الهيمنة على العالم ، واليوم الولايات المتّحدة و الإتّحاد السوفياتي وحدهما فى وضع قوى عظمى. و هذا فى الواقع ليس سوى حجّة خرقاء لعصر جديد ، نوعا ما مختلف عن عصر الإمبريالية ، فيه لا تنطبق تعاليم لينين .

أوّلا ، هذه الحجّة سخيفة فى ظاهرها ، لأنّه فى الماضى وجدت عدّة قوى إمبرياليّة أكثر مساواة فى القوّة ، تطوّرت الحربان السابقتان ليس كحرّية لجميع الإمبرياليين فى مهاجمة الإمبرياليّين الآخرين دون تفريق ، وإنّما كحروب بين كتلتين من الدول الإمبرياليّة ، فيها كانت التناقضات بين الدول المكوّنة لكلّ كتلة تلطّف مؤقّتا تناقضها المشترك مع الكتلة المنافسة .

أمر واقع أنّ الحرب التى يعدّ لها الإمبرياليّون الغربيّون حرب إمبرياليّة . وتظلّ الحرب مواصلة للسياسة بطرق عنيفة وسياسة هذه البلدان لا يمكن أن تعكس إلاّ نظامها الإقتصادي - الإجتماعي الإمبريالي . و تهيمن على هذه البلدان إحتكارات تصدّر رأس المال ؛ إنّها تنهب المصادر الطبيعيّة للآخرين وتركّز أنظمة رجعيّة وتبحث عن توسيع مجالات تأثيرها . واقع أنّها تقوم بذلك فى تحالف مع الإمبرياليّة الأمريكية لا يغيّر فى شيء أنّها تعمل إنطلاقا من مصالحها الإمبرياليّة " المستقلّة". و كذلك لا يمكن لواقع أنّ هذا التحالف غير متكافئ (أي تحالف إمبريالي ليس كذلك ؟) بأيّة طريقة أن يغيّر طبيعتها الإمبرياليةّ .

و كما وضع ذلك لينين بوضوح تام " بإيجاز نقول إنّ الحرب بين الدول الكبرى الإمبريالية (أي التى تظلم جملة كاملة من الشعوب الأخرى ، و تشيكها فى شباك التبعيّة للرأسمال المالى و ما إلى ذلك) أو **بالتحالف** معها هي حرب إمبرياليّة . وهكذا هي حرب 1914-1916 . إنّ " الدفاع عن الوطن " فى **هذه** الحرب هو خداع ، هو تبرير لها " (**" بصدد الكاريكاتور عن الماركسيّة و بصدد الإقتصادية الإمبريالية "** الأعمال الكاملة ، المجلّد 23 ، ص 34 بالأنجليزيّة ، التشديد من وضع لينين ؛ و بالعربيّة ص 161 من المجلّد السادس من **لينين** ، **المختارات فى 10 مجلّدات** ؛ دار التقدّم موسكو) . هذه القوى

الإمبرياليّة الأصغر لا تخطّط فقط للذهاب إلى الحرب للحفاظ على مصالحها الإمبرياليّة القائمة ضد تهديدات الكتلة المنافسة، إذ هي تأمل كذلك أنّه فى حال إنتصار كتلتها ، سيفسح " التقسيم العالمي " القائم المجال لواحد أكثر مواتاة لها حتّى ضمن المنتصرين(دور الولايات المتحدة فى الحرب العالميّة الثانية فى الإستيلاء على مستعمرات أنجلترا وفرنسا مثال على ذلك).

لدعم حجّتهم ضد اللينينيّة ، يقول التحريفيّون الصينيّون فى مقال معنون بشكل لا يصدّق " إنصاف الدفاع عن الإستقلال الوطني بلدان العالم الثاني كما جاء فى عروض لينين عن " الدفاع عن الوطن " ![!] أعيد نشره فى **مجلّة بيكين** عدد 5 ، 1978) ، إنّ بلدان " العالم الثاني " لم تعد معنيّة ب " مشكل إعادة تقسيم العالم مع القوّتين الأعظم لكن بكيفيّة صيانة إستقلالها و أمنها الخاصين " . و " نتيجة للتطوّر اللامتكافئ للإمبرياليّة ، الكتلة الإمبرياليّة التى تترأّسها الولايات المتّحدة قد إنكسرت ". إزاء هذا نسأل فقط : أيّها السادة ، فى أي "عالم " تعيشون ؟

لم يحاجج لينين أنّه يمكن أن لا توجد حروب قوميّة وسط حرب شاملة ما بين الإمبرياليّات . خلال الحرب العالميّة الأولى، أشار إلى ليس فقط أنّه يمكن أن توجد مثل هذه الحرب فى المستعمرات بل أيضا إلى أنّ فى شرق أوروبا يمكن أن يحدث الأمر بما أنّ المسألة القوميّة ، كما وضع ذلك ، زمنها مسألة راهنة . إلاّ أنّه شدّد مثلا على أنّ :

" إنّ العنصر القومي فى الحرب بين النمسا و صربيا إختبار ثانوي تماما و لا يؤثّر فى الطابع العام الإمبريالي للحرب " (" **ندوة الحزب الإشتراكي الروسي ... مجموعات الخارج** " ، الأعمال الكاملة ، المجلّد 21 ، ص 159 بالأنجليزيّة).

تتّخذ إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " كمنطلق لها الوضع القائم غير الثوري فى البلدان الإمبرياليّة و ضعف القوى الماركسيّة – اللينينيّة (المزيّفة و الحقيقيّة) و مع ذلك ، شدّد لينين بصفة متكرّرة ، خاصة فى ما يتعلّق بالحرب ، على إمكانيّة تغيّر سريع فى المزاج إلى وضع ثوري . وأشار إلى أنّ تفجّر الحرب العالميّة يمكن أن يجلب معه نواة وضع ثوري . كما أشار إلى إمكانيّة توسّع كبير لتأثير الأحزاب الثوريّة على الجماهير بسرعة رغم الإلتواءات و المنعجرات و ربّما حتّى التراجعات فى البداية .

و زيادة على ذلك ، أكّد لينين على أنّ " ما من إشتراكي ضمن فى أيّ مكان من العالم و فى أي فترة من الزمان بأنّ الثورة تنشأ على وجه الضبط من الحرب الحاليّة (لا من الحرب المقبلة) ، من الوضع الثوري الحالي (لا من الوضع المقبل) " (" **إفلاس الأممية الثانية** " ، الأعمال الكاملة ، المجلّد 21 ، ص 216 بالأنجليزيّة ، و بالعربيّة ص 301 من المجلّد الخامس من **لينين** ، **المختارات فى 10 مجلّدات** ؛ دار التقدّم موسكو) . و هاجم سوء إستعمال الذين يستخدمون غياب الضمان هذا للإخفاق فى العمل بلا هوادة من أجل إلحاق الهزيمة ببرجوازيّتهم " الخاصة " فى حال نشوب حرب . كلّ ما تستطيع إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " أن تؤكّده (إذا تبنّاها الماركسيّون – اللينينيّون فى بلدان " العالم الثاني ") سيكون أنّ ثورة مظفّرة لن يمكن حتّى التفكير فيها و أنّ نتيجة الحرب ستدع بروليتاريا أوروبا ليس أقرب بل أبعد ما تكون عن مهمّة الإشتراكية .

<u>الخطر الأساسي السوفياتي</u>

بالرغم من واقع أنّ فى إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " القوّتين الأعظم ، الولايات المتّحدة و الإتحاد السوفياتي ، تُجمع معا كجزء من " العالم الأوّل " و وصفت ب " الأعداء المشتركين لشعوب العالم " ، فى الحقيقة تُحدث هذه الإستراتيجيا ضجيجا عن حول أنّ السوفيات هم " الأخطر " ضمن الإثنين . و يحاجج التحريفيّون الصينيّون حتّى أنّه إذا :

" كنّا لا نزال نضع دون تفرقة القوّتين الأعظم على **حدّ سواء** و نخفق فى تحديد الإتحاد السوفياتي على أنّه المحرّض الأخطر على الحرب العالميّة ، سنمحى فحسب اليقظة الثوريّة لشعوب العالم و نمحى **الهدف الأوّلي** فى النضال ضد الهيمنة " (مقال " العوالم الثلاثة " ، ص 39 ، التشديد مضاف) .

هنا لدينا المسألة فى كلّ عظمتها . القوّتان الأعظم هما العدوّ المشترك ، لكن " الهدف الأوّلي " لشعوب العالم يجب أن يكون الإتحاد السوفياتي . من البديهي تماما أنّ هذا هو التعليل النظري للسياسة التى يتّبعها الحكّام التحريفيون ، سياسة التحالف مع الإمبريالية الأمريكيّة و كتلتها ضد السوفيات .

إنّ أساس وصف الإتّحاد السوفياتي بأنّه " المصدر الأخطر للحرب " هو أنّ السوفيات الذين كانوا فى مرحلة هجوم إستراتيجي ، فرضوا مطلب إعادة تقسيم جديد للعالم يخدم مصلحتهم و بطبيعة الحال ، يكون على حساب الإمبرياليّين الأمريكان و الغربيّين . ومجدّدا ،" يمضى خطّ " الأخطر" مباشرة ضد التعاليم الأساسيّة للينين حول الحرب الإمبرياليّة .

هل هناك أيّ إختلاف بين واقع أنّ الإتحاد السوفياتي فى مرحلة هجوم إستراتيجي ، تحديدا لأنّه يفتقد إلى قسط " عادل " فى تقسيم العالم ، و الوضع السابق للحرب العلميّة الأولى حينما كانت ألمانيا هي التى كانت تدفع بصفة مباشرة و عدوانية أكثرنحو تقسيم جديد للعالم ؟ لا وجود لإختلاف جوهري .

ليس جعل السوفيات " الهدف الأوّلي " لشعوب العالم إلاّ أرضية للدعوة إلى الإبقاء على التقسيم الحالي للعالم الذى تسيطر فيه الإمبرياليّة الأمريكيّة و حلفاؤها الغربيّون على معظم العالم . و فضلا عن ذلك ، بما أنّه ليس بوسع إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " أن تمنع الحرب بين الإمبرياليين من النشوب ، فإنّ كلّ الحديث عن " الأكثر عدوانيّة " و" الأخطر " يحجب ببساطة ما ستكون الطبيعة الطبقيّة لمثل هذه الحرب و يساعد على إعداد الرأي العام لأجل الإمبرياليّين الغربيّين الذين يصرّحون بلا شكّ بأنّهم يقاتلون حربا " دفاعيّة " ضد عدوان السوفيات .

و من المفارقا الهام جدّا أنّ لخطّهم ل " العوالم الثلاثة " تأثير إستلام راية " الصراع الطبقي " و " التحليل الطبقي " للأحزاب التحريفيّة القديمة و هكذا فى الواقع يعزّزون قبضتهم الخادعة على قطاعات هامة من الناس .

لا يمكن لخطر حرب عالميّة أن ينبع من أيّ شيء آخر عدا التنافس بين القوى الإمبرياليّة ، القوى العظمى بوجه خاص ، و من طبيعة النظام الإمبريالي ذاته . و محاولة إلصاق خطر الحرب رئيسيّا بواحدة أو أخرى من القوى العظمى(وكتلها) هو إستهزاء بالتحليل الطبقي و ببساطة جعله مسألة " عدوانيّة " . و هذا ، طبعا ، هو بالضبط الطريق الذى كانت رائدة فيه الأمميّة الثانية بشأن الحرب العالميّة الأولى ، عندما وجدت غالبيّة الأحزاب الإشتراكيّة تعلّة أو أخرى لدعم برجوازيّتها الخاصة فى الحرب ، سواء بصفة علنيّة أو برفض الدعوة إلى هزيمتها فى الحرب . و رفع شعار " الإستقلال الوطني " بالنسبة للإمبرياليين الأوروبيّين إشتراكية – شوفينيّة تامة .

يسعى المدافعون عن إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " إلى إستخدام مقال للينين ، **" حول كرّاس يونيوس "** (الأعمال الكاملة ، المجلّد 22، ص 305 – 319 بالأنجليزية ، و بالعربية ص 258-259 من **" حركة شعوب الشرق الوطنية "** دار التقدّم موسكو) الذى يعرب عن أنّه فى ظلّ جملة من الظروف المغايرة يمكن أن توجد حرب وطنية فى أوروبا – فى تعارض مع حرب إمبريالية – تخوضها " عدد من الدول القوميّة القويّة " ضد قوّة إمبرياليّة كبرى تكون أخضعتها . و قد إعتبر لينين ذلك ليس فقط " بعيد الإحتمال " بل أضاف أنّه " يعنى تطوّر أوروبا إلى الوراء بضعة عقود من السنين " لأنّ مثل هذه الحرب ستظلّ تجد البرجوازيّة فى المقدّمة أو على الأقلّ تأجّل إطاحة البروليتاريا بالبرجوازية .

و فى هذا المقال عينه ، يوضّح لينين جدّا أنّ " الطبقة التى تمثّل التقدّم إلى **الأمام** هي البروليتاريا " و كانت حينها بالنظر إلى الحرب العالمية الإمبريالية الأولى " تنزع بصورة موضوعيّة إلى تحويلها إلى حرب أهليّة ضد البرجوازيّة " . و زيادة على ذلك ، أضاف لينين متحدّثا عن أوروبا الغربيّة بوجه خاص ، " لأنّ رأس المال المالي العالمي قد أنشأ البرجوازية الرجعيّة في كلّ ناحية . " و هو يشدّد على أنّ تحوّل الحرب العالميّة الأولى إلى حرب وطنية فى أوروبا كان " بعيد الإحتمال كلّيا " ، أشار لينين كذلك فى مقاله إلى أنّ " و لا يستطيع أن يمحو الفرق بين الحرب الإمبريالية و الحرب الوطنيّة إستنادا إلى أنّ إحداهما قد تتحوّل إلى الأخرى غير السفطائي " .

يمكن رؤية أنّه من جملة الظروف " المختلفة إلى درجة كبيرة " التى قال لينين أنّها ينبغى أن توجد من أجل أن تحدث حرب وطنية (حقيقية) فى أورورِبا ، لا تنطبق على الوضع فى البلدان الإمبريالية الغربيّة لما يسمّى " العالم الثاني " . و بالفعل ، إن كان المرء ليتفحّص المعيار العملي الذى وضعه (تحديدا " إذا إذا ما ظهرت البروليتاريا الأوروبيّة عاجزة فى غضون 20سنة ؛ وإذا ما إنتهت الحرب الحاليّة بإنتصارات كالإنتصارات النابليونيّة و بإسعباد جملة من الدول القوميّة الزاخرة بالحيويّة ...") يمكن للمرء أن يستنتج فقط أنّ هذه البلدان يجب أن تخوض " حربها الوطنية من أجل الإستقلال " ضد الإمبرياليّين الأمريكان وهو أمر كما نعلم جميعا هو آخر شيء يحاجج من أجله التحريفيّون الصينيّون (على الأقلّ فى الوقت الحالي) .

جبهة متّحدة من أجل ماذا ؟

و نعود إلى المسألة المثارة آنفا ، ما الغاية من إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " ؟ لم يدّعى أبدا المدافعون عن إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " أنّها إستراتيجيا للثورة بل بالأحرى لبناء جبهة عالميّة متّحدة ضد الهيمنة . و هكذا تصبح مهمّة النضال العالمي ليست القتال من أجل الثورة البروليتاريّة و ليست مقاتلة الإمبريالية بل ببساطة القتال ضد مظهر من مظاهر الإمبرياليّة ألا وهو نزوع القوى العظمى (إقرأوا السوفيات) نحو الهيمنة العالميّة . كيف يمكن إلحاق الهزيمة ب" الهيمنة" دون الإطاحة بالإمبرياليّة و الرأسماليّة الإحتكاريّة مسألة يفضّل المدافعون عن العوالم الثلاثة تجاهلها .

إنّ المحتوى البرنامجي ل " الجبهة المتّحدة ضد الهيمنة " بالنسبة لإمبرياليي الولايات المتحدة خطوة إلى الأمام فى تصعيد تحضيراتهم للحرب ، وبالنسبة للقوى الإمبرياليّة المقهورة مثل ألمانيا و فرنسا و اليابان هي تمتين وحدتها مع بعضها البعض و مع الولايات المتّحدة خاصة ، على أساس معارضة الإتحاد السوفياتي و من أجل مزيد الخطوات العريضة فى جعل كلّ نظام رجعي ممكن فى " العالم الثالث " يصطفّ إلى جانب الكتلة التى تقودها الإمبريالية . إنّ دور " الماركسيّين - اللينينيّين " ، حسب هذه النظريّة ، هو محاولة خداع الجماهير لجعلها تؤمن بأنّ السياسة الإمبرياليّة فى مصلحتها فتصبح من المهلّلين للطبقات الرجعيّة الحاكمة .

ما فتأ النظام الجديد فى الصين يقوم بمساهماته فى دعم هذا الحالف الإمبريالي . أوّلا و قبل كلّ شيء ساعدوا الإمبرياليّين بحلولهم محلّ خروتشوف و محاولتهم لعب دور رجال المطافئ للحركات الثوريّة حول العالم . و تأتى الزيارة الأخيرة لهواو كوفينغ لإيران وسط نهوض ثوري قويّ مثال جيّد و مناسب عن إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " فى الممارسة العمليّة. لقد مدح نظام الشاه و أعطى مصداقيّة لكذبة أنّ السوفيات وراء التمرّد الجماهيري الجاري . (أنظروا مجلّة " **الثورة** " ، أكتوبر 1978 و بالذات المقال على الصفحة 17).

و قد أبحر الصينيّون أيضا إلى درجة هامة فى بناء " الوحدة " مع " العالم الثاني " ، ممضين إتفاقيات إقتصادية متنوّعة ليس بوسعها إلاّ أن تقلّص الصين إلى التبعيّة للإمبريالية مرّة أخرى ، إلى درجة أنّ الملاحظين البرجوازيّين الغربيّين أشاروا إلى الصين على انّها " عضو غير رسمي فى الناتو " .

بالفعل ، و حين ينزع كلّ الكلام الفارغ عن إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " نلفى أنّها ليست سوى مخطّط يهدف إلى التقدّم بما يعتبره القادة التحريفيّون الصينيّون مصالحهم القوميّة الخاصة . وبما أنّ التحريفيّين الصينيّين يرتؤون الخطر الأكبر ، حاليّا، على أنّه ينبع من الإتحاد السوفياتي ، وبما أنّهم يشتهون شهوة شديدة التقنية الغربيّة لتطبيق "التعصيرات الأربعة " على أساس رأسمالي ، قد طوّروا " إستراتيجيا " عالميّة ستجعل كامل الحركة الشيوعية العالميّة مجرّد ذيل لسياستهم الخارجيّة الرجعيّة .

وقد صار هذا بديهيّا فى مقال من مجموعة تسمّى نفسها شيوعيّين فى البراغواي و التى كتبت :

" بلوغ تعصير الصين بسرعة فائقة و تقوية دفاعها القومي بإستمرار هما الضمانان الأهمّ و الذين يمكن التعويل عليهما كي تهزم الحركة الثوريّة للجماهير فى كلّ البلدان على المدى الطويل الأعداء الأساسيّين للشعب عبر العالم – القوّتين الأعظم."

و يسترسل المقال فى نقد كلّ الذين يتجرّؤون على وضع القيام بالثورة فوق " المسيرة الكبرى " الجديدة للصين نحو الرأسمالية على أنّ موقفهم " محلّية ضيّقة ". والأكثر دلالة ليس ما قاله هذا المقال وإنّما أنّه نُشر فى **مجلّة بيكين** (عدد 28، 1978).

لا شكّ فى أنّ منظّري " العوالم الثلاثة " يؤمنون حقّا بأنّ بإيقاظ الغرب على مصالحه الإمبريالية الخاصة و بالفعل بتحالف تام على نطاق واسع معه ، يمكن للصين أن تتجنّب مواجهة التهديد العسكريّ السوفياتي بضربة واحدة . لقد كان يحدوهم الأمل بأنّ نتيجة الحرب العالميّة الثالثة ستكون انتصار " حروب التحرّر الوطني " وضد " العدوان " التى يخوضها الإمبرياليّون الغربيّون و أنّهم بوسعهم الخروج منها نسبيّا دون إصابات بضرر . وعلاوة على ذلك ، كانوا يأملون أنّ " نظاما إقتصاديّا جديدا " حقّا يمكن أن يظهر تكون فيه الصين قادرة على لعب دور " القوّة العظمى للعالم الثالث " و هم اليوم بعدُ قد شرعوا (لنستعير كلمات إحدى قصائد ماو) فى " الإختيال كأمّة كبرى " فى تعاطيهم مع الذين يعتبرونهم أضعف منهم (قطعهم الخبيث للمساعدة على ألبانيا خير دليل على ذلك).

لكن هذا السيناريو ليس غير حلم البرجوازية الصينيّة . و الطريق الفعلي الذى يتّبعونه ، لا سيما نظرا لظروف الصين التى لا تزال متخلّفة ، لن تؤدّي إلى ظهورها كقوّة كبرى بل ستجعلها مرّة أخرى أرض يرتع فيها الإمبرياليّون . إنّها إستراتيجيا من أجل الإستسلام الوطني ، و كذلك من أجل إعادة تركيز الرأسمالية .

و يؤكّد مقال " العوالم الثلاثة " صراحة أنّه " ستوجد إصطفافات مختلفة للقوى السياسيّة العالميّة فى مختلف الفترات " (صفحة 7) . و يترجم هذا ليعني أنّ المصالح الراهنة للصين تتطلّب نظرية " العوالم الثلاثة " بينما المصالح المستقبليّة يمكن أن تعني جيّدا أنّ نظريّة إنتهازيّة أخرى بعدُ يمكن أن تقدّم لتبرير منحى آخر - بصفة خاصة إمكانيّة إستسلام الصين للإمبرياليّين – الإشتراكيّين السوفيات (نقطة سنعود إليها لاحقا فى مقالنا هذا) .

و يشدّد التحريفيّون الصينيّون على أنّ إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " ليست مسألة الدفاع عن الصين ضد السوفيات ، بل إنّها تعكس بدقّة الوضع العالمي الحالي و حاجيات الثورة العالميّة . لكن بتقديم هذا التصريح كلّ ما يقومون به هو إحلال مصالحهم البرجوازية الخاصّة محلّ النضال الثوري العالمي .

تاريخ " العوالم الثلاثة "

و بالرغم من محاولات التحريفيّين الصينيّين وبعض الآخرين كذلك إعتبار" العوالم الثلاثة " " مفهوما إستراتيجيّا " لماو ، فإنّ مثل هذه الخدعة لن تنطلي علينا . والدليل الأكثر تعبيرا هو أنّ ماو لم يسر وراء إستراتيجيا " العوالم الثلاثة "هو أنّ حياته برمّتها كانت حياة ثوري . و كتابات ماو حول الوضع العالمي جميعها منسجمة مع المبادئ اللينينيّة و عمليّا وقف على الدوام إلى جانب النضالات الثوريّة فى كلّ أنحاء العالم .

و فى حين أنّه ليس بإمكان حكّام الصين التحريفيّين أن يبيّنوا أيّة أدلّة على أنّ ماو ابدا إعتبر " العوامل الثلاثة " على أنّها " إستراتيجيا عالميّة جديدة للبروليتاريا العالمية و الشعوب المضطهَدَة "(مقال " **العوالم الثلاثة** " ، ص 21) هناك كلّ الأدلّة على انّ تحليله للنضال الثوري العالمي لم يكن معتمدا على " العوالم الثلاثة " و إنّما بالأحرى على الأربعة تناقضات فى العالم . وهذه التناقضات الأربعة هي حجر الزاوية فى نوع الخطّ العالمي الذى طوّره لينين وستالين و ناضل من أجله ماو و ماركسيّون – لينينيّون آخرون عبر العالم فى القتال ضد التحريفيّة الخروتشوفيّة . لقد وُضعت بصيغة مقتضبة فى تقرير المؤامر التاسع (الذى وإن قدّمه لين بياو فإنّه كان ضد إرادته ، و مثلما وقعت الإشارة إلى ذلك فى المؤتمر العاشر، كان تقرير المؤتمر التاسع عمليّا يعرض خطّ ماو تسى تونغ و ليس خطّ لين بياو) . لقد وضع تقرير المؤتمر التاسع الأمر على هذا النحو :

"...العالم المعاصر يعرف أربع تناقضات كبرى: التناقض بين الأمم المضطهدة وبين الإمبريالية والإمبريالية-الإشتراكية ؛ التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية في البلدان الرأسمالية و التحريفية ؛ التناقض بين البلدان الإمبريالية و الإمبريالية – الإشتراكية ؛ والتناقض بين البلدان الإشتراكية و بين البلدان الإمبريالية والإمبريالية - الإشتراكية."

(https://sites.google.com/site/maoforarab/party-9)

و من المهمّ أن نلاحظ أن " العوالم الثلاثة " لم تقدّم أبدا كإستراتيجيا و أقلّ من ذلك تنسب لماو ، طوال حياته . و خطاب دنك سياو بينغ أمام الأمم المتّحدة فى 1974 (الذى يقف دون التصريح العلني بأنّ " العوالم الثلاثة " إستراتيجا عالميّة ل " الثورة ") لا يحاول بأيّة صفة أن ينسب نظرية " العوالم الثلاثة " إلى ماو . و عقب وفاة ماو ، لا بيان اللجنة المركزيّة التى عدّدت مساهمات ماو فى الماركسيّة – اللينينيّة و الثورة ، و لا بالمناسبة ، خطاب هواو كوفنغ التأبيني (و هو بديهيّا نتاج صراع اللجنة المركزيّة و يعكس بالأساس خطّ ماو ، و ليس خطّ هواو) أشار إلى نظريّة " العوالم الثلاثة " .

كذلك يؤكّد دستور الدولة المتبنّى سنة 1975 (قبل الإنقلاب) على الأمميّة البروليتاريّة و دعم نضالات الأمم و الشعوب المضطهَدة و لا يشير إلى " العوالم الثلاثة " ، بينما الدستور الجديد المتبنّى من قبل التحريفيّين يجعل من خطّ " العوالم الثلاثة " أساس " الأممية البروليتارية " والعلاقات مع الآخرين فى العالم .

و فى ذات الأسبوع الذى كان فيه دنك سياو بينغ يلقى خطابه أمام الأمم المتّحدة ، أشار وانغ هوان وانغ ، واحد ما تسمّى ب " مجموعة / عصابة الأربعة " و أحد أقرب رفاق ماو فى السلاح ، فى خطاب له أثناء زيارة وفد من كمبوديا : " فى المدّة الأخيرة ، علّمنا الرئيس ماو أيضا : إنّنا شيوعيّون و يجب أن نساعد الشعوب ؛ و ستمثّل عدم مساعدة الشعوب خيانة للماركسيّة " (**مجلّة بيكين** ، عدد 5 ، 1974) . فكان هذا موقفا واضحا جدّا يذهب ضد كامل التوجّه الذى كان دنك سياو بينغ و شو آن لاي يتبعانه فى السياسة الخارجيّة .

و أخيرا ، يجب أن نلفت النظر إلى أنّ الحكّام الحاليّين للصين لم يقدروا على إخراج أكثر من مقولتين أشار فيهما ماو إلى " العوامل الثلاثة " و لا واحدة منهما بأيّة طريقة تمثّل نوعا من " الإستراتيجيا العالمية " . و من كلّ هذا يمكن رؤية أنّ إلصاق نظريّة " العوالم الثلاثة " بماو عمليّة تزوير فظيع .

و بعد سنتين من الإنقلاب التحريفي ، يمكن أن نجد أمثلة لا تحصى و لا تعدّ عن كون الحكّام الجدد يحرّفون صراحة مقولات ماو ويخرجونها عن سياقها ليجعلوها تبدو كما لو أنّه يحاجج ضد خطّه الثوري الخاص . ويفعلون هذا حتّى مع مقالات معلومة بأكملها. هل يمكن أن يوجد أيّ سبب للشكّ فى أنّ هذا النوع من تشويه المقولات ينطبق أكثر فى حال أنّهم " يستشهدون " بنصوص ينسبونها لماو و يقولون إنّها لم تُنشر بعدُ حتّى ؟

و مع ذلك ، من الجليّ أن ماو تسى تونغ و اليسار الثوري الذى كان يقوده ميّزوا أحيانا البلدان إلى ثلاث مجموعات عريضة أو "عوالم " . و من الهام أن نوضّح ما كان يقصده ماو و الأربعة بذلك و ما الذى كانوا يحاولون تحقيقه .

بداية ، لقد قيّم ماو تقييما صحيحا أنّ فى عالم اليوم ثمّة قوّتان إمبرياليّتان عظيمتان هما الولايات المتحدة و الإتحاد السوفياتي و أنّ النزاع بينهما كان يؤدّى إلى الإتّجاه نحو حرب عالميّة . وقليلون من سينكروا أنّ هناك بعض الصلوحيّة فى ملاحظة هذا الإختلاف الموضوعي بين القوى العظمى و القوى الإمبرياليّة الأصغر أو واقع أنّ ، فى الحاضر ، فقط القوّتان الأعظم القادرة على تروّس كتلة إمبريالية لخوض الحرب العالميّة – دون طبعا ، تجاهل الهويّة الجوهريّة للنظام الإجتماعي لكافة الدول الإمبرياليةّ .

و كذلك ، لاحظ ماو واقع أنّ تناقضات النظام الإمبريالي العالمي كانت ، فى الفترة التالية للحرب العالميّة الثانية ، أحدّ فى بلدان آسيا وأفريقيا و أمريكا اللاتينيّة - " العالم الثالث "- و انّ فى هذه البلدان كانت تخاض أهمّ المعارك الثوريّة . و كما شدّد على ذلك ماو فى الجدالات مع خروتشوف فى بدايات ستينات القرن الماضي ، " مركز إعصار " الثورة العالميّة قد تحوّل من الغرب إلى الشرق (و أشار أيضا إلى أنّ " مركز الإعصار " هذا يمكن أن يتحوّل وسيتحوّل مرّة أخرى إلى الغرب عندما تنضج ظروف الثورة البروليتاريّة فى البلدان الإمبريالية) .

كان هذا تحليلا هاما ، لأنّه يذهب ضد التحريفيّين السوفيات الذين أرادوا أن يطفئوا مشاعل نضال التحرّر الوطني و الذين إستهانوا بدلالتها بالنسبة للنضال الثوري العالمي ، مدافعين بدلا من ذلك عن أنّ التناقض الرئيسي فى العالم كان بين الكتلتين الإشتراكية و الرأسمالية و مستعملا هذه الصيغة لمحاولة ربط النضالات الثوريّة بمصالح (البرجوازية الجديدة) كطبقة حاكمة للإتحاد السوفياتي .

و قد لاحظ ماو أيضا واقع أنّ كافة بلدان آسيا (بإستثناء اليابان) و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة تتقاسم تاريخا مشتركا من الإستعمار و الهيمنة الإمبرياليّة و من ثمّة لها بعض المظاهر المشتركة بالرغم من الإختلافات العميقة فى عديد الأوجه . و لاحظ واقع أنّ إلحاق الهزيمة بالإمبريالية ، لا سيما على يد شعوب الهند الصينيّة ، و مع إشتداد الأزمة الإمبرياليّة ، كانت عديد الأنظمة فى بلدان " العالم الثالث " تتّخذ بعض الخطوات ،على أنّها جزئيّة و تتوقف لطبيعتها ، فإنّ ذلك قد وجّه ضربات موضوعيّا للإمبرياليّين أو على الأقلّ وضع حجرات عثرة فى طريقها . و حاجج ماو بأنّ مثل هذه الخطوات يمكن و يجب أن تلقى المساندة ، لا سيما من قبل البروليتاريا فى السلطة .

بهذا النوع من التوجّه ، وافق ماو على محاولات الصين أن ترسي علاقات دبلوماسيّة وغيرها من العلاقات مع أنواع مختلف من بلدان " العالم الثالث " . و مظهر هام من هذه السياسية كان إلحاق الهزيمة بجهود الإمبرياليّين فى إرساء حصار دبلوماسي على شعوب جمهوريّة الصين ، وهي سياسة تداعت مع القبول بالصين فى الأمم المتّحدة . و كانت الصين تستخدم أيضا علاقاتها الدبلوماسيّة مع أنواع من أنظمة العالم الثالث سعيا منها لكسبها لدعم النضالات الثوريّة المفاتيح ، ومثال بارز على ذلك هو حملة جعل هذه الأنظمة تعترف بالحكومة الثوريّة فى كمبوديا خلال حرب الهند الصينيّة أو على الأقلّ تدعم القبول بها فى الأمم المتّحدة .

وقدّمت الصين مساندة صلبة للبلدان العربيّة التى أقامت مقاطعة نفطيّة أثناء حرب 1973 مع إسرائيل و لاحقا ساندت جهود بلدان الأوبيك فى مطالبتها بترفيع فى أسعار النفط الخام . و كذلك ، ساندت الصين جهود بلدان " العالم الثالث " فى المطالبة ب 200 ميل كحدود فى المحيط قصد الحفاظ على أسماكها وحركات مشابهة لمقاومة الهيمنة الإمبرياليّة .

عند إتّخاذ هذه الخطوات ، لم يحاجج ماو قط أنّ المهمّة الأساسيّة لكسب التحرّر الوطني فى هذه البلدان قد ألغيت ، بالعكس، إستمرّ الصينيّون فى تقديم الدعم حتّى فى تلك الحالات (مثل الفلبين) حيث أرسوا علاقات مع النظام الرجعي الذى كانت النضالات موجّهة ضدّه . بسلوك هذه السياسة ، كان ماو يتّبع تماما الممارسة المركّزة لزمن طويل فى صفوف الدول الإشتراكيّة . وعقد لينين والسوفيات مثلا ، إتّفاقيّات عديدة مع جمهورية وايمير فى جمهوريّة ألمانيا ما بعد الحرب العالمية الأولى ، بينما كانوا يدعمون الإنتفاضات التى جدّت هناك .

ومن الواضح أيضا أنّ ماو تسى تونغ وافق على السياسة العامة ل" الإنفتاح على الغرب " التى بدأت تتّخذ شكلها التام مع زيارة نكسون إلى الصين سنة 1972 . و بالقيام بذلك ، كان ماو يردّ خاصة على الواقع الواضح بأن الإتحاد السوفياتي كان يمثّل التهديد الأساسي المباشر لأمن الصين . و قد عكست زيارة نكسون قبل كلّ شيء إخفاق جهود إمبرياليي الولايات المتحدة فى محاصرة الصين . و كون ماو حاجج من أجل إرساء علاقات مع الإمبرياليّين الأمريكان و إستخدام التناقض بين القوّتين الأعظم ليس بالتأكيد نوعا من دوس المبادئ وهو بالفعل يحذو حذو السياسة الخارجيّة للإتحاد السوفياتي فى ظلّ لينين و ستالين .

الصراع حول الخطّ الأممي

و فى نفس الوقت ، من الواضح أنّه أثناء كامل هذه الفترة وُجد صراع شديد فى الصين حول مواصلة أو عدم مواصلة الثورة أو تبنّى خطّ تحريفي يؤدّى إلى التراجع إلى الرأسماليّة . و قد إنعكس هذا الصراع فى معركة حول الخطّ العالمي و السياسة الخارجيّة .

ومن بداية سبعينات القرن الماضي ، كان اليمين بقيادة شو آن لاي يبحث عن نوع من الإستسلام للإمبريالية كان يجرى تحت يافطة نظريّة " العوالم الثلاثة " . فبالنسبة لهم ، لم تكن زيارة نكسون و " الإنفتاح على الغرب " مسألة إستغلال للتناقضات بين القوى العظمى و رجعيّين آخرين بل محاولة لجعل الصين تتحالف مع كتلة الإمبريالية الأمريكيّة و ترتهن بها .

لقد حاججوا من أجل دعم الحركات الثوريّة آملين تقوية هذا التحالف . و بالتالى كان تصريح ماو ب " ستمثّل عدم مساعدة الشعوب خيانة للماركسيّة " الذى صدر بالذات زمن كان دنك يعدّ خطابه أمام الأمم المتّحدة ، يكتسى دلالة مميّزة . و كذلك هو شأن المقال (الذى كان يعرض بجلاء خطّ ماو و الأربعة) الذى كتب خلال حملة " نقد لين بياو و كنفيشيوس " و الذى تضمّن صفعة لل" خطّ التحريفي " الساعي إلى " تقليص دعم و مساندة النضالات الثوريّة للشعوب من بلدان مختلفة " (**" التاريخ يتطوّر فى شكل لولبي " ، مجلّة بيكين** ، عدد 43 ، 1974).

و كذلك ، شدّد اليسار على موضوع الخيانة الوطنيّة ، و على الإستسلام للإمبرياليّة و خيانة النضالات الثوريّة فى عديد المقالات التى كانت تهدف إلى تعبأة الشعب ضد اليمين . و كان هذا صحيحا بوجه خاص بصدد حملة نقد قصّة " واتر مارجين " التى كانت موجّهة بشكل خاص من قبل ماو ذاته ضد الإستسلام .

ومع ذلك ، كان لليمين تأثير معتبر أثناء هذه الفترة ، بما فى ذلك السيطرة على وزارة الشؤون الخارجيّة و قسم العلاقات التابع للجنة المركزيّة (و كانت مهمّته الحفاظ على العلاقات مع الأحزاب الماركسية – اللينينية الشقيقة و الذى تحوّل إلى أكثر بقليل من تابع لوزارة الخارجيّة) . لقد مضى هؤلاء الناس إلى أبعد من التحرّكات المحدودة التى كان ماو مستعدّا لإتّخاذها فى " الإنفتاح على الغرب " وفى تشجيع أنظمة بلدان " العالم الثالث " على مقاومة بعض ممارسات الإمبرياليين.

ولنأخذ مثال الشيلي . ففى 1973 أطاح إنقلاب السى آي آي بنظام آلندى و ساد رعب دموي ضد الجماهير الثوريّة والمنظّمات الثوريّة . لقد وقعت مجزرة فى حقّ ثلاثين ألف شخص . وردّا على ذلك ، أدان الثوريّون و التقدّميّون عبر العالم جرائم الإمبرياليّين الأمريكان و عميلهم ، بينوشى . و كان ردّ الصينيّين مقرفا تماما . إذ خرج شو آن لاي بموقف ضعيف أرسله إلى زوجة آلندى ، دون أي تنديد بالولايات المتحدة .

و المقالات فى الصحافة الصينيّة (و يجب الإشارة إلى أنّه بينما كانت الصحافة عموما بيد القيادة الثوريّة ، كانت تغطية الشؤون الخارجيّة متأثّرة تأثيرا كبيرا بوزارة الخارجيّة) لم تندّد بالنظام الشيلي أو بجرائمه ضد الشعب .

و بينما كانت المجازر لا تزال جارية ، أسرع شو آن لاي ليكون ضمن أوّل مصافحى نظام بينوشى و من ثمّة منحه إعترافا دبلوماسيّا . و بالرغم من أنّه لا وجود لشيء خاطئ فى إرساء علاقات دبلوماسيّة مع أنظمة رجعيّة ، فإنّ هذه الحركة كانت طعنة فى الظهر خبيثة لنضال الشعب الشيلي و تمّت رؤيتها كذلك عبر كامل أمريكا اللاتينيّة و العالم بالضبط فى زمن كان فيه الملايين ينظرون إلى الصين و يتوقّعون منها أن تقف إلى جانب النضال الثوري . لم تخدم حركة شو آن لاي إلاّ الإشارة إلى نيّته تجاه الأنظمة الرجعيّة عبر العالم : لا نهتمّ بالثورة فى بلدانكم طالما كنتم تعارضون السوفيات ! كما لو أنّ بينوشى أو داعميه من السي آي آي كانوا يحتاجون أيّ تشجيع من الصينيّين لمعارضة الإتّحاد السوفياتي . كلّ هذه الحلقة المقرفة لم تفعل سوى تعزيز يد السوفيات و الأحزاب التحريفيّة عبر أمريكا اللاتينيّة ، بما أنّ الثوريّين قد تملّكهم القرف عن حقّ من الخيانة التحريفيّة الصينيّة .

لكن رغم واقع أنّ التحرّكات المعادية للثورة التى جرت بإسم " السياسة الخارجية للرئيس ماو " حتّى بينما كان على قيد الحياة ، بشكل عام ظلّ الخطّ الأمميّ للحزب الشيوعي الصيني خطّا ثوريّا . و دون شكّ ، كانت هذه المسألة مثارة بعمق فى الصراع الذى كان يخوضه ماو و الأربعة ضد اليمين فى ذلك الوقت بالذات .

و كون الحزب الشيوعي الصيني لم يقدر أبدا على صياغة وثيقة شاملة حول الوضع العالمي خلال الفترة السابقة لوفاة ماو دليل فى حدّ ذاته على أنّه يجب أن يكون قد وُجد صراع حاد حول المسألة . و علاوة على ذلك ، يقول لنا التحريفيّون الصينيّون أنفسهم فى مقال " العوالم الثلاثة " :

" فى بلادنا نحن ، هناك أشخاص يعارضون صراحة نظريّة الرئيس ماو حول العوالم الثلاثة . و هؤلاء ليسوا سوى وانغ هوان وانغ و تشانغ تشن – تشياو و تيانشغ تشنغ و ياو وان يوان ، أو " عصابة الأربعة ". رافعين راية أكثر " ثوريّة " ، عارضوا دعم الصين للعالم الثالث كما عارضوا جهود الصين لتوحيد كلّ القوى التى يمكن توحيدها و عارضوا الصفعات التى وجّهناها إلى العدوّ الأخطر . و حاولوا بلا طائل أن يخرّبوا بناء جبهة متّحدة عالميّة ضد الهيمنة و عرقلوا نضال الصين المعادي للهيمنة ، مقدّمين خدمة جليلة للإمبرياليّة – الإشتراكيّة السوفياتيّة . " (ص 24)

و إسترسلوا ليشيروا إلى أنّ " عصابة الأربعة " يلعنون نظريّة العوالم الثلاثة " . إنّ كلّ نقد سياسي كبير لما يسمّى ب " عصابة الأربعة " هو عمليّا موجّه إلى الخطّ الثوري لماو تسى تونغ ذاته والحال هنا لا يشذّ عن القاعدة . إنّ هجوم التحريفيّين على الأربعة إشارة أخرى إلى أنّ ماو (و معه الأربعة) قاتلوا أتباع الطريق الرأسمالي بصدد هذه المسألة مثلما قاتلوهم فى كلّ المسائل الأخرى .

و مثلما تمّ التعريج على ذلك قبلا ، فى محاولتهم عرض " المفهوم الإستراتيجي " لماو للعوامل الثلاثة ، لم يستطع التحريفيّون الصينيّون أن يوفّروا عدا مقولتين حيث يستخدم عمليّا تلك الكلمات ، الأولى ببساطة لوصف الثلاث مجموعات من البلدان عامة و الأخرى يؤكّد فيها :

" تنتمى الصين إلى العالم الثالث . و ذلك لأنّ الصين لا يمكن أن تقارن بالبلدان الغنيّة و القويّة سياسيّا و إقتصاديّا إلخ . يمكن ضمّها فقط إلى البلدان الفقيرة نسبيّا " (مقال " العوالم الثلاثة ") ص 51).

فى هذه المقولة ماو ليس يمحى أبدا الإختلاف بين البلدان الإشتراكيّة و تلك التى لا تزال فى ظلّ حكم البرجوازيّة و الملاّكين العقّاريين فى " العالم الثالث " . ما يقوم به هو المحاججة ضد الذين يقارنون الصين باليابان و البلدان الأوروبيّة (أو الولايات المتّحدة) و يسعون إلى إيجاد خطإ فى النظام الإشتراكي فى الصين إذا لم يستطع اللحاق بهذه البلدان إقتصاديّا فى فترة زمنيّة وجيزة . بالفعل ، هذه المقارنة هي التى يصدح بها بوق دعاية القادة الحاليّين للصين ، موبّخين " عصابة الأربعة " و فى الواقع ماو نفسه ، على إبقاء الصين متخلّفة بخطّهم الثوري الذى ظلّ يتدخّل فى الإنتاج. لقد كانت هذه المسألة برمّتها مسألة صار ماو واضحا بشأنها مع تطوّر الثورة الإشتراكية وخاصة الثورة الثقافيّة . و قد حاجج بأنّ التخلّف النسبيّ للصين نتيجة الظروف الإجتماعيّة الموروثة من الصين القديمة التى نهبتها الإمبريالية وأنّ " مسيرة التعصير بالقوّة" التى كانت تهدف إلى الإلتحاق بالغرب إقتصاديّا فى فترة زمنيّة وجيزة ستؤدّى إلى إدخال جملة كاملة من الممارسات الرأسماليّة و كذلك إلى الفشل . هذا هو فهمنا لتصريح ماو بأنّ " الصين تنتمى إلى العالم الثالث " .

هل إرتكب ماو و الأربعة أخطاء فى تكريس خطّهم الأممي الثوري ؟ مثلما وضع ذلك بوب أفاكيان ، رئيس اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الثوري أثناء إجتماعات الذكرى الثانية لوفاة ماو :

" إجمالا ، إذن ، الخطّ الذى قاتل ماو – و الأربعة – من أجله فى ما يتّصل بمسألة معالجة التناقض بين الدفاع عن الصين من جهة و التقدّم بالثورة فى البلاد و دعم النضال الثوري عبر العالم من الجهة الأخرى ، كان صحيحا . لكن فى التعاطى مع هذه المسألة الصعبة و المعقّدة للغاية ، إرتكبوا بعض الأخطاء ، خاصة خطأ تبنّى تحليل الإتّحاد السوفياتي على أنّه أخطر مصدر للحرب ، على أساس مشابه لذلك الذى صرّح على قاعدته ستالين بأنّ الدول الفاشيّة هي العدوّ الأساسي خلال أواخر ثلاثينات القرن العشرين . و قد عزّز هذا الخطأ إلى حدود معيّنة التحريفيّين فى الصين الذين كانوا – و لا زالوا – يحاججون بأنّ الخطر السوفياتي على الصين يبرّر و يتطلّب محو الثورة فى الداخل و فى الخارج . و هذا النوع من الأخطاء من قبل الثوريّين قد وُجد كما تمّت الإشارة إلى ذلك ، فى صفوف الحركة الشيوعيّة العالميّة و يعود إلى ثلاثينات القرن الماضي و هناك حاجة حقيقيّة لتلخيصه ونقده بصورة أشمل لأجل تجنّب الوقوع فيه مستقبلا . " (**" خسارة الصين و الإرث الثوري لماو تسى تونغ "** ، ص 114 ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، 1978) .

سبب إعتقاد الحزب الشيوعي الثوري أنّه من الخطإ نعت الإتحاد السوفياتي بأنّه " مصدر الحرب الأخطر " قد وقع عرضه سابقا . زمنها ، كان من الصحيح أن يعترف ماو بأنّ التهديد الأساسي بالهجوم على الصين يتأتّى من الإمبرياليّين – الإشتراكيّين السوفيات و أن يبذل جهودا دبلوماسيّة كجزء من التعاطى مع هذا الخطر .

لم يكفّ ماو و الأربعة قطعا عن دعم النضال الثوري ضد الولايات المتحدة و حلفائها الإمبرياليّين الغربيّين حتّى بينما كانت بؤرة تركيزهم فضح السوفيات و الإحالة على هؤلاء على أنّهم " المصدر الأساسي للحرب " . فى السنوات القليلة الأخيرة من حياة ماو ، فى ما يتّصل بالنضالات التى كانت تستهدف الولايات المتحدة و الغرب فى بعض مناطق العالم حيث كان السوفيات يعملون على إحراز إختراقات ، كان الصينيّون غالبا ما يعقدون المقارنة الآتى ذكرها : و نحن نقاتل الذئب فى الباب الأمامي ، علينا أن نكون يقظين تجاه النمر بالباب الخلفي . و هذا التشبيه (الذى تتخلّله فى حدّ ذاته بعض نقاط الضعف)

كان يهدف إلى تشجيع يقظة القوى الثوريّة تجاه السوفيات الذين كانوا يحاولون إستخدام النضال لغاياتهم الإمبرياليّة الخاصة. و بعد الإنقلاب التحريفي ، لم يعد يقع التشديد على هذا الموضوع ، بالضبط مثلما لم تعد الصين تدعم حقيقة النضالات ضد الإمبرياليّين و الرجعيّين فى الغرب . الآن النصيحة هي الإلتحاق بمجموعة الذئب لقتال النمر.

و مهما كانت الأخطاء التى يمكن أن يكون إقترفها ماو و الأربعة ، لا شكّ لدينا فى أنّ الأربعة و ماو قد لعنوا نظرية العوالم الثلاثة كما تجرى صياغتها حاليّا من قبل الحكّام التحريفيّين الذين كانوا بداهة يقاتلون و يسعون إلى تطبيق هذا الخطّ طوال كامل المدّة التى كان فيها ماو يقود النضال ضدّهم .

الحزب الشيوعي الثوري و نظريّة العوالم الثلاثة

فى مؤتمره الثاني بدايات 1978 ، إستخلص الحزب الشيوعي الثوري أنّ نظريّة " العوالم الثلاثة " كانت معادية للثورة . و قد تمّ بلوغ هذا الإستنتاج كجزء من نضال عام لبلوغ خطّ صحيح حول طبيعة الحكّام الحاليّين للصين و إنقلابهم فى أكتوبر 1976 . (من أجل المزيد ، أنظروا مجلّة " **الثورة** " ، سبتمبر 1978)

منذ فترة تأسيس الحزب الشيوعي الثوري (و الإتحاد الثوري الذى نهض بدور مركزي فى تأسيسه) ، نظر الحزب إلى التجربة التى كسبتها الثورة فى الصين و المساهمات العظيمة لماو تسى تونغ و إستلهم منها أفكارا و إستقى فهما .

و بخصوص مسألة الخطّ العالمي للحركة الشيوعيّة ، إتّخذ الحزب موقفا متّفقا عليه يتناسب و موقف الحزب الشيوعي الصيني المتطوّر فى خضمّ الصراع ضد التحريفيّين الخروتشوفيّين و تطوّر أكثر مع ظهور الإتحاد السوفياتي كقوّة إمبرياليّة عظمى و نموّ خطر حرب جديدة للإمبرياليّين بين القوّتين الأعظم .

و تعلّم حزبنا الكثير من تحليل ماو تسى تونغ بأنّ الرأسماليّة أعيد تركيزها فى الإتّحاد السوفياتي و أنّ المسألة ليست مجرّد مسألة معارضة التحريفيّة (كخطّ هناك) . و كما وضع ذلك ماو ، " صعود التحريفيّة إلى السلطة يعنى صعود البرجوازية إلى السلطة " . بوضوح لم يرق هذا التحليل أبدا لأتباع الطريق الرأسمالي فى الصين الذين كان للعديد منهم أسباب قوميّة متنوّعة لمعارضة السوفيات لكن جميعهم كانوا يخشون الخطّ العالمي لماو الذى لم يُشر فقط إلى طبيعة وسيرورة إعادة تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي ، بل فضح القاعدة الطبقيّة و البرنامج الجوهري للتحريفيّين فى الصين نفسها .

لقد إعتبر حزبنا من الصحيح و الهام مساندة التحرّكات التى كان الصينيّون يقومون بها فى الشؤون العالميّة مستغلّين التناقضات فى كتلة العدوّ و الدفاع عنها فى وجه الصرخات الهستيريّة للتروتسكيّين و التحريفيّين . و مثلا ، دافع الإتحاد الثوري عن زيارة نكسون للصين على أنّها لا تتضارب و المسؤوليّات الأممية للصين . ولا نزال نعتقد أنّ السماح بهذه الزيارة لم يكن خاطئا من الناحية المبدئيّة .

و فى نفس الوقت و بشكل متصاعد مع مرور السنوات ، رأى الحزب الشيوعي الثوري ضرورة خوض صراع شرس ضد الذين فى هذه البلاد و غيرها من الأماكن ، يُحلّون السياسة الخارجيّة الصينيّة محلّ القيام بتحليل ثوري حقّا لمهام الشيوعيّين. وغدت هذه النزعة متجسّمة فى هذه البلاد فى رابطة أكتوبر التى وصفها عن حقّ الإتحاد الثوري ب" البرودريّين الموالين للصين " فى 1974 – أي التحريفيين الذين يحاولون الإستسلام بالتماثل مع الصين الإشتراكية و تغطية إنتهازيّتهم بنوع من مظاهر السياسة الخارجيّة الصينيّة ، لا سيما إتفاقيّات و تسويات كانوا يقومون بها مع الدول الإمبريالية و الرجعيّة .

و هكذا ، من البداية ، جادل الإتحاد الثوري و الحزب الشيوعي الثوري ضد تطبيق إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " و خطّ " الخطر الأساسي السوفياتي " فى البلدان الإمبرياليّة . و كذلك ، ناضل الإتحاد الثوري و الحزب الشيوعي الثوري ضد الذين ، مثل رابطة أكتوبر ، ألغوا مساندة نضالات الشعوب فى بلدان شتّى يحكمها الرجعيّون إعتبارا لما يسمّى " بالدور المعادي للإمبريالية " لهؤلاء الرجعيّين – و شاه إيران مثال بارز .

و خلال هذه الفترة من الدفاع عن ما كان جوهريّا خطّا صحيحا نابعا من الصين ، بما فى ذلك محاولات الصين عقد إتفاقيّات لإستغلال التناقضات صلب كتلة العدوّ ، رفع الإتّحاد الثوري و الحزب الشيوعي الثوري بإستمرار مقولة ماو سنة 1946 عندما كان وقتها الإتحاد السوفياتي بلدا إشتراكيّا ، يعقد بعض الإتفاقيّات مع بلدان إمبرياليّة ،

" مثل هذه التسوية لا تتطلّب من شعوب العالم الرأسمالي بأن تقوم بالتالى بتسويات فى داخل بلدانها ، إذ أنّ تلك الشعوب سوف تواصل خوض نضالات مختلفة طبقا لظروفها المغايرة " . (" **بعض التقديرات حول الوضع الدولي الراهن** " ، الأعمال المختارة ، المجلّد 4 ، ص 87 بالأنجليزية ؛ و بالعربيّة ص 107)

لقد شدّد قادة الإتحاد الثوري و الحزب أيضا على هذا المبدأ فى نقاشاتهما الخاصة مع ممثّلين من قسم العلاقات التابع للجنة المركزيّة للحزب الصيني . و بينما تضرب المقولة مباشرة فى العمق موقف اليمين فى الصين الذى كان يروّج له بصفة تصاعديّة قسم العلاقات (أنّ على الثوريّين أن يربطوا الصراع الطبقي المحلّي بالسياسة الخارجيّة الصينيّة) ، من المهمّ أن شعُر ممثّلو لجنة العلاقات بالإضطرار من وقت إلى آخر أن يكرّروا هذه المقولة فى النقاشات مع قادة الإتحاد الثوري ، قبل الإنقلاب . و هذا دليل آخر على أنّ إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " لم تتّخذ شكلا مسيطرا قبل وفاة ماو و الإنقلاب التحريفي.

قبل تأسيس حزبنا و بعده مباشرة ، فى صائفة و خريف 1975 ، أُوليت عناية كبيرة لمزيد دراسة الوضع العالمي . و قد عمّقت هذه الدراسة أكثر فهم الحزب للخطّ الصحيح ، خاصة بشأن مسألة الموقف الذى ينبغى على المرء أن يتبنّاه تجاه برجوازيته " الخاصة " فى البلدان الرأسماليّة المتقدّمة فى حال نشوب حرب ، و غلط رفع شعار " الإستقلال الوطني " فى البلدان الرأسماليّة و معارضة " الخطر الأساسي السوفياتي " . و قد وقع التشديد على هذه النقاط فى عديد المقالات التى نشرت فى مجلّة " **الثورة** " (أنظروا بوجه خاص مقالات " **الحرب الإمبريالية : الموقف الصحيح مسألة طبقيّة** " و " **الحرب الإمبريالية ومصالح البروليتاريا** " فى أعداد ماي و أوت 1976 تباعا و أعيد نشرها فى كرّاس " **الحرب والثورة** ") .

و يندّد تقرير اللجنة المركزيّة لسنة 1976 ، " **العمل الثوري فى وضع غير ثوري** " (الذى كُتب قبل وفاة ماو و الإنقلاب فى الصين) بوجه خاص بالأحزاب البرودريّة فى أوروبا وكذلك برابطة أكتوبر لإعدادها للوقوف إلى جانب برجوازيّتها الخاصة فى حال نشوب حرب عالميّة .

و لم يرُق هذا لرابطة أكتوبر أو بالمناسبة للقيادة العامة التحريفية جارفيس – برغمان داخل الحزب الشيوعي الثوري . فرابطة أكتوبر هاجمت الحزب الشيوعي الثوري بجنون لعدم جعله السياسة الخارجيّة للصين خطّه للقيام بالثورة فى الولايات المتحدة . و كذلك كتب بعض الموجودين حاليّا ضمن المجموعة المنشقيّة التى كانت سابقا ضمن الحزب الشيوعي الثوري نشريّة داخليّة وزّعوها أثناء سيرورة تأسيس الحزب تقول بأنّه " على عكس مشروع البرنامج ، نعتقد أنّ ما يسمّى بتحليل " العالم الثالث " صالح ..." وطالبت بأن يصبح أساس الخطّ العالمي للحزب .

لكن يجب قول إنّ الحزب و الإتحاد الثوري قبله حتّى بينما كانا يناضلان ضد التطبيق الرجعي لخطّ " العوالم الثلاثة " قبل أن يُعتبر خطّا عاما عالميّا إثر إنقلاب هواو ، قد سقطا فى أخطاء بصدد هذه المسألة .

فى عدد جوان 1974 من مجلّة " **الثورة** " (التى كانت حينها لسان حال الإتحاد الثوري) تحدّث مقال عن جلسة الأمم المتّحدة التى خطب فيها دنك سياو بينغ وعلّق بإيجابيّة على خطابه و كرّر العديد من صيغه الخاطئة . و فى الشهر التالي نشر مقال هام يهاجم الرابطة الشيوعية (طائفة غير فاعلة موالية للسوفيات اليوم) سجّل عدّة نقاط صحيحة فى نقد الرابطة الشيوعية لكنّه دافع عن خطاب دنك . و فى مقالات و وثائق أخرى للإتحاد الثوري و الحزب (خاصة حوالي زمن تأسيسه) يمكن للمرء أن يجد بعض الإنعكاس لتحليل " العوالم الثلاثة " .

و الموقف الوحيد الهام الآخر للحزب إلى هذا الوقت خاصة حول تحليل " العوالم الثلاثة " كان فى عدد جويلية 1977 من مجلّة " **الثورة** " . و كُتب هذا المقال كجدال ضد نزعات جعل تحليل " العوالم الثلاثة " الخطّ القائد للثوريّين عبر العالم . و يصف وصفا صحيحا طبيعة البلدان الإمبرياليّة ، بما فى ذلك فى أوروبا و اليابان ، و مهام الثوريّين هناك ، لا سيما قتال مفاهيم مثل الكفاح من أجل " الإستقلال الوطني " و أشار إلى أنّه " أقلّ من ذلك أن يمكن للشيوعيين مساندة التحالفات العسكريّة الإمبريالية ..."

لقد أكّد المقال :

" هل يمكن لتحليل العوالم الثلاثة أن يقرّر و يحكم الإستراتيجيا الثورية فى كلّ بلد ؟ لا، لا يمكنه . لا يمكن بلوغ هذه الإستراتيجيا و تطبيقها إلاّ بلدا بلدا بإستعمال منهج التحليل الملموس – التحليل الطبقي – للظروف الملموسة فى كلّ بلد ، فى إطار الوضع العالمي . و ليس بوسع مثل هذه الإستراتيجيا أن تتطوّر بمجرّد صياغة إصطفاف للبلدان على النطاق العالمي ، و لا بوسع العدوّ الأساسي فى أي وضع أن يُحدّد ببساطة بمثل هذا المنهج .

و مع ذلك ، فيما لم يقبل مقال مجلّة " **الثورة** " تحليل " العوالم الثلاثة " كإستراتيجيا ، و بالفعل كان جدالا ضد جعل ذلك كذلك ، كان بشكل ما متعارض مع ذاته و قام بخطإ الإخفاق فى معالجة إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " على أنّها معادية للثورة و قبِل بها على أنّها صالحة فى بعض النواحى . ويمكن رؤية ذلك فى المقتطف التالي :

" فى رأينا ، يقدّم تحليل العوالم الثلاثة تقييما صحيحا للدور العام الذى تلعبه البلدان ومجموعات البلدان على الصعيد العالمي. و هكذا إنّه جزء هام من خطّ الجبهة المتحدة العالمية الأعمّ . إنّه جزء من إستغلال كافة التناقضات و العزل إلى أقصى حدّ للقوّتين الأعظم ، التى هي إلى نفس الدرجة و نفس المدى الأعداء الأساسيّين لشعوب العالم . "

يتضمّن المقتطف أعلاه خطأ جدّيا . إنّه يدافع عن أنّ تقسيم البلدان إلى " عوالم " ثلاثة طريقة جوهريّة لوصف مختلف الإصطفافات ضمن الدول ، بينما فى الواقع الإصطفاف الفعلي للدول فى العالم الرأسمالي أكثر من ذلك بكثير و بصورة متصاعدة ، مسألة الإلتحاق بكتلتين متنافستين تترأّسهما القوتين الأعظم .

مردّ الأخطاء فى مقال مجلّة " **الثورة** " فى جويلية 1977 عوامل عدّة . زمنها ، لم يتوصّل الحزب بعد إلى إستنتاجات بشأن طبيعة النظام التحريفي فى الصين و الخطّين المتعارضين الذين كانا يظهران داخل الحزب حول هذه المسألة المحوريّة . ثانيا ، لم يرفع الحزب الصيني بعدُ ، على الأقلّ شكليّا ، " العوالم الثلاثة " إلى مستوى موقف إستراتيجيا شاملة للحركة الثوريّة العالمية . (حصل هذا فى المؤتمر الحادى عشر فى أوت 1977 وفى المقال الأهمّ عن " العوالم الثلاثة " فى **مجلة بيكين** عدد 45 ، 1 سبتمبر 1977) . لهذه الأسباب ، من غير الممكن للحزب أن يبلغ إستنتاجا موحّدا بأنّ الخطّ العالمي بأكمله النابع من الصين كان بالفعل نوعيّا مختلفا عن الخطّ الذى أتى قبل وفاة ماو .

و بما أنّه لم يقع التوصّل إلى الإستنتاج أعلاه بعدُ ، كان مقال مجلة " **الثورة** " فى جويلية 1977 لا يزال يعكس الموقف العام المتّخذ من قبل الحزب بإتّجاه الخطّ العالمي للصين فى ظلّ قيادة ماو . لقد فهمنا أنّ ماو قد أجرى وصفا عاما للبلدان كتقسيم إلى " عوالم ثلاثة " و لم نشعر و لا نشعر اليوم بأنّ مثل هذا الوصف بذاته وفى حدّ ذاته ، تحريفي . لقد إرتأى الثوريّون فى قيادة الحزب أن يدافعوا عن ماو و أن يهاجموا الخطّ " الإستراتيجي " الذى كان يعلو صوته بصفة متنامية من الصين بعد وفاة ماو و الإنقلاب . و هكذا دافعنا عن التجميع العام للبلدان في عوالم ثلاثة ، فى حين شدّدنا على أنّ هذا يمكن أن يكون فقط تفسيرا جزئيّا لبعض الظواهر من الوضع الحالي ولا يمكن بأيّة طريقة أن يعوّض تحليل" التناقضات الأربعة" المذكور أعلاه .

إلى درجة أنّه كان لهذا النوع من التجميع للبلدان إلى ثلاث مجموعات عريضة دلالة عمليّة ، كان برأينا محدودا فى الدور الذى تلعبه تلك البلدان (أي الأنظمة فى السلطة) و خاصة فى كيف أنّ الصين بإمكانها أن تستغلّ علاقات دولة – لدولة ، لا سيما لتحسين موقفها الدفاعي تجاه القوى العظمى و السوفيات بوجه خاص . كان خطؤنا بهذا المضمار ، كما إنعكس فى مقال " **الثورة** " ، أنّه حتّى فى وصف دور البلدان فى تحليل " العوالم الثلاثة " يمكن فى أفضل الأحوال أن يكون فقط مظهرا من الوضع ، و مظهرا بوضوح ثانويّا نسبة إلى ما هو رئيسي و عامل محدّد فى سير الأنظمة فى المجال العالمي اليوم : الإصطفاف مع الكتل الإمبريالية من أجل الحرب .

و تحاجج إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " كما يروّج لها هواو كوفينغ و أمثاله إثر وفاة ماو بشكل خاص ضد ذات المعيار الذى دافع عنه الحزب الشيوعي الثوري و حتّى الفائدة المحدودة لهذا النوع ومن التحليل للعوالم الثلاثة و الذى نفهم أنّ ماو قدّمه . و تجلّى هذا تمام التجلّي لاحقا فى 1977 . لقد أعلن الحكّام الجدد التحريفيّون أنّهم " يشيرون إلى " العوالم الثلاثة " كإستراتيجيا عالميّة للبروليتاريا العالميّة و الشعوب المضطهَدة " (ص 20) و يقولون إنّها :

" تعطى ثقة هائلة للبروليتاريا العالمية و شعوب البلدان الإشتراكية و تسمح لهما بوضوح برؤية العلاقات الأساسية بين القوى الثلاث – نحن ، و أصدقاؤنا و أعداؤنا – فى عالم اليوم ..." (ص 76)

ويقول هذا المقال بصدد " الخطر الأساسي السوفياتي " :

" واحدة من القوّتين الأعظم الإمبريالية ، الإتحاد السوفياتي أكثر شراسة و أكثر تهوّرا و أكثر خداعا و المصدر الأخطر للحرب العالمية .

لماذا علينا قول أشياء من هذا القبيل ؟ لأنّ الإتحاد السوفياتي يحتلّ أرضا صينيّة على الحدود الصينيّة الشمالية الشرقيّة و الشماليّة الغربيّة فى تجاوز لما تفرضه المعاهدات و يهدّد أمننا ؟ لا . الولايات المتحدة هي الأخرى قد غزت تايوان و إحتلّتها وهي كذلك تمثّل تهديدا لأمننا . بلا شكّ شعوب كلّ منطقة خاصة يمكن أن تقرّر أية قوّة عظمى أو بلد إمبريالي يمثّل التهديد الأكثر مباشرة لها وفق ظروفها الخاصة . لكن هنا نحن بصدد نقاش مسألة عامة تخصّ الوضع العالمي ككلّ بدلا من مسألة خاصة تخصّ منطقة معيّنة. لا يعزى الأمر إلى أيّة أسباب عرضيّة و عابرة أو جزئية أنّ الإتحاد السوفياتي قد أصبح الأخطر من بين القوّتين الأعظم على النطاق العالمي " . (ص 33-34)

إذن لم يعد الحال مجرّد مهمّة شرعيّة للصين الإشتراكية فى إستغلال التناقضات لتساعد على الدفاع عن نفسها ضد الهجوم السوفياتي . الآن " على النطاق العالمي " نؤمر جميعا بأن نستهدف أساسا السوفيات .

فى سياق نضال الحزب الشيوعي الثوري للدفاع عن الخطّ الثوري لماو و الأربعة الذين قاتلوا من أجله ضد اللصوص التحريفيّين فى الصين من جهة و الذين فى صفوفنا و كان التحريفيّون ملهميهم و مشجّعيهم من الجهة الأخرى ، بلغ الحزب تقييما شاملا صحيحا لإستراتيجيا " العوالم الثلاثة " المعادية للثورة . و كون الحزب ، وهو يحافظ على الخطّ الثوري عامة و يقاتل من أجله ، إرتكب أخطاءا مرتبطة بنظريّة " العوالم الثلاثة " لا يفعل سوى المزيد من تعزيز التصميم على تحليل الوضع العالمي و تعميق إستيعابه للخطّ الصحيح و إنجاز المهمّة التى أشار إليها الرفيق أفاكيان (المستشهد بها قبلا من إجتماع إحياء ذكرى ماو تسى تونغ) لإنجاز تقييم نقدي للتجربة الإيجابيّة منها والسلبيّة ، تجربة الحركة الشيوعية العالمية حول هذه المسائل الهامة .

نظريّة العوالم الثلاثة و الصراع صلب الحركة الشيوعية العالمية

منذ وفاة ماو تسى تونغ والإنقلاب التحريفي فى الصين ، واجهت الحركة الشيوعية العالمية الصراع الأهمّ منذ إفتكاك الطبقة البرجوازية الجديدة بقيادة خروتشوف الإتحاد السوفياتي . و كان الصراع معركة شاملة بين الماركسية – اللينينيّة ، فكر ماو تسى تونغ [الماوية] من جهة و التحريفيّة من الجهة الأخرى . و قد وجد و يجد الثوريّون أنفسهم فى موضع إختبار .

بعدُ قد كُسبت معارك هامة بما أنّ قطاعات واسعة من الأحزاب والمنظّمات و الأفراد الماركسيين – اللينينيّين رفضوا أن يتّبعوا عن عمى خطّ هواو كوفينغ و دنك سياو بينغ و أن ينزلوا الراية الحمراء للثورة البروليتاريّة . وتعزى هذه الإنتصارات فى جزء كبير منها إلى كمّ كبير من التجربة و الفهم المكتسبين فى النضال ضد التحريفيّة المعاصرة و فى المعركة الكبرى للثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى بقيادة ماو تسى تونغ . و فى نفس الوقت ، هذا الصراع بعيد عن أن ينتهي : يجب البناء على الإنتصارات الأولى و تعميقها ، يجب إستيعاب الماركسيّة – اللينينيّة بعمق أكبر فى القتال ضد التحريفيّة و الرجعيّة عامة و يجب بلوغ المزيد من الإنتصارات .

بوضوح ، يحتلّ النضال ضد الخطّ العالمي التحريفي لحكّام الصين ، " نظرية العوالم الثلاثة " الرجعيّة ، مكانا هاما جدّا فى هذه المعركة العالميّة . و بعدُ عديد الأحزاب و المنظّمات الماركسيّة – اللينينيّة حول العالم قد نقدت هذا الخطّ الرجعيّ وقامت ببعض المساهمات الهامة فى فهم الحركة الشيوعية العالمية بهذا الصدد .

و فى نفس الوقت ، الحزب الشيوعي الثوري مقتنع بأنّ النضال ضد نظرية " العوالم الثلاثة " ، على حيويّته ، لا يمكن أن يحتلّ محور النضال ضد التحريفيّة الصينيّة ، و لا أقلّ من ذلك أن يكون مساويا لهذا النضال . إنّ المسألة المحوريّة التى برزت مع صعود التحريفية فى الصين ، مثلما كان الأمر عندما أعيد وضع الإتحاد السوفياتي على الطريق الرأسمالي ، هي مسألة الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكيّة ، مسألة مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا و الفهم الصحيح للإشتراكية و دكتاتورية البروليتاريا كمرحلة إنتقاليّة نحو المجتمع الخالى من الطبقات ، الشيوعية .

إنّ الخطّ العالمي لبلد لا يمكن أن يُفصل عن الطبقة التى تحكمه ، و لا يمكن لخطّ حزب أن يُفهم خارج إطار تحديد أيّة طبقة يمثّلها ذلك الحزب . ليس بوسع نظرية " العوالم الثلاثة " و تاريخها أن يفهما فهما تاما و صحيحا خارج إطار الصراع الطبقي فى الصين بين البروليتاريا و البرجوازيّة و الهجوم الشامل الراهن على الماركسية – اللينينيّة ، فكر ماوتسى تونغ [الماوية] من قبل حكّام البرجوازية الجديدة الصينيّة .

و ستؤدّى محاولة القيام بغير هذا ، محاولة خوض النضال ضد نظريّة " العوالم الثلاثة " فى أي إطار آخر ، إلى الخلط بين الجزء و الكلّ و قلب العلاقة الصحيحة بين الطبيعة الداخليّة للنظام الصيني و خطّه العالمي التحريفي . و هذا مشحون بمزالق خطيرة . طبعا ، من الصحيح و الضروري بداهة دراسة العلاقة بين الوضع العالمي و الصراع حول الخطّ العالمي من جهة و الصراع الطبقي ككل فى الصين من الجهة الأخرى ، لكن عند القيام بذلك من الحيويّ إدراك الحقيقة الأساسيّة ومفادها أنّ التناقض الداخلي فى الشيء هو المحدّد لطبيعته .

و تجدر لفت النظر إلى التجربة المكتسبة فى الصراع ضد الإتحاد السوفياتي . فقد وُجد فى الولايات المتحدة و فى بلدان أخرى الكثيرون الذين تمرّدوا ضد خيانة خروتشوف للثورة العالميّة تحت يافطة " السلمية الثلاثة " (التعايش السلمي والتنافس السلمي و الإنتقال السلمي إلى الإشتراكية) . لكن فى نفس الوقت ، لم تتبنّى العديد من هذه القوى حقّا أبدا النقد الماركسي – اللينيني للإتحاد السوفياتي و لم تفهم حقّا أبدا الطبيعة الفعليّة للإتحاد السوفياتي فى ظلّ حكم التحريفيّين . وعديد البرجوازيّين الصغار الراديكاليّين والقوميّين الثوريّين ، و حتّى التروتسكيّين الجدد كان يبدو أنّهم يتشاركون فى النقد

الماركسي – اللينيني للإتحاد السوفياتي . إلاّ أنّه مع إعادة التركيز التامة للرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي ومع تطوّره إلى إمبرياليّة – إشتراكية ، تغيّرت راديكاليّا السياسة الخارجيّة السوفياتية .

و لم يعد من الممكن أن يوصف بأنّه فى الأساس يتعاون مع الإمبرياليّة الأمريكية و يستسلم لها . عوض ذلك صار التنافس الشديد مع الولايات المتحدة حول " مناطق النفوذ " سائدا أكثر فأكثر . فغدت تلك القوى التى عارضت الإتحاد السوفياتي ببساطة على قاعدة سياسته التوفيقية والتعاونيّة مع الولايات المتحدة مرتبكة و إختلطت عليها الأمور عندما شرع السوفيات فى " مساندة " بعض نضالات التحرّر الوطني لمزيد خدمة أهدافهم الإمبريالية الخاصة و تبنّوا عموما موقفا أكثر نضاليّة تجاه الغرب . و مثلما هو معلوم جيّدا ، عددا من هؤلاء الناس قد تفسّخ و أضحى من مدّاحى المصالح الإمبريالية – الإشتراكية السوفياتية خاصة كما تتمثّل فى كوبا ، و إنتهى إلى مساندة التدخّل الكوبي فى أفريقيا ، ضمن أشياء أخرى .

و بينما من غير الممكن للتحريفيّين الصينيّين ، مهما كانت نواياهم ، أن يحوّلوا الصين إلى قوّة إمبرياليّة عظمى (الطابع المتخلّف لذلك البلد سيؤدّى مرّة أخرى إلى دولة مهيمن عليها) يبدو على الأرجح أنّ السياسة الخارجيّة و الخطّ العالمي يمكن أن يتغيّرا تغيّرا راديكاليّا . و حتّى اليوم ، يقوم هذا الخطّ تماما على البراغماتيّة . و تحديدا لأنّ السوفيات يمثّلون أكثر تهديدا للصين ، من اليسير رؤية كيف أنّ التحريفيّين الصينيّين يمكن أن يستسلموا بسهولة للإمبرياليين - الإشتراكيّين السوفيات . و لا شكّ أنّ هذه المسألة بالذات من المسائل التى يناقشها نقاشا ساخنا الحكّام التحريفيّون الحاليّون. و إن حصل هذا ، فإنّ الصينيّين على الأرجح سيتخلّوا عن (أو من الممكن أن " يعيدوا تأويلهم تأويلا خلاّقا " ل) " نظريّة العوالم الثلاثة " و يكتشفوا أنّ الوضع العالمي يتطلّب بعدُ " إستراتيجيا عالميّة " أخرى ، إستراتيجيا قادرة على السطح أن تبدو ثوريّة جدّا جدّا و تشمل موقفا مناضلا ضد الولايات المتّحدة و تساند النضالات التى تراها مناسبة لها .

و لئن جدّ هذا سيوجد من جديد شديد الخطر بأنّ الذين أقاموا معارضتهم للتحريفيّين الصينيّين فقط أو حتّى فى المصاف الأوّل ، على نظريّة " العوالم الثلاثة " يمكن أن يفقدوا البوصلة و ينتهوا إلى التذيّل لخطّ رجعي تماما من نوع أو آخر .

<u>تحليل أعمق</u>

و بطبيعة الحال ، ليست إمكانيّة التغيّرات الدراماتيكيّة المستقبليّة فى الوضع العالمي و خطّ التحريفيّين الصينيّين فحسب هي التى تستدعى عدم إتّباع مقاربة فضفاضة و مبسّطة للنقد اللازم اجراؤه . لقد رأينا عدّة أمثلة فى بلدنا ذاته و فى بلدان أخرى لأحزاب و منظّمات قد ساندت فى السابق نظريّة " العوالم الثلاثة " لكنّها اليوم تندّد بها بصوت عالى دون حتّى أن تخوض حقّا فى المسائل العامة المطروحة للنقاش وبالفعل تواصل السقوط فى الأخطاء المميّزة لنظرية " العوالم الثلاثة ".

و من مثل هذه المنظّمات فى الولايات المتّحدة هناك المنظّمة المركزيّة للماركسيّين – اللينينيّين بالولايات المتحدة (وهي طائفة صغيرة تتميّز بالدغمائيّة التامة و العزلة التامة عن نضالات الجماهير ، و كذلك بخطّ سياسي معتمد على التملّق لكلّ من يشعرون أنّ لديه أكبر " رأسمال " فى صفوف الحركة الشيوعيّة العالمية) .

إنّ هذه المنظّمة و المجموعة التى ولّدتها ، الحزب الشيوعي الكندي (الماركسي – اللينيني) ، كانتا من المساندين بلا نقد لكافة النزعات الأسوأ (بما فى ذلك " الخطر الأساسي السوفياتي ") المتّصلة بتحليل " العوالم الثلاثة " لسنوات . و قد قاما حتّى بتأويلات " طليعيّة " لها على غرار تجميع المال من أجل اليونيتا بأنغولا (واليونيتا مجموعة تدعمها السي آي آي و دولة جنوب أفريقيا و كانت تقاتل الحركة الشعبيّة لتحرير أنغولا المدعومة من السوفيات عقب تداعى الإستعمار البرتغالي) فى زمن كانت فيه البرجوازية الأمريكيّة تنتدب بوضوح المرتزقة للقتال إلى جانب اليونيتا . و قد كانا يطلقان على قائد هذه عرائس اليونيتا المشكوك فيها " الرفيق سافيمبى " !

و مع ذلك المنظّمة المركزيّة للماركسيّين – اللينينيّين بالولايات المتحدة اليوم ، و دون أي نقد ذاتي جدّي ، تنفش ريشها كالطاووس ، مدّعية أنّها فى مقدّمة النضال ضد " نظريّة العوالم الثلاثة " . و تواصل المنظّمة المركزيّة للماركسيّين – اللينينيّين بالولايات المتحدة و الحزب الشيوعي الكندي (الماركسي – اللينيني) (التى هي منه إفتراضيّا جزء) الدفاع عن خطّ " الإستقلال الوطني " فى البلدان الإمبريالية المتحالفة مع الولايات المتحدة . و بمثل هذا الخطّ لا شكّ فى أنّهما لن يقدرا على تلخيص لماذا عانقا فى البداية " العوالم الثلاثة " .

(و يجب قول كلمة عن سباق المنظّمة المركزيّة للماركسيّين – اللينينيّين بالولايات المتحدة من أجل لقب " المقاتل الأكبر لنظريّة العوالم الثلاثة " مع اللجنة التنظيميّة الماركسية – اللينينيّة . و هذه الأخيرة بلا خجل تذيّلت لكافة أسوأ مظاهر الخطّ العالمي المتأتّى من الصين – هي أيضا ساندت اليونيتا و كرّرت " الخطر الأساسي السوفياتي " و هلم جرا . رئيس هذه المجموعة أشار إلى نفسه على أنّه حتّى الناشر الأمريكي لفكر أ أف هيل ، قائد الحزب الشيوعي الأسترالي (الماركسي- اللينيني) الإشتراكي الشوفيني ، و أصدر كمّيات كبيرة من زبالة هيل . و قد إستنتج هيل بداية أنّ أستراليا بلد من " العالم

الثالث " ! قبل عدّة سنوات لكنّ تاليا قرّر أنّ أستراليا بلد من " العالم الثاني " يمكن أن يخوض بعدُ حربا من أجل التحرّر الوطني . فى الأصل حرب الإستقلال هذه كان ينبغى أن تخاض ضد الولايات المتحدة ، و الآن يقول إنّهم سيقاتلون من أجل الإستقلال فى تحالف مع الولايات المتحدة و الفئات " الوطنية " من البرجوازية الأستراليّة – تحالف موجّه ضد الإتحاد السوفياتي . لقد بلغ هيل عموما مستويات عالميّة متقدّمة فى" التطبيقات الخلاّقة " السخيفة للتحريفية الصينيّة).

و طبعا ، قلّة ، إن وُجدت ، من المنظّمات الأخرى فى العالم يمكن أن تصنّف إلى جانب المنظّمة المركزيّة للماركسيّين – اللينينيّين بالولايات المتحدة (أو حتّى اللجنة التنظيمية الماركسيّة – اللينينيّة)، بتاريخها الإنتهازي الخاص و الغريب . لكن النزعة السياسيّة التى تمثّلها لا يمكن أن يقال إنّها تماما غائبة ضمن ثوريّين آخرين حقيقيّين . و على وجه الخصوص ، مسألة الموقف الذى ينبغى إتّخاذه تجاه مسألة حيويّة من وجهة نظر القيام بالثورة فى تلك البلدان – إجابة خاطئة يمكن بسهولة أن تؤدّى إلى شكل أو آخر من " الدفاع عن الوطن " خاصة فى حال حصول حرب عالميّة . بداهة هذه المسألة مرتبطة وثيق الإرتباط بنبذ نظريّة " العوالم الثلاثة " لكن واقع أنّ البعض قد نقدوا " العوالم الثلاثة " فيما ظلّوا مشوّشين و حتّى مخطئين صراحة حول مسألة " الإستقلال الوطني " فى هذه البلدان ، يبيّن أنّ الفضح البسيط لنظريّة " العوالم الثلاثة " غير كافٍ.

الدفاع عن ماو تسى تونغ

فى الأخير ، من الحيويّ تفحّص كيف أنّ إتّخاذ الخطّ الخارجي (العالمي) للتحريفيّين الصينيّين كقاعدة لتحديد طبيعتهم الداخليّة (أي ، طبيعتهم الطبقيّة) يمكن أن يفضى إلى مزالق جدّية . (هنا لسنا بصدد نقد أولئك الرفاق الذين قاموا بالدراسة و النضال حول الخطّ العالمي قبل دراسة الصراع الداخلي فى الصين ، بل نتحدّث بالأحرى عن مقاربة إستعمال الخطّ العالمي على أنّه القاعدة الوحيدة و الأساسية لتفحّص الصراع الداخلي فى الصين) .

ومن البديهي تماما أنّ نظريّة " العوالم الثلاثة " المعادية للثورة تمتدّ جذورها إلى ما قبل الإنقلاب التحريفي لهواو كوفينغ . بالأساس ، تمتدّ جذورها إلى أتباع الطريق الرأسمالي ، البرجوازية ، فى الصين الذين كانوا يبنون قوّة و يستولون على أقساط هامة من الحزب و جهاز الدولة (بما فى ذلك كما أشرنا وزارة الشؤون الخارجية)، حتى عندما كان ماو والأربعة يخوضون صراعا شرسا ضدّهم و ظلّت الصين تحت حكم الطبقة العاملة و تسترشد بالخطّ الماركسي - اللينيني لماو.
و فضلا عن ذلك ، سبق أن أشرنا إلى بعض الأخطاء المقترفة من قبل ماو و الأربعة فى ما يتّصل بالوضع العالمي ، لا سيما تحليل السوفيات على أنّهم " الخطر الأساسي على شعوب العالم " .

ومع ذلك من الخاطئ مطلقا و الخطير تماما رؤية الخط العالمي للصين على انّه مواصلة مباشرة للتطوّر منذ " إنفتاح الصين على الغرب " فى 1971 . تبدوعديد تحركات التحريفّين الصينيين اليوم ظاهريّا مشابهة فى الأساس لتحرّكات أخرى صحيحة قامت بها الصين لمّا كانت بعدُ إشتراكية . غير أنّ جوهر هذه الأشياء ببساطة مختلف.

القيام بتسويات (و حتّى تركيز العلاقات الدبلوماسيّة ، والإتفاقيّات التجاريّة هو بالذات ذلك) مع الإمبرياليّين و الرجعيين من وجهة نظر إستغلال التناقضات فى معسكر العدوّ ، أمر . و أمر آخر أن نلتحق بمعسكر العدّو نفسه . أمر أن نحاول تعزيز الموقف الدفاعي ضد الذين كانوا يمثّلون التهديد الأساسي للصين (السوفيات) و توفير مثل هذا الدفاع لا يكون على حساب النضال الثوري العالمي العام . و أمر آخر أن نقوم بالدفاع عن الصين " و تعصيرها " كأسمى الأهداف و الذى لا يمكن أن يكون سوى خطّ البرجوازيّة .

إنّ الفشل فى الإعتراف بواقع أنّ أكثر التحرّكات التى قامت بها الصين عالميّا خلال الفترة الممتدّة بين 1971 – 1976 لم تكن ، مبدئيّا ، خاطئة و يمكن أن تؤدّي إلى أخطاء جدّية حينما يرفق برؤية الخطّ العالمي على أنّه المسألة المركزيّة فى تقييم الصين ، يفضى إلى عدم فهم تام للصراع الطبقي فى الصين ، و حتّى إلى إستنتاج أنّ التحريفيّة قد إنتصرت فى الصين ليس فى أكتوبر 1976 و إنّما عندما زار نيكسن الصين (فى 1972) أو عندما ألقى دنك سياو بينغ خطابه المعادي للثورة أمام الأمم المتّحدة (فى 1974) . هذا النوع من التحليل سيفضى أيضا إلى الحطّ من أو حتّى الهجوم الواضح على الدور الكبير لماو تسى تونغ و دفاعه عن الماركسية – اللينينيّة و إثرائها .

خاتمة :

" نظريّة العوالم الثلاثة " خطّ معادي للثورة ، خطّ للإستسلام و الخيانة . يجب القتال ضدّه و إلحاق الهزيمة به كجزء من صراع الحياة أو الموت الذى يواجه الحركة الشيوعية العالمية والنضال ضد اللصوص التحريفيين فى الصين و حزمتهم المتعدّدة الألوان من الكلاب الهزيلة التى تتّبعهم و تسعى إلى تخريب النضال الثوري فى البلدان حول العالم . كما يجب أن نقاتل بلا هوادة جهود إلصاق الثورة المعادية بإسم ماوتسى تونغ ، أعظم ثوري فى زمننا و نحن واثقون من أنّ هذا النضال سينتهى إلى إنتصار البروليتاريا العالميّة .

===

الملحق الثاني :

إعتاد على مهاجمة خطّ ماو – الدور الرجعيّ الخفيّ لشو آن لاي

نُشر لأوّل مرّة بمجلّة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة ، " **الثورة** " ، المجلّد الثالث ، عدد 15 ، ديسمبر 1978

www.marxists.org › history › erol › ncm-5 › rcp-chou

مع مرور الأيّام ، يرفع التحريفيّون الحاكمون للصين نسق هجماتهم على ماو تسى تونغ و الخطّ الثوريّ الذى دافع عنه ماو تسى تونغ و قاتل من أجله طوال حياته بأكملها . و يؤكّد المقال إثر المقال في الصحافة أنّه لا يجب النظر إلى ماو على أنّه " إلاه " و أنّه لا يجب النظر إلى فكر ماو تسى تونغ على أنّه " دوغما " ؛ و يزعم سيل من الملصقات الجداريّة المسموح به رسميّا أنّ ماو إقترف " أخطاء " لا سيما في السنوات الأخيرة من حياته . و ينبع هذا بالنسبة إليهم من ضرورة دفن خطّ ماو خاصة كما تطوّر في أثناء الثورة الثقافيّة فهو في الواقع يمثّل خطرا مميتا لخطّهم التحريفي و للمساعى العامة التي يبذلونها لتفكيك الإشتراكيّة و إعادة تركيز الرأسماليّة .

و جزء حيويّ من هذه الهجمات على ماو و الثورة الصينيّة هو تصوير شو آن لاي على أنّه البطل القوميّ العظيم و عمليّا رفعه إلى مكانة أرقى من مكانة ماو تسى تونغ كنموذج " شيوعي " وجب التشجيع على الحذو حذوه لأجل إنجاز " المهمّة التاريخيّة الجديدة " لتعصير الصين مع حلول سنة 2000 . و مثلما أعربت عن ذلك **مجلّة بيكين** عدد 47 ، كان الناس يحترمونه عالي الإحترام و كانوا يحبّونه و يعلّقون آمالهم عليه لتحقيق المثل الأعلى للتعصيرات الأربعة و جعل الوطن الأم قويّا و مزدهرا " .

و بينما إحتلّت الذكرى الثانية لوفاة ماو في سبتمبر 1978حيّزا أصغر في **مجلّة بيكين** من مقال يدعو إلى بلوغ المستويات العالميّة في إنتاج النسيج ، وُجدت موجة قارة من المقالات التي تكيل جبالا من المديح لشو آن لاي و تشدّد (عن حقّ) على الروابط الوثيقة بينه و بين الحكّام الحاليّين للصين . و قد ظهر مقال في 14 صفحة في تلك المجلّة في جانفى 1977 في الذكرى الولى لوفاة شو آن لاي و تبع ذلك صدور مقالات طوال سنتي 1977 و 1978 عن مساهماته الكبرى أثناء الثورة الثقافيّة و في السياسة الخارجيّة و في " تمثيله لأسلوب عمل الحزب ". و المقال الأخير و لعلّه الأكثر كشفا للحقائق من غيره هو جزء من خطاب ألقاه شو آن لاي نفسه سنة 1949 أمام ندوة شباب كامل الصين و عنوانه " لنتعلّم من ماو تسى تونغ " . و قد وُضع هذا المقال في غلاف **مجلّة بيكين** عدد 43 لهذه السنة .

في خطابه ذاك ، حذّر شو الشباب من أن ينظروا إلى ماو على أنّه " راس إلاه " و بذل جهدا كبيرا لشرح كيف أنّ ماو تسى تونغ كان متطيّرا و يحمل أفكارا متخلّفة عديدة لمّا كان شابا ، و كيف أنّه بطبيعة الحال إقترف أخطاء . و بالرغم من عدم عصمة أيّ شخص من الأخطاء و من أنّ ماو نفسه أشار في عدّة مناسبات إلى أخطائه هو ، فإنّ الحكّام الحاليّين للصين يستخدمون بوضوح هذا الخطاب ليفتحوا الباب على مصرعيه لنقد خطّ ماو تسى تونغ ككلّ و لشنّ هجوم عليه .

يقول شو إنّ ماو لم يقبل نصيحة يون تاي – يين بالشروع في العمل من الريف أواسط عشرينات القرن العشرين بما أنّه كان منشغلا بالعمل في المدن " ؛ و في الظروف الراهنة ، تأثير هذا هو نشر الشكوك حول حقيقة أنّ ماو قد قاد الحزب الشيوعي الصيني في تطوير و إنجاز إستراتيجيا محاصرة المدن إنطلاقا من الأرياف و و بالتالى وضع دور ماو تسى تونغ موضع السؤال في المرحلة الإشتراكيّة للثورة كذلك .

و فضلا عن ذلك ، و لا في موضع من مواضع هذا الخطاب شرح شو آن لاي أنّه هو نفسه سار في ركاب الخطوط " اليسراويّة " في أواخر عشرينات القرن العشرين و بدايت ثلاثيناته ما تسبّب في خسائر جدّية للحزب و للثورة الصينيّين، و كان على ماو أن يصارع تلك الخطوط و يلحق بها الهزيمة بُغية أن يكسصب الخ" الصحيح في الحزب . و لم يساند شو بصلابة خطّ ماو إلى الندوة الحيويّة للحزب بتسونيى في جانفى 1935 أثناء بدايات المسيرة الكبرى .

و يتماشى هذا الخطاب كذلك بجلاء مع المقاربة الراهنة للتحريفيّين و سعيهم للحطّ من قيمة ماو و مكانته و جعله قائدا هاما أجل واحد فقط من عدّة قادة قدماء للثورة الصينيّة . (و هذه هي الرسالة الدقيقة جدّا لصورة تعود إلى سنة 1955 أعيدت طباعتها إلى جانب خطاب شو آن لاي و قد أُدخلت عليها تحويرات لوضع شو في المركز و ماو على يمينه و شو تاه على يساره).

حسب الحكّام الحاليّين للصين ، كان ماو صائبا تماما قبل 1949 غير أنّه صار بصورة متصاعدة منفصلا عن " المهام الجديدة " للثورة – في إشارة إلى إقتراف خطإ جسيم في شنّ و قيادة الشعب الصيني في شنّ الثورة الثقافيّة و السماح لنفسه بأن " تسيئ توجيهه " " عصابة / مجموعة الأربعة ". و مباشرة عقب تنفيذهم لإنقلابهم المضاد للثورة سنة 1976 ، قطع التحريفيّون خطوات كبرى في وضع ماو في موقع تعارض مع أقرب رفاقه ، ما سمّوهم ب " عصابة / مجموعة الأربعة " قصد بثّ البلبلة في صفوف الجماهير و تعزيز سلطتهم . (و كان هذا صحيحا بوجه خاص بالنسبة إلى القوى التحريفيّة المتجمّعة حول هواو كوفينغ الذى كانت مواقفه و سلطته تقومان بدرجة كبيرة على ما يُفترض أنّه " وصيّة " ماو). و الآن يقولون بسفور تام بأمّ " عصابة / مجموعة الأربعة " كانت في الواقع " عصابة / مجموعة الخمسة ".

<u>الإنقلاب على الأحكام الصحيحة بشأن إضطرابات ساحة تيان آن مان :</u>

و هكذا ليس مفاجأ أنّ الحكم الصحيح الأخير الذى وقع الإنقلاب عليه و الهجوم السافر على ماو بصدده إلى يومنا هذا هو الإضطرابات الواسعة النطاق للمناهضين للثورة في ساحة تيان آن مان في بيكين في 5 أفريل 1976 زاعمين أنّ شو آن لاي عُومل بقلّة إحترام (و قد مات شو قبل بضعة أشهر) ، و مهاجمين مباشرة ماو تسى تونغ و مسانديه في قيادة الحزب و معلنين بصوت عالى عن دعمهم لمساعى دنك سياو بينغ إنجاز البرنامج التحريفي لشو آن لاي (" تعصير " الصين و الإنقلاب على الثورة الصينيّة . و قد قاموا بعمليّات قلب السيّارات و حرقها و هاجموا جسديّا وحدات المليشيا و صرخوا " نسكب دمنا من أجل ذكرى البطل [شو آن لاي] ؛ و نرفع أنظارنا و نستلّ سيوفنا . لم تعد الصين صين الماضي و لم يعد الناس يلقّهم الجهل ؛ فقد مضى حقّا زمن المجتمع الإقطاعي لشن شيه هوانغ [و هم يقصدون بذلك حكم الطبقة العاملة في ظلّ قيادة ماو] ".

و بالرغم من كون هذه الإضطرابات الرجعيّة أخمدت نيرانه القوّأت المسلّحة الشعبيّة و بالرغم من إقالة دنك سياو بينغ من مهامه جميعها في الحزب إعتبارا لدوره في التحريض على تلك الإضطربات ، فإنّ ذلك خدم إشارة للقوى اليمينيّة لترفع من نشاطاتها المناهضة للثورة ، و قد أوضح كذلك من كان قائدها العام و من ظلّ نقطة وحدتها حتّى بعد وفاته – شو آن لاي .

و في أواسط نوفمبر 1978 ، وصفت قيادة الحزب في بيكين هذه الإضطرابات الرجعيّة بأنّها " ثورة تماما (**مجلّة بيكين** عدد 47). و عدّة مقالات في الجرائد و حتّى شريط جديد مدحوا من أصبحوا الآن " أبطال ساحة تيان آن مان " . و في الوقت نفسه ، ملصقات جداريّة في بيكين علّقت بجلاء بموافقة قيادة الحزب هاجمت ماو هجوما مباشرا . و في إحداها ذات ال14 صفحة عُرضت بشكل بارز وسط بيكين ، يتمّ تأكيد " لأنّ تفكير الرئيس ماو كان ميتافيزيقيّا في السنوات الأخيرة من حياته و لكافة أنواع الأسباب الأخرى ، قد ساند الأربعة في التخلّص من دنك سياو بينغ ". و إسترسلت الملصقة الجداريّة لتقول " عقب تيان آن مان ، إستخدم الأربعة أخطاء ماو في تقييم الصراع الطبقيّ و إستغلّوا الوضع ليشنّ,ا هجوما عاما على قضيّة الثورة في الصين ".

في **مجلّة بيكين** عدد 46 ، يؤكّد التحريفيّون على أنّه زمن أحداث تيان آن مان " أضحى الموقف تجاه الرفيق شو آن لاي حجر الزاوية في التمييز بين الثورة و الثورة المضادة و بين الماركسيّة الحقيقيّة و الماركسيّة الزائفة ". و بالفعل كان الأمر كذلك لأنّه مع بدايات سبعينات القرن العشرين ، تطوّر شو آن لاي كقائد عام و نقطة الوحدة الأساسيّة لليمين – خاصة أتباع الطريق الرأسمالي صلب الحزب – في تعارض مباشر مع القيادة العامة البروليتاريّة الثوريّة بزعامة ماو و الأربعة كلبّ نشيط لها .

<u>من ديمقراطى برجوازي إلى أحد أتباع الطريق الرأسمالي :</u>

كان شو آن لاي أحد أهمّ ممثّلى فئة كاملة من قدماء موظّفى الحزب و قادته الذين ساندوا الثورة الديمقراطية إلاّ أنّهم أخفقوا في التقدّم و تحوّلوا إلى مناهضين للثورة ، إلى أتباع الطريق الرأسمالي في المرحلة الإشتراكيّة خاصة أنّه بقدر ما كانت الثورة الإشتراكيّة تتقدّم بقدر ما كانت توجّه لضرب بقايا و لامساواة الموروثين من المجتمع القديم . و بالضبط بشأن أناس أمثال هؤلاء ، شرح ماو تسى تونغ :

" إثر الثورة الديمقراطية لم يقف العمال و الفلاحون الفقراء و المتوسطون مكتوفي الأيدى ، أرادوا الثورة . و من جهة أخرى ، لم يرد عدد من عناصر الحزب المضي قدما ، فبعضهم تراجع و عارض الثورة . لماذا؟ لأنهم أصبحوا موظفين سامين و أرادوا الحفاظ على مصالحهم كموظفين سامين ."

و مثلما شدّد على ذلك ماو في عدّة مناسبات ، كان تطوّر أناس و بالأخصّ من أعضاء الحزب القياديّين ، من ديمقراطيّين برجوازيّين إلى أتباع الطريق الرأسمالي ، ظاهرة كبرى في الثورة الصينيّة . و بما أنّ الصراع الطبقي في الصين عرف مرحلة من الثورة الديمقراطية البرجوازية وإن كانت من طراز جديد و بقيادة البروليتاريا و الحزب الشيوعي ، إندفع عديد الناس إلى صفوف الحزب الشيوعي دون أن يقطعوا قطيعة راديكاليّة مع الإيديولوجيا البرجوازيّة و يتبنّوا النظرة الثوريّة للبروليتاريا . و بالنسبة على هؤلاء الديمقراطيّين البرجوازيّين ، كان هدف الثورة تجاوز تخلّف الصين و ما يقترب من الخنق التام لها من طرف القوة الإمبرياليّة . و بالتالى ، تحوّلوا إلى " الإشتراكية " – الملكيّة العامة – على أنّها الوسيلة الأكثر فعاليّة و الأسرع لتحويل الصين إلى بلد مصنّع بدرجة كبيرة و عصريّ. و مع تقدّم الثورة الإشتراكيّة ، قاتلوا لحدوث هذا التطوير وفق خطوط برجوازيّة – و وفق ظروف الصين ، لن تعيد تركيز الرأسمالية فحسب و إنّما ستؤدّى أيضا إلى جعل الصين تعود إلى الوقوع تحت هيمنة قوّة إمبرياليّة أو أخرى .

و منذ 1964 ، قال ماو إنّ الهدف الأساسي للثورة الإشتراكية أمسى " أولئك الأشخاص من الحزب فى السلطة السائرين فى الطريق الرأسمالي " و في 1976 ، شدّد ماو تشديدا هاما على فهم صحيح لهذه المسألة و قد أشار إلى أنّه :

" مع تقدّم الثوزرة ، صاروا هم أنفسهم هدفا للنيران . و زمن التغيير التعاونيّات الفلاحيّة ، وُجد أناس عارضوا ذلك .
و حين يتعلّق الأمر بنقد الحقّ البر جوازي ، يعبّرون عن إستيائهم . إنكم تقومون بالثورة الاشتراكية و بعد لا تعرفون أين توجد البرجوازية . إنها بالضبط داخل الحزب الشيوعي – أولئك فى السلطة السائرين فى الطريق الرأسمالي ".

و لتوضيح أنّ هذا صراع حياة أو موت حول أيّة طبقة ستحكم الصين ، البروليتاريا أم البرجوازيّة ، إستخلص ماو تسى تونغ أنّ " أتباع الطريق الرأسمالي لا زالوا يتّبعون الطريق الرأسمالي ". و هذا الموقف و غيره من المواقف التي أصدرها ماو كانت موجّهة ليس ضد دنك سياو بينغ فحسب (الذى قال عنه كذلك إنّه " يمثّل البرجوازيّة " و إنّه " لا يميّز بين الإمبرياليّة و الماركسيّة ") و إنّما أيضا ضد أتباع الطريق الرأسمالي الآخرين بمن فيهم شو آن لاي ذاته الذى كان ينهض بدور أهمّ مشجّعا لليمين . و كان هذا معلوما بدرجة كبيرة داخل الصين و قد تبيّن بصفة واسعة بحملته الشاملة لإعادة الإعتبار لأتباع الطريق الرأسمالي غير التائبين كدنك سياو بينغ الذين أطاحت بهم الثورة الثقافيّة و بتشجيعه للبرنامج التحريفي في المستويات العليا للحكم (مثال ذلك ، أعدّ شو دنك و إختاره ليكون وزيرا أوّلا عندما ساءت صحّته خلال سنة 1975).

<u>خطاب شو آن لاى لسنة 1949 :</u>

إضافة إلى إختياره للحطّ من قيمة ماو و لمهاجمة هذا الأخير ، يكشف خطاب شو آن لاي لسنة 1949 " لنتعلّم من ماو تسى تونغ "، قدرا كبيرا من الأشياء عن الخطّ السياسي و رؤيته للعالم الديمقراطيّة – البرجوازيّة وقتها . و المظهر المدهش أكثر في خطاب شو الملقى في ماي 1949 – عندما كان تحرير البلاد في آن معا أكيدا و يوشك على الحدوث – هو أنّه لم يتطرّق إلى المرحلة الإشتراكية القادمة من الثورة بالمرّة . و لم يقم إلاّ بإحالة رمزيّة في النهاية على " القيام بالإعدادات للتحوّل إلى صين جديدة إشتراكيةّ " كمجرّد مسألة من عدّة مسائل تواجه الشباب .

و هذه هي بالضبط وجهة نظر الديمقراطية – البرجوازيّة في الصين حيث لم يستطع الديمقراطيّون البرجوازيّون النظر أبعد من إلحاق الهزيمة ب " الجبال الكبرى الثلاثة " ؛ الإمبرياليّة و الإقطاعيّة و الرأسماليّة – البيروقراطيّة و بالنسبة غليهم المهمّة الأساسيّة ا/امهم تكطمن في العمل الشاق و العملي لبناء الصين كبلد عظيم و عصريّ. و مثلما جرى التدليل على ذلك بصورة متكرّرة طوال مسار العقدين و نيّف التاليين ، هذا النوع من النظرة سيغذّى مباشرة الخطّ التحريفي القائل بأنّ دور الجماهير هو أن تضع أنفها في المسنّ و تترك السياسة و شؤون الدولة إلى القادة القدماء و الموظّفين السامين .

و في ما يتّصل بمسألة دفع حركة الثورة إلى الأمام ، شدّ> شو بصفة متكرّرة على أنّه من الضروريّ " الإنتظار و القيام ببعض الإقناع " . و لم يشدّد على تعبأة الجماهير و التعويل على نشاطها الواعي للتقدّم بالثورة . رسالة شو هي التمهّل فالثورة ستمرّ بالثورة الديمقراطيّة لفترة طويلة و عندها فقط سيقع توحيد " الغالبيّة الغالبة " و سيكون من المناسب الشروع في الحديث عن الثورة الإشتراكيّة . و مستخدما الخطّ الديماغوجي للديمقراطية البرجوازية ، حاجج شو بأنّه " عندما لا توافق الغالبيّةالغالبة ، يجب أن نتّبع الغالبيّة تنظيميّا ".

و زيادة على ذلك ، بالضبط كما يدّعى شو في ما يتعلّق بالصراع في صفوف الحزب ، " كانت حرب التحرير إبحارا سهلا، تقريبا " وهو على ما يبدو يتوقّع الإبحار السلس في المستقبل . و في ما يتّصل بتطوّر الخطوط الخاطئة عبّر شو عن أنّ " إمكانيّة حدوث مثل هذه الأوضاع في العمل المستقبلي ستتقلّص ". في هذا لا وجود حتّى لنزر قليل من فهم أنّ الصراع الطبقي يتواصل في ظلّ الإشتراكيّة .

و بصدد هذه المسألة لكيفيّة النظر للمهام الثوريّة الجديدة التي تواجه الشعب الصينيّ سنة 1949 ، هناك فرق شاسع جدّا بين النظرة السياسيّة لماو و تلك لدى شو – و الإختلاف بين بروليتاري ثوريّ -ماو – و ديمقراطي برجوازي – شو . و خلال مختلف مراحل النضال الثولريّ للديمقراطيّة الجديدة ، شدّ> ماو بصفة مستمرّة على حاجة الحزب إلى أن يبقى عينه محدّقة في الثورة الإشتراكيّة و في آخر المطاف الشيوعيّة المستقبليّة ، بالضبط نظرا للنزعة العفويّة الطاغية و الخطر الكبير لمماثلة إيديولوجيا الحزب مع المرحلة الديمقراطيّة المباشرة للثورة . و في بدايات 1949 ، أشار ماو صراحة إلى أنّ التناقض الرئيسيّ الداخليّ عقب تحرير الصين ، سيصبح " التناقض بين الطبقة العاملة و البرجوازيّة ". و رغم أنّ ماو لم يكن حينها قادرا على توقّع الشكل الفعليّ الذى سيتّخذه الصراع الطبقيّ في المستقبل مع تقدّم الثورة الإشتراكيّة و تعمّقها ، فإنّ كامل مقاربته كانت معتمدة بصلابة على الماديّة الجدليّة و قد دعا الجماهير و أعضاء الحزب إلى " نبذ الأوهام و الإستعداد للنضال " .

و في اجتماع هام للجنة المركزيّة للحزب في مارس 1949 ، تقريبا زمن إلقاء شو لذلك الخطاب ، حذّر ماو تسى تونغ من أنّه

" بعد القضاء الأعداء المسلّحين ، سيبقى هناك أعداء غير مسلّحين، و من المؤكّد أنّهم سيناضلون نضالا مستميتا ضدّنا ، فعلينا ألاّ نستخفّ بهم أبدا . و إذا لم نثر هذه المسألة الآن و لم نفهمها على هذا الوجه فسوف نرتكب أخطاء جسيمة جدّا . "

و لاحقا في التقرير عينه ، أعرب ماو عن موقفه الشهير بأنّه :

" قد يكون هناك شيوعيّون لم يستطع العدّو المسلّح قهرهم ، فهم جديرون بلقب الأبطال لصمودهم في وجه العدوّ ؛ و لكنّهم لا يقوون على مقاومة الطلقات المغلّفة بالسكّر ، فيهزمون أمامها . فعلينا أن نكون على حذر من مثل هذا . إنّ إنتزاع النصر على نطاق البلاد ليس إلاّ الخطوة الأولى فىلا مسيرة كبرى لمسافة عشرة آلاف لى . "

(ماو تسى تونغ ، **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد الرابع ، ص 374 من الطبعة باللغة الأنجليزيّة و ص 474 من الطبعة باللغة العربيّة ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين).

و إثر شهرين من ذلك ، لم يُشر خطاب شو إلى الموقف الأخير لماو " إنتزاع النصر على نطاق البلاد ليس إلاّ الخطوة الأولى فىلا مسيرة كبرى لمسافة عشرة آلاف لى " و لم يربطه بشكل صريح بمزيد العمل العسير و الشاق " فاصلا إيّاه تمام الفصل عن مواصلة الصراع الطبقيّ .

و في ذلك التقرير نفسه لماو ، إنتقد هذا الأخير الناس الذين كانوا داخل الحزب و خارجه يحاججون من أجل عقد مسالومة مع الإمبرياليّة الأمريكيّة حتّى وهي التي قد سلّحت تشان كاي تشاك قمّة التسليح و ما إنفكّت تحاول خنق الصين و الهيمنة عليها . و بالنسبة إليهم ، لا يمكن للصين بجهودها الخاصة و حتّى بمساعدة الإتّحاد السوفياتي أن تطوّر إقتصادها . و قد ردّ ماو محاججا بأنّه بالتعويل على جماهير الشعب الصينيّ و أوّلا و قبل كلّ شيء بالتعويل على الطبقة العاملة و بدعم الطبقة العاملة في بلدان العالم و بالأخصّ في الإتّحاد السوفياتي الإشتراكي ، " لا وجود مطلقا لأرضيّة للتشاؤم حول نهوض الاقتصاد الصينيّ " .

أمّا بالنسبة إلى الإتّهامات القائلة بأنّ الحزب كان يميل بثقل بإتّجاه الإتّحاد السوفياتي ، فقد ردّ ماو بأنّ " كلّ الصينيّين بلا إستثناء ينبغي أن يميلوا إمّا إلى جانب الإمبرياليّة أو إلى جانب الإشتراكيّة . الوقوف على الربوة لن يكون مجديا و لا وجود لطريق ثالثة ".و حينها مثلما هو الآن موقف ماو هذا فضح و يفضح مظهرا مستمرّا لدىي التحريفيّين الصينيّين – " ميلهم " و في نهاية المطاف سقوطهم كلّيا في شباك هذه الكتلة أو تلك من البلدان الإمبرياليّة .

و قد أشار ماو إلى أنّ مثل هؤلاء الناس كانوا يشبهون الديمقراطيّين البرجوازيّين لمنعلاج القرن الذين كانوا ينظرون إلى الإمبرياليّة الغربيّة و نموذج تعصيرها الرأسمالي لإنقاذ الصين . و فمعارضة هذا قال ماو إنّه على الصين أن تتّبع و ستتّبع الطريق الإشتراكي – " الإشتراكيّة وحدها بوسعها إنقاذ الصين " . كما أكّد ذلك بشكل متكرّر . فكان ذلك ردّا مباشرا على أناس مثل شو لم يكن خطّهم ليؤدّى بالنضال بإتّجاه الإشتراكية و إنّما لن يفلح حتّى في إنجاز مهام الثورة الديمقراطية المعادية

للإمبرياليّة ، بالضبط مثلما يؤدّى خطّ شو و ورثته المعادين للثورة بالصين مرّة أخرى إلى التحوّل إلى أرض وليمة للكواسر الإمبرياليّة .

و من المهمّ الإشارة هنا إلى كون حكومة الولايات المتّحدة أعلنت في المدّة الأخيرة ما تزعم أنّها مذكّرة أبقيت سرّية لما يناهز الثلاثين سنة و مضمونها أنّه في جوان 1949 ، قام شو آن لاي بإنفتاح سرّي على حكومة الولايات المتّحدة من خلال طرف ثالث ، معلما إيّاها بأنّه (شو) يُمثّل كتلة " ليبراليّة " صلب الحزب الشيوعيّ الصينيّ ترغب في أن تكون" مستقلّة " عن الإتّحاد السوفياتي و تطلب من الولايات المتّحدة العون لتطوير الاقتصاد الذى كان شو ، حسب ما ورد في تقرير ، يرى أنّه على حافة الإنهيار و يحتاج هذا التقرير إلى مزيد البحث فيه و حوله إلاّ أنّ مثل هذا الإنفتاح منسجم سياسات شو التي ظهرت مرارا و تكرارا في السنوات التالية – و بصورة أوضح في دفاعه بإستماتة في بدايات سبعينات القرن الفارط ، إلى جانب دنك سياو بينغ ، عن إستراتيجيا خطّ " العوالم الثلاثة " الإستسلاميّة و عن التعويل على البلدان الإمبرياليّة الغربيّة في الحصول على التكنولوجيا و الرأسمال الضروريّين ل " تعصير " الصين على أساس رأسماليّ.

و ينسجم كذلك خطاب شو أمام الندوة الشبابيّة الهامة سنة 1949 تماما مع نظرة منحرفة كلّيا للعلاقة بين القادة والجماهير . ففي الفقرة الأولى من ما جرى نسخه من ذلك الخطاب ، قال شو : " يجب أن يكون لدينا قائد نقبل به جميعنا لأنّ هذا القائد سيرشدنا في سيرنا إلى الأمام ". (**مجلّة بيكين** عدد 43 ، صفحة 7) و زعم في ما بعد أنّ الحزب لن يعرف الكثير من صراعات الخطّين مستقبلا =لأنّ " الغالبيّة الغالبة من رفاقنا تقبل به [ماو] كقائدنا و تثق فيه ثقة حقيقيّة و غضلا عن ذلك هو يتمتّع بمساندة الشعب " . (ص 12) . بكلمات أخرى ، فهمه هو أنّ دور القائد هو جعل نفسه " مقبولا " من طرف الجميع و الآن و قد حصلنا على قائد له هذا القبول العام ، لن نزعج أنفسنا بمشاكل صراع الخطّين هذه كما حدث سابقا . و هذه بالفعل صورة لكيفيّة تفكير شو – محاولا كسب القبول العام و تجنّب صراع الخطّين صراحة تجنّب الوباء – إلاّ أنّه بعدي بُعد السماء عن الأرض من طريقة عمل قيادي شيوعي حقيقيّ مثل ماو تسى تونغ .

و ذو دلالة كبربلا هو واقع أنّه في حثّ الشباب على " لنتعلّم من ماو تسى تونغ " إختار شو آن لاي التأكيد على شيئين إثنين هما : 1- أنّ ماو يُطبّق بالملموس الماركسيّة – اللينينيّة على الوضع الخاص للصين و 2- أنّه من الضروريّ دائما " كسب الغالبيّة الغالبة " قبل القيام بأيّ شيء . لماذا وهو يزعم شرح فكر ماو تسى تونغ ، أكّد شو كلّ هذا التأكيد على هتين النقطتين و على هتين النقطتين فحسب ؟ و على الرغم من كونه يشير " بتواضع " إلى أنّ " ما قلته ليس سوى جزء صغير من فكر ماو تسى تونغ " (ص 14) ، فإنّ مرمى خطابه هو تقليص فكر ماو تسى تونغ إلى فكر إنسان عاديّ ليجعلهم يبقون نظرهم على ما هو ملموس و الإقناع بتؤدة للغالبيّة الغالبة قبل محاولة القيام بأيّ عمل . و هكذا ، يجرى تشويه الدور الطليعي للشيوعيّين ليصبح دور منقذين متنازلين أو حكماء كنفيشيوسيّين يظلّون بصبر يقدّمون جواهر الحكمة إلى أن تستفيق الجماهير المتخلّفة و تتبنّاها . و عبر الخطاب بأكمله ، يشدّد شو التشديد كلّه على الممارسة في تعارض مع النظريّة ، على ما هو مباشر مقابل ما هو بعيد المدى ، على " الوقائع " مقابل الفهم النظريّ لجوهر الأشياء ، و على الديمقراطيّة الجديدة و ليس على الإشتراكيّة إلخ . خطّه هذا يمنيّ تماما .

و بإستمرار يحذّر شو الشباب من أن يكون سطحيّا ، متغطرسا و طائشا ؛ لكن هذا هو قمّة نفاق شو آن لاي . " أنا نفسى كنت متعجرفا في الماضي " ، أقرّ بذلك في عرض لتواضع زائف . و يستطرد ، طبعا ليس من اليسير للجيل الأصغر سنّا الحصول على هذه الميزات الجيّدة ". (المصدر السابق ، ص 14)

و على العكس من ذلك ، وجّه ماو نقده للغطرسة أساسا لهؤلاء القادة القدماء الذين يفكّرون في أنّه إعتبارا للمسالهمات التي قدّموها للثورة يستحقّون معاملة خاصة و بوسعهم الإكتفاء بنجاحاتهم .

سنة 1939 ، ألقى ماو تسى تونغ خطابا معروفا جدّا في يانان بمناسبة الذكرى العشرين لحركة 4 ماي و عنوانه " **؟إتّجاه حركة الشبابية "** . و سأل " ما هو المقياس الذى نعرف به شابا من الشباب و نحكم بأنّه ثوريّ أو غير ثوريّ ؟ ليس هناك سوى مقياس واحد ، ألا وهو رغبته أو عدم رغبته في الإندماج مع الجماهير الغفيرة من العمّال و الفلاّحين ، و تنفيذ هذه الرغبة أو عدم تنفيذها . فهو اليوم ثوريّ . و إلاّ فهو غير ثوريّ أو معاد للثورة . " (**مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة ،** المجلّد الثاني ، ص 246 من الطبعة باللغة الأنجليزيّة ، الصفحة 338 من الطبعة باللغة العربيّة) . هذا ما شدّد عليه ماو وهذا ما " نسي " شو الإشارة إليه . (و بطبيعة الحال هذا أحد مظاهر خطاب شو الذى يجب أن يجده الحكّام التحريفيّون الحاليّون للصين جذّابا بوجه خاص لأجل تحقيق مخطّطاتهم في إنشاء جيل جديد من " الشباب الموهوب " الذى سيتزعّم " التعصيرات الأربعة ").

و في حين إعترف ماو بأنّ الشباب تنقصهم التجربة ، فقد أكّد على أنّهم " لقد لعبوا دورا طليعيّا معيّنا ، وهي حقيقة يعترف بها الجميع بإستثناء المتعنّتين " (المصدر السابق ، ص 245 من الطبعة باللغة الأنجليزيّة ، و ص 336 من الطبعة باللغة العربيّة

من الدروس العامة المشستخلصة من من خطاب شو أمام هؤلاء الشباب المجتمعين في بيكين في جوان 1949 ، كيف يمكنهم أبدا " أن يصبحوا قادة و يسيروا في مقدّمة الصفوف الثوريّة " – مثلما دعا ماو شباب الصين إلى القيام بذلك في 1939 . و في السنوات الاحقة ، وسّع ماو من تفكيره بشأن دور الشباب ليشير صراحة إلى أنّ إطلاق العنان لجرأة الشباب و تمرّده كان حيويّا لمواصلة تغيير المجتمع و تثويره و تعميق الثورة الإشتراكيّة . إنّ شو يحذّر الشباب من محاكاة أشخاص عظماء مثل ماو و من العمل الشاق و " الإنتباه و الحذر و إقتراف أقلّ قدر ممكن من الأخطاء " (**مجلّة بيكين** ، عدد 43 ، ص 14).

و في ثنايا خطاب شو آن لاي يقع تقليص فكر ماو تسى تونغ عمليّا إلى " فكر الديمقراطية الجديدة " و قد أُفرغ من مضمونه و جوهره الثوريّين و ماو الذى يدعو شو الشباب إلى " التعلّم منه " يُقدّم على أنّه ليبرالي عاديّ و شيوعي" ذهنيّته عمليّة ". إنّ شو يُصوّر ماو كما كان شو نفسه – رجل ذكيّ إكتسب ملكيّة " حقيقة الماركسية – اللينينيّة " ، و بعد تحقيقه لذلك لم يعد يهتمّ إلاّ لمشاكل تطبيقه . و كما شدّد على ذلك شو عينه ، " المبادئ التي تمّ الإشتغال عليها يجب تطبيقها عمليّا " ،" الرئيس ماو لا يشارك في الكلام الفارغ ، لا يهتمّ إلاّ للحقيقة " إلخ .

و هذا على وجه التحديد هو نوع " الشيوعي " البراغماتي الذى كان يمثّله شو آن لاي – و لماذا يقف كمنوذج وجب الحذو حذوه بالنسبة إلى حكّام الصين الجدد التحريفيّين . في الواقع ، ماو يؤكّد على الممارسة و على ربط النظريّة بالممارسة لكن ما يؤطكّد عليه هو ربط النظريّة الثوريّة بالممارسة الثوريّة . و كامل نظرة ماو الفلسفيّة أكّدت على الجدليّة على أنّ التناقض، وحدة الأضداد و صراعها ، هو القوّة المحرّكة للعالم ؛ و تطبيق الماديّة الجدليّة على دراسة المجتمع و على ذلك الأساس تغيير العالم بواسطة الصراع . و قد نقد ماو " أصحاب العمل الروتينيالضيّقو التفكير " الذين " يقدّسون التجربة بينما يحتقرون النظريّة ، و نتيجة لهذا يعجزون عن إدراك العمليّة الموضوعيّة ككلّ فيفتقرون إلى أفتّجاه الواضح و النظرة البعيدة المدى ، و يرضون بالنجاحات الوقتيّة و النظرات الضيّقة . و إذا قام أمثال هؤلاء بتوجيه الثورة فسيقودونها إلى زقاق مسدود " .

(" **في الممارسة العمليّة** " ، المجلّد الأوّل من " **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** "، ص 303 من الطبعة باللغة الأنجليزيّة، ص 444 من الطبعة باللغة العربيّة ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين).

محاولة شو تصوير ماو على أنّه رجل " لنفعل هذا " مرتبط بتصوير ماو على أنّه ليبرالي ذهنيّته ديمقراطية كان ينوى ببساطة ترك كلّ وجهات النظر تتنازع بينما " ينظر و يقوم ببعض الإقناع " إلى أن تحصل وجهة نظره في نهاية المطاف على الغالبيّة . لكن هذا مجدّدا يقلب رأسا على عقب دور ماو الذى كان خصما عنيدا لكلّ نوع من أنواع التحريفيّة و الإنتهازيّة . طوال مسار الثورة الصينيّة ، في جبال شنكانغ في أواخر عشرينات القرن العشرين إلى القفزة الكبرى إلى الأمام أواخر خمسينات القرن العشرين و الثورة الثقافيّة في الستّينات و السبعينات ، وجد ماو غالبا جدّا نفسه أقلّيا ضمن رفاقه القدماء الذين كانوا تقريبا جميعا من قدماء حرب التحرير . و ما ميّز ماو هو أنّه لم يتوقّف قط عن النضال ضد الخطوط الخاطئة و أنّه كانت له ثقة في و كان يعتمد على فهم عميق لقوانين المجتمع و الصراع الطبقيّ و أنّ الجماهير الشعبيّة كانت قادرة تماما على إستيعاب خطّ ثوريّ و تغيير العالم .

و تتبع ليبراليّة شو أيضا من زعمه أنّ عددا كبيرا أكثر من اللازم يقع إعدادهم – وهو بالتأكيد ما لم يكن خطّ ماو حينها ، سنة 1949 لمّا كان جيش التحرير الشعبيّ يحرّر مناطق شاسعة من البلاد و كانت جماهير العمّال و الفلاّحين تحاسب الطغاة و المضطهِدين الذين أثقلوا كاهلكهم لمدّة طويلة جدّا . و قد أشار ماو إلى أنّه دون قمع المعادين للثورة و إعدام الذين قد إقترفوا جرائما جدّية في حقّ الشعب ، لن ترفع الجماهير الشعبيّة رأسها بشكل تام . و هذه النقطة شدّد عليها ماو بصفة مستمرّة طوال بدايات الخمسينات و حركة قمع المعادين للثورة .

و بداهة يعتقد الحكّام التحريفيّون بأنّ إعادة طباعة مثل هذا الخطاب لشو آن لاي سترفع من مكانته على أنّه ثوريّ . و مع ذلك ما يقوم به فعلا هو توفير صورة واضحة عن نظرة شو الديمقراطية البرجوازيّة غداة التحرير سنة 1949 ، و هذا أمر قيّم للغاية سيما و أنّ شو لم يكتب الكثير (وهذه ميزة نموذجيّة لدي عديد " الشيوعيّين " العمليّين الذين يجب أن تتغيّر " مبادئهم " بسرعة وفق ما تتطلّبه الأوضاع).

خطاب شو آن لاي حول المثقّفين سنة 1956 – مزيد من الزبالة التحريفيّة :

في مقال هام يبالغ في كيل المديح لمساهمات شو آن لاي في الثورة الصينيّة ، كتبته المجموعة النظرّيّة لمجلس الدولة في بدايات 1977 ، زعم التحريفيّون أنّ " الوزير الأوّل شو قد أعار دائما أهمّية للوحدة مع المثقّفين و تربيتهم و إعادة تشكيل أفكارهم ". و كدليل على ذلك ، يحيل بشكل صريح على ندوة خاصة متعلّقة بالمثقّفين دعت إليها اللجنة المركزيّة للحزب سنة 1956 حيث " قدّم الوزير الأوّل شو تقريرا هاما لعب دور له دلالته في تشجيع إعادة التشكيل الإيديولوجي للمثقّفين و تعبأة حماسهم من أجل الإشتراكيّة ." (" **مجلّة بيكين** ، عدد 3 ، 1977، ص 15)

و مع ذلك ، إذا نظرنا إلى التقرير الفعلي لشو (الذى ترجمته حكومة الولايات المتّحدة فور نشره من قبل وكالة أنباء الصين الجديدة سنة 1956) ، نعثُر على أنّ خطّه مناقض بالضبط لهذا . فبينما بالكاد يُشير إلى إعادة تشكيل فكر المثقّفين ، يحطّ جدّيا من أهمّية هذه المهمّة و يفصلها تمام الفصل عن مواصلة الصراع الطبقي في ظلّ الإشتراكيّة و كذلك يفصلها تمام الفصل عن إدماج المثقّفين و تدريبهم مع العمّال و الفلاّحين ؛ وهو بوضوح " يموّن " المثقّفين ب " طموحات للتقدّم في المراتب " و ينادى بتوفير أجر أفضل لهم و المزيد من الإمتيازات و " الإحترام " و يتقدّم بنظرة تحريفيّة مفادها أنّ العلم والتقنية و" المثقّفين ذوى التدريب العالي المستوى " الضروريّين لأستخدامها ، يحتلّون الدور المركزيّ في بناء الإشتراكية.

و هناك سبب وجيه يكمن وراء كون حكّام الصين الحاليّين يروّجون لهذا التقرير لشو آن لاي ، ألا وهو أنّه يُقدّم جوهريّا و بعدّة مظاهر خاصة ذات الخطّ التحريفي بشأن مسألة المثقّفين و العلم و التكنولوجيا التي يضعونه في الوقت الراهن موضه الممارسة التطبيقيّة بإنتقام . و خطابات ماو تسى تونغ بخصوص المسائل ذاتها في 1956-1957 و حتّى بأكثر دقّة في السنوات التالية ، تقف في تعارض أساسيّ مع خطّ شو .

و هنا تجب الإشارة إلى أنّ مهمّة إنجاز البناء الاقتصادي وفق الطريق الإشتراكي في الصين – بلد متخلّف إقتصاديّا له إرث هيمنة إمبرياليّة و ركود إقتصادي كان مسألة حيويّة بالنسبة إلى الحزب الشيوعي الصيني . و خاصة و بالذات إثر 1949 ، كانت ثمّة حاجة إلى التعويل على المثقّفين و " الأخصّائيّين " التقنيّين و حتّى المدراء الصناعيّين – و جميعهم قد تدرّبوا في المجتمع القديم و تمتّعوا بقدر كبير من الإمتيازات نسبة إلى الجماهير الشعبيّة الكادحة التي فُرض عليها البقاء في الجهل و حُرمت من هذا الصنف من المعرفة في ظلّ تقسيم العمل في المجتمع القديم . و هذه الضرورة للتعويل إلى درجة معيّنة على المثقّفين الذين لا تزال نظرتهم إلى حدّ كبير بعدُ برجوازيّة قد عزّ.ت بطريق الحتم التأثيرات البرجوازيّة و القوى البرجوازيّة في المجتمع و صلب الحزب كذلك .

و قد إعترف ماو تسى تونغ بضرورة الوحدة مع عديد المثقّفين و إستخدامهم – لا سيما في أواسط الخمسينات حينما كانت الصين تدخل في نزاع حاد متصاعد مع الإتّحاد السوفياتي و كانت تشعر بأنّ التدريب السريع و الإستخدام السريع لأعداد واسعة من المثقّفين الصينيّين صارا أمرا ملحّا أكثر للتخفيف من مدى الإرتباط بالسوفيات . و مع ذلك ، شدّد ماو على أنّه يجب إعادة تشكيل فكر المثقّفين و يجب أن يشاركوا في العمل المنتج و الصراع السياسي جنبا إلى جنب مع الجماهير . و شدّد ماو بصورة مستمرّة في ذلك الوقت بالذات على أنّه دون مثل إعادة التشكيل الفكريّ هذه للمثقّفين سيتحوّلون إلى قوّة رجعيّة خطيرة نظار لمواقفهم و تأثيرهم الإستراتيجيّين في المجتمع .

هذه النظرة الشاملة لماو ، النظرة البروليتارية الثوريّة غائبة كلّيا من تقرير شو . فبالنسبة لشو المسألة الجوهريّة هي أنّ الأخطاء السكتاريّة المعيّنة في التعاطى مع المثقّفين ، " ممتلكات الدولة الأثمن " هي منعهم من المساهمة التامة في مهمّة بناء الإشتراكيّة . ما عدا مهمّة " التخلّص " من القلّة القليلة الباقية من المعادين للثورة و العناصر المزدوجة ، لم يعد الصراع الطبقي حيويّا وفق شو . و بدلا من تحذير عناصر الحزب و المثقّفين من خطر الرصاصات البرجوازيّة المغلّفة بالسكّر ، يدعو شو إلى مزيد مثل هذه الرصاصات و إلى جعلها أحلى ما أمكن .

ماو بصدد المثقّفين :

و من الجهة الخرى ، طرح ماو تسى تونغ المسألة بطريقة مختلفة جوهريّا . في " **حول المعالجة الصحيحة للتناقضات في صفوف الشعب** " في بدايات 1957 ، أقرّ ماو بأنّ الصراع الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازيّة سيكون " طويل المدى و متعرّجا و أحيانا حادّا للغاية " . و أكّد ماو أنّ :

" إنّ حسم نتيجة الصراع الإيديولوجي بين الإشتراكية و الرأسماليّة في بلادنا يتطلّب فترة طويلة أخرى . و السبب في ذلك هو أنّ تأثير البرجوازيّة و المثقّفين الذين إنحدروا من المجتمع القديم سيظلّ في بلادنا لفترة طويلة ، وهو سيدوم ، بصفته

إيديولوجية طبقيّة ، زمنا طويلا أيضا . فإذا لم ندرك هذا الوضع كما ينبغي أو لم ندركه بتاتا فسوف نرتكب أفدح الأخطاء و نهمل شنّ الصراع اللازم في الحقل الإيديولوجي . "

(**مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد الخامس ، ص 409- 410 الطبعة باللغة الأنجليزيّة ؛ " **مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ** "، ص 19-21 ، الطبعة باللغة العربيّة ، دار النشر باللغات الأجنبيّة ، بيكين)

و لأجل الحطّ من قيمة خوض بالذات مثل هذا الصراع الإيديولوجي ، يزعم شو أنّ " الغالبيّة الغالبة من المثقّفين أصبحوا يعملون لدى الحكومة خدمة للإشتراكيّة و هم بعدُ جزء من الطبقة العاملة " . و ضمن المثقّفين الأعلى مراتبا الذين يهتمّ لأمرهم شو بوجه خاص ، يذكر إحصائيّات تقول إنّ 45 بالمائة " يساندون بنشاط الإشتراكيّة " و 40 بالمائة يساندون الحكومة لكنّهم ليسوا " تقدّميّين بما فيه الكفاية " ، بينما الباقين عناصر متخلّفة و معادية للثورة . بهذا في الذهن ، دعا شو إلى إنتداب ثلث المثقّفين الأعلى مراتبا إلى صفوف الحزب مع سنة 1962.

و كان لماو ما يقوله بشأن هذه المسألة أيضا . ففي بدايات 1957 ، قال إنّ فقط 10 بالمائة من مثقّفى البلاد الذين يعدّون خمسة ملايين يتخذون " موقفا صلبا – موقفا بروليتاريّا " . أمّا الغالبيّة العظمى ، فقد صنّفها ماو على أنّها " متذبذبة " . و يحتاج هؤلاء المثقّفين " بعد أن يقطعوا أشواطا كبيرة قبل أن يعوّضوا تماما النظرة البرجوازية إلى العالم بالنظرة البروليتاريّة إلى العالم " . و فيما ساند ماو إنتداب المثقّفين المتقدّمين سياسيّا إلى صفوف الحزب ، فقد أشار بعدُ إلى أنّه " حتّى هؤلاء المثقّفين في الحزب يتذبذبون بإستمرار و " يخشون التنّين من أمامهم و النمر من ورائهم " " و واصل للتشديد على جعل العمّال و الفلاّحين المتقدّمين العامود الفقريّ للحزب . (" **خطاب في الندوة الوطنيّة للحزب الشيوعي الصيني حول عمل الدعاية** " ؛ **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد الخامس ، ص 424-425 ، الطبعة باللغة الأنجليزيّة).

و أمّا بالنسبة إلى موقف شو بأنّ المثقّفين قد إلتحقوا بالطبقة العاملة ، فقد أشار ماو إلى أنّهم جزء من البرجوازيّة الصغيرة التي " بالكاد إبتدأت " إعادة تشكيل تفكيرها . و من غير المفاجئ أنّ خطّ شو هنا ببساطة هو ذات خطّ دنك سياو بينغ الذى ألقى التقرير عن الدستور في المؤتمر الوطني الثامن للحزب ، نهاية 1956. و كجزء من هذا الخطّ التحريفي القائل بأنّ الصراع الطبقي كان يموت و أنّ الإختلافات الطبقيّة الشديدة لم تعد تعكس الوضع الجديد للصين ، حاجج دنك أنّ " الغالبيّة الغالبة من مثقّفينا أصبحوا الآن سياسيّا إلى جانب الطبقة العاملة ، و هناك تغيّر سريع في خلفيّتهم الأسريّة . و الظروف التي كان يوجد فيها فقراء المدن و الحرفيّين كفئة إجتماعيّة مستقلّة قد ألغيت فعليّا " .

و بخصوص سياسات شو في إعادة تربية المثقّفين ، فهو ينادى بتنظيم المزيد من الزيارات إلى مشاريع البناء الإشتراكي و بعمل المثقّفين في مواقع شغلهم و بالدراسة النظريّة التي يشدّد على أن لا تدخل في نزاع مع " مهامهم الحرفيّة " التي تشكّل " على ألقلّ خمسة أسداس يوم العمل " و التي ينبغي الحفاظ عليها . و علاوة على ذلك ، حجر الزاوية في برنامج شو للمثقّفين ينادى ب الاهتمام ب " طموحاتهم للتقدّم في المراتب " – و هو ما لا يمكن أن " يربّي " المثقّفين أساسا إلاّ على سلوك إتّجاه برجوازيّ.

و فقط بعد سنة من ذلك ، لفت ماو الإنتباه إلى واقع أنّه " ضمن الطلبة و المثقّفين وُجد حديثا تراجع في العمل الإيديولوجي و السياسي و ظهرت بعض التوجّهات غير الصحّية . و يبدو أنّ بعض الناس يفكّرون في أنّه لم تعد هناك حاجة للإهتمام بالسياسة ..." . و في خطابه في الندوة الوطنيّة للحزب حول عمل الدعاية في مارس 1957 ، أحال ماو على أنّ زيارة مناسباتيّة لمصنع أو قرية يشبه " النظر إلى الزهور من على ظهر احصان " . و في حين إعتبر أنّ ذلك أفضل من عدم القيام بأي شيء البتّة ، نصح ماو المثقّفين بالأحرى ب " الاستقرار " في صفوف العمّال و الفلاّحين و بالإعادة التامة لتشكيل نظرتهم إلى العالم . فمثلما شدّد على ذلك ماو ، " لأجل التمكّن حقّا من إستيعاب الماركسيّة ، يجب على المرء ليس التعلّم من الكتب فحسب و إنّما أساسا التعلّم عبر الصراع الطبقيّ ، عبر الممارسة العمليّة و الصلة الوثيقة مع جماهير العمّال و الفلاّحين " (المجلّد الخامس ، ص 426-427).

أمّا شو فيرى أنّ المسألة الجوهريّة هي كيفيّة " تحفيز " المثقّفين ليساعدوا في بناء الصين كبلد عصريّ قويّ . و في صياغة إنتقائيّة يستعملها بإستمرار الحكّام التحريفيّون الحاليّون ، الحلّ في رأي شو هو المزج بين التربية السياسيّة و الهدايا الماديّة . و ينادى شو بتقديم أجور أعلى لهم و بإنشاء أحياء سكنيّة أفضل لهم و بتوفير مساعدين لهم و " إحترامهم " و إعادة تركيز الألقاب و أنظمة التحفيز – بإختصار ينادى بالخطّ الأساسي للقطيعة مع كلّ الفضلات حول " السياسة " و إطلاق العنان للمثقّفين و " طموحاتهم للتقدّم في المراتب ".

و مبيّنا حبّه القويّ لكنفيشيوس لرعاية موقعهم ذي الإمتيالزات نسبة للغالبيّة العظمى من عامة الشعب ، يقول شو إنّه " لأجل تمكين المثقّفين الأعلى مراتبا من بذل طاقة أكبر في عملهم ، يجب أن تجري معاملتهم معاملة مناسبة . بعض

المثقّفين الأعلى مراتبا يجب عليهم أن يقضّوا بلا ضرورة الكثير من وقت العمل في أمور عبثيّة في حياتهم و ينبغي أن يعتبر هذا إهدار لقوّة عمل الدولة " .

ثقة المثقّفين ، لا سيما " المثقّفين الأعلى مراتبا " في إهتمام شو بهم تجازى جيّدا :

" أوّلا ، يجب أن نقول للعاملين بالإدارة في جميع الأقسام المعنيّة أن ينظروا في ظروف حياة المثقّفين كمسألة مهمّة . ثانيا، يجب أن ندرّب المنظّمات النقابيّة في جميع الأقسام المعنيّة و تعاونيّات الإستهلاك على أن يجتهدوا لأجل توسيع خدماتهم المقدّمة للمثقّفين . ثالثا ، يتعيّن أن ندخل تعديلات مناسبة على أجور المثقّفين وفق مبدأ الأجر حسب العمل كي تعادل مداخيلهم مساهماتهم في النهوض بالدولة . نزعة المساواتيّة في أنظمة الأجور و غيرها من المظاهر لاعقلانيّة و يجب إلغاؤها ".

و يلاحظ شو مظهرا " لاعقلانيّا " آخر في معاملة المثقّفين :

" هذا النظام اللاعقلانيّ في الترقيات يمثّل حجر عثرة كبير أمام **طموحات التقدّم في المراتب** لدي المثقّفين و حجر عثرة خاصة أمام تشجيع قوى جديدة و إختيار المثقّفين عامة للمواقع الأفضل . يجب أن نراجع هذا النظام بسرعة . و فضلا عن ذلك ، يجب أن يوجد إجراء هام لتشجيع طموحات المثقّفين في التقدّم في المراتب و تحفيز التقدّم العلميّ و الثقافي في منح المثقّفين درجات و ألقابا ... " (التشديد مضاف) . و عندما عاد شو إلى العمّال و الفلاّحين ، مباشرة إثر ندائه السافر بتقديم إمتيازات جديدة للمثقّفين ، تكشّف الجانب المظلم من " عنايته " الكنفيشيوسيّة بالناس تكشّفا بارزا للغاية .

" علينا أن نربّي العمّال و نجعلهم يفهمون كيفيّة التعاطى الصحيح مع المثقّفين كي لا يمكن أن يكون شعورهم الخاص بإحترام أنفسهم ضعيف بشكل غير متعمّد ، بإعتبار أنّ كافة الشغّالين المستقيمين يجب بشكل غير متعمّد أن يتمتّعوا بإحترام أنفسهم . "

بكلمات أخرى ، كانت رسالة شو إلى العمّال كالتالى : " تعلّموا أين يوجد مكانكم و أرضوا به ". كجميع التحريفيّين الذين يروّجون لإنتهاء الصراع الطبقي ، هذا بصرامة طريق له وجهة واحدة . في حين يدعون الجماهير إلى وضع نهاية لصراعها ضد البرجوازيّة و إيديولوجيّتها الرجعيّة ، يكرّسون طرقا جديدة في التحكّم في العمّال و في قمعهم .

و ليس مفاجأ أنّ برنامج شو للمثقّفين خاصة المثقّفين المدرّبين المحتلّين لمراتب عليا ، يعيد الظهور في كلّ شكله التحريفي الباهر في " منشور اللجنة المركزيّة للحزب حول عقد ندوة وطنيّة بشأن العلم " ، أعدّها دنك و هواو و أمثالهما ، في سبتمبر 1977 :

" يجب علينا النظر إلى أنّ هؤلاء العلماء و التقنيّين الذين حقّقوا مكاسبا أو الذين يتمتّعون بمؤهّلات كبرى من الواجب أن نضمن لهم ظروف عمل مناسبة و نوفّر لهم المساعدين الضروريّين . يجب أن نعيد تركيز الألقاب للعاملين في مجال التقنية و نعيد نظام تقييم البراعة التقنيّة و يجب على مراكز العمل التقنيّة أن تعيّن مسؤوليّات فرديّة . و بالضبط مثلما يجب أن نضمن وقتا للعمّال و الفلاّحين لينخرطوا في العمل المنتج ، يجب أن نوفّر للعاملين بالبحث العلمي لا أقلّ من خمسة أسداس ساعات عملهم كلّ أسبوع للعمل الخاص لحرفهم ". (**مجلّة بيكين** ، عدد 40 ، 1977 ، ص 10)

خطّ شو نجد صداه هنا لدي الحكّام التحريفيّين للصين حاليّا وهو بالضبط العقيدة الكنفيشيوسيّة ل " إعادة تركيز التقاليد " و ينسجم إنسجاما كلّيا مع المفهوم الكنفيشيوسي – و عموما مفهوم الطبقة المستغِلّة – القائل بأنّ الذين يعملون بأذهانهم يحكمون بينما الذين يعملون يدويّا يقع التحكّم فيهم . و كما كان على ماو و البروليتاريّين الثوريّين الآخرين في الحزب الشيوعي الصيني أن يشيروا مرارا و تكرارا تاليا ، في ظلّ الإشتراكيّة مسألة كيفيّة التعاطى مع اللامساواة و التقسيم البرجوازي للعمل الموروث عن المجتمع القديم و ما إذا يجب توسيع أم محاصرة و تقييد " الحقّ البرجوازي " تغدو خطّ تمايز حيويّ بين مواصلة الثورة أم معارضتها .

و لعدّة سنوات قبل وفاته ، أكّد ماو على أنّ المجتمع الإشتراكي الجديد في الكثير من مظاهره لا يختلف كثيرا عن المجتمع القديم ، خاصة في ما يتعلّق باللامساواة في صفوف الناس ، و تناقض العمل الفكري و العمل اليدوي و الإختلافات بين العمّال و الفلاّحين و الإختلافات في المكانة و الأجور إلخ . و قد شرح كيف تظهر البرجوازيّة و تستقى دماء حياتها ذاتها من تناقضات المجتمع الإشتراكي ذاته و كيف أنّ الخطر الساسي يتأتّى من مركز قيادة برجوازيّة سيتشكّل بصفة متكرّرة صلب الحزب عينه للدفاع عن و لتوسيع هذه الإختلافات و اللامساواة و لحماية و إطلاق العنان للقاعدة الإجتماعيّة للفئات ذات الإمتيازات الأكبر . و بيّن ماو أنّ بناء الإشتراكيّة و المضيّ صوب الشيوعيّة يرتهن بالصراع الطبقيّ بلا هوادة ضد البرجوازيّة ، خاصة أتباع الطريق الرأسمالي داخل الحزب ؛ و يستدعى تعبأة الجماهير سياسيّا و تنمية سيادتها على جميع

جوانب المجتمع و بالتالى إقتلاع الأرضيّة التي منها تعيد البرجوازية الظهور بإستمرار هي و إيديولوجيّتها الرجعيّة في ظلّ الإشتراكيّة .

و فقط بشأن هذه النقطة ، كان شو آن لاي يتّبع خطّا في جوهره تحريفيّا منذ 1956. و عندما وُوجه بالمهام الجديدة للتقدّم بالثورة الإشتراكيّة ، أمكنت رؤية الديمقراطي البرجوازي للمرحلة السابقة من الثورة يتحوّل إلى " شخص من الحزب في السلطة يتبع الطريق الرأسمالي " – وهو في موقع إستراتيجي لتشريع سياسات تحريفيّة عبر المجتمع ، و الإستيلاء التدريجي على أجزاء من سلطة الطبقة العاملة ،و يخدم كقيادة عامة للقاعدة الإجتماعيّة البرجوازيّة لإعادة تركيز الرأسماليّة و الجزء المفتاح منها يتشكّل من الفئات الأكثر إمتيازات من المثقّفين و موظّفى الحكومة و " الأخصّائيّين " التقنيّين و ما إلى ذلك .

تطوّر شو إلى خائن تحريفي :

هناك تماما الدور العام الذى إنتهى شو آن لاي إلى لعبه في سبعينات القرن العشرين لمّا تركّز الصراع الطبقيّ في الموقف إزاء الثورة الثقافيّة و مسألة أيّ طريق ستسير فيه الصين كانت تثار بحدّة أكثر من أيّ زمن مضى . و مع ذلك ، عرف هذا مسار تطوّر واضح . و خلال الحركات الجماهيريّة لخمسينات القرن العشرين و ستّيناته ، كان ماو قادرا على كسب دعم شو في مسائل مفاتيح – على أنّ هذا كان غالبا غصبا عنه بما أنّ شو لم يتّحد جوهريّا قط مع الإندفاع الثوريّ لتلك النضالات.

و كان هذا أوّلا و قبل كلّ شيء لأنّ شو و الديمقراطيّين البرجوازيّين أمثاله لا يساندون بعض التغييرات التي تزيل تخلّف الصين إقتصاديّا و ثقافيّا و بالأخصّ إذا كانت الإنتصارات يمكن لاحقا – بعد أن تكون الحركات الجماهيريّة قد إنحسرت – أن تتحوّل إلى رأس مال لتعزّز قوّاتهم و سلطتهم . في كتيّب هام صدر سنة 1975 ، " **بصدد الدكتاتوريّة الشاملة على البرجوازيّة** " [ورد أعلاه في الفصل الأوّل ضمن الوثائق الصينيّة الماويّة المعرّبة] ، عالج تشانغ تشن تشياو هذا الموضوع معالجة مباشرة . و محيلا على أنّ " عددا من الرفاق لم ينخرطوا فى الحزب الشيوعي إلاّ على المستوى التنظيمي ، لكن ليس على المستوى الإيديولوجي " ، كتب تشانغ :

" إنّهم مع دكتاتورية البروليتاريا فى مرحلة معيّنة أو فى ميدان معيّن، و يفرحون ببعض إنتصارات البروليتاريا ، لأنّهم يجدون فيها بعض الإمتيازات . لكن حين يتمّ الحصول على هذه الإمتيازات ، يعتقدون أنّه حان وقت الترجّل و تنظيم المنزل برفاهة." (ص 14 من الطبعة باللغة الأنجليزيّة)

و علاوة على ذلك ، حينما يواجهون تيّارا صاعدا من النضال الجماهيري ، خاصة في المرحلة الأولى من القفزة الكبرى إلى المام و الثورة الثقافيّة ، إستطاع شو و آخرون أن يشعروا في أيّ إتّجاه تعصف الرياح و لهم إحساس كافي لجعلهم يقفزون على السيرورة لأجل المحافظة على مواقعهم . غير أنّه مع بدايات سبعينات القرن العشرين ، لم يعد شو يرى أنّ ذلك لا يزال ضروريّا .

في الواقع ، توفّرت له فرصة كبرى ل " مغادرة الحافلة " – لإصدار موقف حيويّ ضد سير الثورة إلى الأمام . قضيّة لين بياو و نموّ التهديد السوفياتي للصين و تنامى المقاومة في صفوف عديد قادة الحزب و كوادره للإختراقات غير المسبوقة و التغييرات التي حقّقتها الثورة الثقافيّة و كلّ هذا أظهر إلى السطح كافة النزعات التحريفيّة منذ مدّة طويلة لدي شو و قد وحّدها في خطّ معادي للثورة كلّيا – واضعا شو و قادة قدماء آخرين من الحزب المتحالفين معه في معارضة مباشرة لماو لمركز و لمركز القيادة البروليتاريّة التي كان يقوده .

في خطابه الشهير في لوشان سنة 1959 ، قال ماو إنّ شو آن لاي قد " تذبذب " سنة 1956 -1957 أثناء الموجات الأولى من التمرّدالت الجماهيريّة التي إندلعت بقوّة كبيرة أإثناء القفزة الكبرى إلى ألمام سنة 1958-1959 . و بالمعنى الإيديولوجي، وصف ماو هذا بأنّه " سطحيّة و تشاؤم برجوازيّين حزينين و كئيبين " . و في الوقت نفسه ، لاحظ ماو بأنّ شو كان نموذجا للمحافظين قبلا و صالر الآن " موقفه صلبا " .(" **الرئيس ماو يتحدّث إلى الشعب " خطابات و رسائل** 1956-1971 "، قدّم له و نشره ستوارت شرام ، ص 138 من الطبعة بالغة الأنجليزيّة).

و بعد بضعة سنوات فحسب – في وضع السحب المفاجئ للمسالعدة السوفياتيّة و حدوث سلسلة من الكوارث الطبيعيّة – " تذبذب " شو مجدّدا ملحقا قواه بالتحريفيّين المتجمّعين حول ليو تشاوتشى و دنك سياو بينغ للإنقلاب على عديد التغييرات الثوريّة المحقّقة أثناء القفزة الكبرى إلى الأمام . و على ما يبدو كان شو ضالعا في صياغة " ال70 نقطة " السيّئة السمعة للصناعة في بدايات ستّينات القرن العشرين (التي ضمن أشياء أخرى أعادت إرساء العلاوات و العمل بالقطعة و تبنّت قوانينا و ضوابطا واضحة الربح و " الأخصّائيّين " الصناعيّين في مصاف القيادة ، و قلّصت من الوقت الذى يقضيه يقضّيه العمّال في الدراسة و الصراع السياسيّين).

و غالبا ما أشار ماو إلى أنّ في بداية الثورة الثقافيّة ، غالبيّة الحرس القديم في اللجنة المركزيّة لم تتّفق معه معتبرة أنّ وجهات نظره " فات أوانها " . في الواقع ، قال ماو لاحقا : " كنت الوحيد أحيانا المتّفق مع رأيي " . و في حين ناضل ماو مع و كسب في النهاية شو و عدّة قادة آخرين من رسميّيى الحزب المتكلّسين المتجمّعين حول شو للمضيّ مع الثورة الثقافيّة، شعُر بوضوح أنّه كان من الضروريّ تجاوز معظم هؤلاء الناس و تشكيل مجموعة قياديّة تنجز الثورة . ماو و اليسار الثوريّ – و ضمنه كان الثوريّون البروليتاريّون الأربعة الذين تقع شيطنتهم الآن على أنّهم " عصابة الأربعة " ينهضون بالدور القيادي – حشدوا الجماهير للإطاحة بمركز القيادة التحريفيّة الموالي للسوفيات المتجمّع حول ليو تشاوتشى و لاحقا مركز قيادة لين بياو و لتأكيد تحكّمها و تنمية سيادتها على كملّ مجال من مجالات المجتمع . لكن ، في الوقت نفسه ، حاولت قيادات الحزب المتجمّعة حول شو آن لاي أن تضيّق مدى الثورة الثقافيّة و سعت أحيانا إلى إنهائها كلّيا (مثلما حدث ذلك في بدايات 1967).

و إلى درجة كبيرة ، تمثّل دور شو في التحذير ضد " التجاوزات " و حماية و التغطية على الكثير من بيروقراطيّى الحزب المحافظين هؤلاء إزاء نقد الجماهير لهم .

و في هذا الوقت توصّل شو آن لاي و آخرون من قيادات الحزب المتحالفين معه إلى إستنتاج أنّ الدفاع عن الصين و البناء الاقتصادي يرتهنان بعقد تسوية و تحالف مع البلدان الإمبرياليّة الغربيّة – مظهر منسجم مع تفكير شو منذ ربّما فترة طويلة تعود إلى 1949 أو ربّما قحتّى إلى ما قبل ذلك . سياسات شو – سياسات وضع التعصير فوق الصراع الطبقي و وضع الأخصّائيّين البرجوازيّين و " الفعاليّة " في مصاف القيادة متوجّها للعمّال و الفلاّحين بأن يلزموا أماكنهم و أن يقبلوا بذلك و فاتحا الباب على مصرعيه لإستغلال الصين من طرف الرأسمال الأجنبي مقابل التقنية المتقدّمة – تشترك في الكثير مع الخطوط التحريفيّة التي أضحت تحت النيران أثناء السنوات القليلة الأولى من الثورة الثقافيّة (مع إختلاف أساسي هو أنّ ليو تشاوتشى ، " خروتشوف الصين " ، و لين بياو بعده ، كانا يدافعان عن الإستسلام إلى الإمبرياليّين الإشتراكيّين السوفيات بدلا من الإستسلام إلى الإمبرياليّين الغربيّين). رأى شو آن لاي و آخرون أنّ مصالحهم ستخدمها بشكل أفضل هزيمة هؤلاء التحريفيّن من الصنف السوفياتي . و هكذا ألحقوا قواهم بماو و اليسار الثوريّ الذين رؤوا أنّ ليو و تاليا لين بياو و يمثّلان الخطر الأكثر مباشرة ، خطر الإستيلاء على السلطة و إعادة الصين إلى الرأسماليّة .

و مع نهاية 1971 ، كانت قيادة عامة برجوازيّة محورها بشكل متصاعد هو الوزير الأوّل شو في موقع في منتهى القوّة ، نظرا لكلّ من العوامل الداخليّة و العالميّة أيضا . و وضعت خيانة لين بياو عددا من مكاسب الثورة الثقافيّة موضع السؤال، و تصاعدت إمكانيّة هجوم سوفياتي على الصين بشكل ملموس ، ووُجد عدد من كوادر و بعض فئات من الجماهير أرهقهم الصراع الجماهيري .

و بتعلّة معارضة لين بياو حاجج اليمين الذى كانم يقوده شو آن لاي من أجل إعادة الإعتبار لغالبيّة الكوادر الذين أطاحت بهم الثورة الثقافيّة بما في ذلك أتباع الطريق الرأسمالي غير تائبين من مثل دنك سياو بينغ ، بأكثر بقليل من نقد ذاتيّ رمزيّ. و بذريعة مواجهة هجوم سوفياتي قفز اليمين – منرّة أخرى بقيادة شو – على ضرورة القيام ب " إنفتاح على الغرب " لتدافع عن إقامة تحالف إستراتيجي مع الإمبرياليّة الأمريكيّة وكتلتها و سحب الدعم للنضالات الثوريّة حول العالم . (أنظروا مقال **" إستراتيجيا العوالم الثلاثة : إعتذار من أجل الإستسلام "** في عدد مجلّة **" الثورة "** الصادر في نوفمبر سنة 1978 من أجل المزيد عن دور شو آن لاي في تطوير و تكريس هذا الخطّ العالمي الرجعيّ).

و في هذه اللحظة ، رأى ماو الحاجة إلى إعادة الإعتبار لعدد من الكوادر لكن فقط على أساس حفاظ الحزب على خطّ بروليتاري صارم و بالتأكيد ليس على أساس الإنقلاب على الأحكام الصحيحة للثورة الثقافيّة . و قد وافق ماو على ما يبدو على إرجاع دنك سياو بينغ نظرا إلى الحاجة إلى تعزيز الأشياء عقب قضيّة لين بياو إلاّ أنّ ماو قد شدّد على أن يقدّم دنك نقدا ذاتيّا و يتعهّد بمساندة الثورة الثقافيّة – و أمكن لهذا لاحقا إستخدامه فعلا ضدّ دنك حينما قفز من جديد ضد الخطّ البروليتاري و رأى ماو كذلك الحاجة إلى عقد بعض الإتّفاقيّات و المساومات مع الغرب للتعاطى مع التهديد السوفياتي المتنامي للصين . و مع ذلك ، كان ماو يوافق على بعض سياسات شو بأهداف مختلفة كلّيا في ذهنه كما سيتّضح لاحقا .

وفق اليمين ، حان الآن وقت إعادة تركيز النظام و إيقاف كلّ هذه الحركات السياسيّة الجماهيريّة و العودة خلفا إلى ما يهمّ حقّا – مهمّة بناء الصين لتصبح بلدا عصريّا عظيما . و لم يكن من الواجب إلاّ إعلان نهاية الثورة الثقافيّة غير أنّ عديد التغييرات الثوريّة التي نجمت عنها – بما فيها اللجان الثوريّة في المصانع لتعويض إدارة الفرد الواحد و إقامة الشباب المتعلّم في الرياف و البحث العلمي المفتوح الباب – تعرّضت إلى الهجوم و الإنقلاب عليها . و بالرغم من أنّ دنك سياو بينغ قد كان رأس حربة المفضوح في خدمة اليمين ، يعطى الحكّام الحاليّون لشو الثقة التامة على أنّه كان ينهض بدور ريادي في بعث حركة لإعادة تركيز السياسات التعليميّة القديمة التي جرى نقدها أثناء الثورة الثقافيّة و بالخصوص المناداة

" برفع المعيير " و بتسجيل جزء من طلبة المعاهد العليا من صفوف المتخرّجين القدامي " ذوى المهارات ... من المعاهد الثانويّة .

و بلا ريب صارع ماو شو ليجعله يتخلّى عن خطّه الرجعيّ إلى أن توُفّي ش في جانفى 1976 – خاصة لأنّ ماو إعترف بأنّ شو كان يملك قاعدة إجتماعيّة قويّة في صفوف كوادر الحزب و المثقّفين و فئات من الجماهير ، و أقرّ ماو بضرورة كسب أكبر قدر ممكن من هؤلاء . بيد أنّه لم تكن لدي ماو أوهام بشأن شو و ما كان يبحث عنه .

و بالضبط عقب المؤتمر العاشر للحزب أواخر 1973 ، تحالف ماو تحالفا وثيقا مع الأربعة و بصفة مباشرة فتح النار على مراكز قيادة يمينيّة يقودها شو و يتزعّمها بشكل عدواني أكثر دنك سياو بينغ . و إشتدّ صراع حياة أو موت بين البروليتالريا و البرجوازية مذّاك إلى أكتوبر 1976 لماّ إستغلّ اليمين وفاة ماو و جمّع قواته لينظّم إنقلابا معاديا للثورة .

في جميع الحملات التي أطلقها ماو – من حملة نقد لين بياو و كنفيشيوس سنة 1973 و حملة دراسة نظريّة دكتاتوريّة البروليتاريا و قتال التحريفيّة و الوقوف ضدّها ، و حملة نقد مسرحية **هامش الماء** ؛ إلى حملة نقد دنك سياو بينغ و الردّ على ريح الإنحراف اليمينيّ سنة 1976 – كان ماو و الأربعة بأشكال متنوّعة يهاجمون الخطّ السياسي لشو المعادي للثورة و جرى كلّ هذا بإستثناء مهاجمته بالإسم . و كان هذا صحيحا بالخصوص بشأن حملات نقد لين بياو / كنفيشيوس و حملات **هامش الماء** اللتان إستهدفتا بصفة غير مباشرة دنك و شو من ورائه بإعتبارهما من أتباع كنفيشيوس المعاصرين و المرتدّين الذين يسعون لمعارضة الثورة و إعادة تركيز الرأسماليّة و الإستسلام للإمبرياليّة .

[أنظروا " **خسارة الصين و الإرث الثوري لماو تسى تونغ** " ، خطاب هام لبوب أفاكيان ، رئيس اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الثوريّ ، الصفحات 61-93 ، من أجل تحليل أشمل لهذه الفترة] .

و في هذه السنوات الأخيرة ، كان شو آن لاي يتحرّك من وراء الستار موظّفا قدراته البيروقراطيّة المكعتبرة لتعيين قادة يمينيّين في مواقع حزبيّة و حكوميّة هامة ومطلقا العنان لقاعدة إجتماعيّة لإعادة تركيز الرأسماليّة تحت يافطة " التعصير". ماو كعادته النموذجيّة كان يُطلق الحملات الجماهيريّة لنقد أتباع الطريق الرأسمالي و إجتثاث جذور التحريفيّة ؛ و ألقى بثقله ليساند كلّ المساندة مزيد التغيير الإشتراكي و خاصة " الأشياء الإشتراكية الجديدة " التي أفرزتها الثورة الثقافيّة و بذل قصارى جهده الممكن ليسلّح سياسيّا و يعبّأ الجماهير لتحترس من التحريفيّة و لتتّبع طريق الثورة و تبقى أنظارها على الهدف الأسمى ، الشيوعيّة .

و هكذا ، ماو تسى تونغ و شو آن لاي و مراكز القيادة البروليتاريّة و البرجوازيّة التي يمثّلانها – إنتهيا إلى التعارض الجوهري و الشامل . و حتّى قبل عقدين ، كما بيّن ذلك تحليل لمختلف خطاباتهما سنة 1949 و 1956 ، و نظراتهما المختلفتين راديكاليّا على العالم . و كما أشار ماو في السنوات الأخيرة من حياته ، مع تقدّم الثورة الإشتراكيّة و تعمّقها ، قانون موضوعي هو أنّ " الأشباح و الشياطين " – لا سيما ضمن أعلى قادة الحزب مثل شو آن لاي و سابقيه من التحريفيّين أمثال ليو تشاوتشى و لين بياو – يقفزون إلى الساحة كلّ بضعة سنوات من أجل مجابهة قوّة مع البروليتاريا .

خطّ الحزب الشيوعي الثوري حول شو آن لاي :

في السنوات الأخيرة فقط تمكّن حزبنا من التلخيص الصحيح للدور الفعليّ الذى نهض به شو آن لاي في الثورة الصينيّة . في جانفى 1976 ، بالضبط بعد وفاة شو ، جاء في مجلّة " **الثورة** " مقال وصف شو بأنّه كان طوال حياته ثوريّا و شيوعيّا. و رغم أنّ الحزب كان يتابع عن كثب صراع الخطّين في الصين ، و قدّم دعمه التام للخطّ الثوريّ ، لم نفهم بصفة شاملة الدور الذى إضطلع به عديد الأشخاص و منهم شو آن لاي وقتها . و قد كان هذا أيضا نتيجة تأثير مركز قيادة جرفس (برغمان التحريفيّة داخل الحزب الشيوعي الثوريّ فهؤلاء قد تبنّوا الخطّ التحريفيّ للحكّام الحاليّين و الذين كانوا طوال الوقت ينظرون إلى شو على أنّه " نموذج الشيوعي " بالنسبة إليهم .

و من خلال الهزيمة الحيويّة لهؤلاء التحريفيّين في حزبنا أواخر 1977 ، توصّل الحزب الشيوعي الثوري إلى إستنتاجات صحيحة بخصوص الطبيعة الطبقيّة للحكّام الحاليّين للصين و كذلك حول دور شو – الذى تكشّف وضوحه أكثر فأكثر بواسطة التحريفيّين الصينيّين أنفسهم في السنة الأخيرة و بالتأكيد أنّ المزيد من هذا سيظهر مستقبلا .

وبالتالي ، يترتّب علينا بداهة أن ننبذ الموقف الذى إتّخذناه سنة 1976 حول شو آن لاي . و بدلا من إعتبار أنّه " كان طوال حياته شيوعيّا " ، كان شو ديمقراطيّا برجوازيّا طوال حياته التي إنتهت وهو يقود و تاليا بعد موته أصبح نقطة وحدة القوى

المعادية للثورة التي أعادت تركيز دكتاتوريّة البرجوازيّة ضد الشعب الصيني وهي الآن ترجع الصين إلى حياة جهنّم الرأسماليّة .

كامل عظمة خطّ شو آن لاي يقع إستعراضها الآن في الصين وهي متمحورة حول " التعصيرات الأربعة " و إستراتيجيا " العوالم الثلاثة " للإستسلام للإمبرياليّة . و هذا حقًّا إستنتاج مناسب لحياة شو لأنّه يسجّله في التاريخ على أنّه عدوّ لدود للبروليتاريا و ممثّل قيادي للبرجوازيّة الصينيّة التي حاولت أن تعيد إلى الوراء المسيرة إلى الأمام التي شرعت فيها الطبقة العاملة العالميّة بإتّجاه الشيوعيّة .

الملحق الثالث :

فهارس كتب شادي الشماوي

45 كتابا
متوفّرا للتنزيل من مكتبة الحوار المتمدّن

(" الماوية : نظرية و ممارسة " - من العدد 1 إلى العدد 45)

شكر :

و من الشكر جزيله إلى كلّ من ساهم و يساهم بشكل أو آخر فى نشر أعمالنا و نقدها نقدا بنّاء و تقديم المقترحات ... خدمة للثورة البروليتارية العالمية و لقضيّتنا و هدفنا الأسمى ، الشيوعيّة على المستوى العالمي .

فهرس الكتاب الأوّل :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 1 –

علم الثورة البروليتاريّة العالميّة : الماركسيّة – اللينينيّة - الماويّة

ملاحظتان لا بدّ منهما :

1- الترجمة غير رسمية .

2- الفصل الأول معتمد على ترجمة قديمة أعدّها رفاق جرى العمل على ضبطها قدر الإمكان.

فهرس الكتاب الثانى :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 2 –

عالم آخر، أفضل ضروري و ممكن ، عالم شيوعي ... فلنناضل من أجله !!!

6- الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى صراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي.

7- هزيمة الصين الإشتراكية و الدروس المستخلصة للمستقبل.

8- البناء على أساس الموجة الأولى من الثورات الإشتراكية .

خاتمة :

- هدف الماركسية هو الشيوعية.

ملاحظة : المقدّمة العامة و الخاتمة العامّة وملحق الفصل الأوّل بقلم المترجم. و نصوص الفصلين الأوّل و الثاني مقالات وردت فى **"الثورة"** لسان حال الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية أمّا الفصل الثالث فهو محاضرة لريموند لوتا نشرت فى **"الثورة "** و ترجمها إلى الفرنسية و نشرها رفاق الكندا على حلقات فى " الأرسنال أكسبريس ".

فهرس الكتاب الثالث :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 3 –

لندرس الثورة الماويّة فى النيبال و نتعلّم منها

(من أهمّ وثائق فترة 1995- 2001)

فهرس الكتاب الرابع :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 4 –

الثورة الماويّة فى الصين : حقائق و مكاسب و دروس

5- الفصل الرابع : من تحرير المرأة إلى إستعبادها :

1- كسر سلاسل التقاليد جميعها .

2- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

3- النساء فى الصين : السوق الحرة الرأسمالية القاتلة.

4- النساء فى الصين : عبودية السوق الحرة .

5- النساء فى الصين : منبوذات السوق الحرة .

6- الفصل الخامس : من مكاسب الثورة الماوية فى الصين :

1- المكاسب الإقتصادية و الإجتماعية فى ظل ماو.

2- المعجزات الإقتصادية للصين الماوية، حين كانت السلطة بيدي الشعب.

3- كيف قضت الثورة الماوية على الإدمان على المخدرات فى الصين.

4- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

5- كسر سلاسل التقاليد جميعها.

6- معطيات و أرقام من كتاب "25 سنة من الصين الجديدة ".

7- الفصل السادس : إلى الأمام على الطريق الذى خطّه ماو تسى تونغ

8 – خاتمة

المراجع : بإستثناء-1- نصّ "مقتطفات من وثيقة صيغت..." و" إلى الأمام...." وهي نصوص للحركة الأممية الثورية صدرت فى "**عالم نربحه** " و-2- "خرافات حول الماوية " للرفيق أريك سميث من كندا ، و "معطيات و أرقام من كتاب " **25 سنة من الصين الجديدة** "، و-3- المقدّمة العامة و مقدّمة "حقيقة ماو تسى تونغ والثورة الشيوعية فى الصين" و مقال " من صين ماو الإشتراكية إلى صين دنك الرأسمالية..." للمترجم ،

فإن بقية الوثائق مرجعها " **الثورة** " جريدة الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب الخامس :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 5 –

الثورة الماويّة فى النيبال و صراع الخطّين صلب الحركة الأمميّة الثوريّة

2- : **رسالة أكتوبر 2005** إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) :

- الديمقراطية : الشكل و المضمون.
- الديمقراطية الشكلية فى ظلّ الإشتراكية.
- الجمهورية الشعبية أم أشكال إنتقالية؟
- التكتيك و الإستراتيجيا.
- إقتراح يبعث على التساؤل.
- حول "المجتمع الدولي".
- النيبال و النظام الإمبريالي العالمي.
- الديمقراطية و الفئة الوسطى.

ملاحق رسالة أكتوبر 2005 :

- ملحق 1: "التطوير الخلاق للماركسية-اللينينية-الماوية ، ليس للتحريفية".
- ملحق 2 : "مزيدا من التفكير حول : الدولة الإشتراكية بما هي دولة من نوع جديد".

3- : **رسالة 19 مارس 2008** إلى أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية :

- تكتيكات مربكة تطبيقا لخطّ إيديولوجي و سياسي خاطئ.
- ما الهدف : "إعادة هيكلة الدولة " أم "تحطيمها"؟
- الديمقراطية البرجوازية و الديمقراطية الجديدة.
- الديمقراطية البرجوازية "النسبية " أم نظام الديمقراطية الجديدة ؟
- الأرض لمن يفلحها.
- حول الدستور و الحكم الطبقي.
- الممارسة الثورية.
- من يخدع من ؟
- تسليح الجماهير بالحقيقة أم نسج الإرتباك عمدا؟
- توغلياتي و توريز.
- إعادة كتابة تاريخ الحزب.
- مزيد التنكّر للحقائق التاريخية.

- البعد العالمي.

- "مزج الإثنين فى واحد " أم "إزدواج الواحد" ؟

- الدفاع عن الإنتقائية.

- جوهر المسألة - الخطّ الإيديولوجي و السياسي.

- ما هو نوع التلخيص الإيديولوجي الذى نحتاج إليه؟

<u>**رسالة نوفمبر 2008** إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و إلى كافة أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية:</u>

- المشكلة هي خطّ الحزب

- الديمقراطكية الجديدة والإشتراكية حجرين أساسيين فى الطريق نحو الشيوعية.

- معجزة الإنتخابات؟

-" دون جيش شعبي لن يكون هناك شيئ للشعب "

- جزء من إعادة بعث الشيوعية الثورية أم جزء من قبرها ؟

- تلخيص جديد أم ديمقراطية برجوازية قديمة ممجوجة ؟

- "محرّرو الإنسانية" أم مشيّدو سويسرا جديدة ؟

- صراع خطّين أم صراع " الخطوط الثلاثة" ؟

- خلاصة القول : لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة !

<u>3- رسالة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية:</u>

1 جويلية 2006

-الإطار التاريخي.

- التجربة التاريخية و جهودنا.

- الدولة ، الديمقراطية و دكتاتورية البروليتاريا.

- الجمهورية الديمقراطية - شكل إنتقالي .

- الإستراتيجيا و التكتيك.

- الجمهورية الديمقراطية الجديدة للنيبال و الجيش .

- نقاط ملخصة.

- خاتمة

4-" لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة فى النيبال"، الشيوعيون الثوريون الألمان :.

1- دور النظرية و الأخطاء الإستراتيجية التاريخية.

2- الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و النظرة المادية للمجتمع و التاريخ.

3- الهجوم الإستراتيجي ، "حلّ سياسي" و المنهج العلمي الشيوعي.

4- مسألة الإستراتيجيا ،إتفاق السلام الشامل وإفتكاك السلطة عبر البلاد بأسرها.

5- الواقع وواقع المزج القاتل بين الإختزالية و البراجماتية.

الخاتمة.

5- رسالة مفتوحة إلى الحزب الشيوعي النيبالى الموحّد (الماوي) من الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) :

1- تحديد طبيعة الدولة فى النيبال و آفاق إنهاء الثورة.

2- بصدد الحكومة الإئتلافية.

3- بصدد قواعد الإرتكاز و نزع سلاح جيش التحرير الشعبي.

4- بصدد ديمقراطية القرن الواحد و العشرين.

5- بصدد طريق الثورة فى البلدان شبه المستعمرة شبه الإقطاعية : نظرية المزج.

6- بصدد مرحلة الثورة فى النيبال.

7- بصدد فهم الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) للتوسعية الهندية.

8- بصدد الفيدرالية السوفياتية لجنوب آسيا.

9- بصدد طريق برانشندا.

10- بصدد الأممية البروليتارية.

11- لن يتمكّن خط ثوري من إعادة تركيز نفسه و إنجاز الثورة النيبالية إلاّ عبر خوض صراع صارم ضد الخطّ الإنتهازي اليميني الذى تتبعه قيادة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي).

6- ملاحق :

1- حول طرد الحزب الشيوعي النيبالي (ماشال) من الحركة الأمميّة الثوريّة .

2- بعض الوثائق النيباليّة المتّصلة بالإنتخابات و نتائجها فى النيبال :

3- تصريحات ماويّين آخرين حول النيبال :

فهرس الكتاب السادس :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 6 –

جمهوريّة إيران الإسلاميّة : مذابح للشيوعيّين و قمع و إستغلال و تجويع للشعب

بدلا من المقدّمة :

فهرس الكتاب السابع :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 7 –

مدخل لفهم حرب الشعب الماويّة فى الهند

فهرس الكتاب الثامن :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 8 –

تحرير المرأة من منظور علم الثورة البروليتاريّة العالميّة : الماركسيّة – اللينينيّة – الماويّة

الفصل الخامس : الثورة البروليتارية و تحرير النساء

1- الثورة البروليتارية و تحرير النساء ...

2- بيان : من أجل تحرير النساء و تحرير الإنسانية جمعاء.

فهرس الكتاب التاسع :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 9 –

المعرفة الأساسيّة لخطّ الحزب الشيوعيّ الثوريّ ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

(من أهمّ وثائق الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية)

فهرس الكتاب العاشر:

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 10 –

الثورة البروليتارية فى أشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة

و فى

البلدان الإمبريالية – تركيا و الولايات المتحدة الأمريكية

فهرس الكتاب 11 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 11 –

الماويّة تدحض الخوجيّة ومنذ 1979

فهرس الكتاب 12 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 12 –

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ

مقدّمة لشادي الشماوي ناسخ الكتاب و معدّه للنشر على الأنترنت

المحتويات :

18- الوطنية و الأممية.

19- البطولة الثورية.

20- بناء بلادنا بالعمل المجد و الإقتصاد فى النفقة.

21- الإعتماد على النفس و النضال الشاق.

22- أساليب التفكير و أساليب العمل.

23- التحقيقي و الدراسة.

24- تصحيح الأفكار الخاطئة.

25- الوحدة و التضامن.

26- النظام.

27- النقد و النقد الذاتي.

28- الشيوعيون.

29- الكوادر.

30- الشباب.

31- النساء .

32- الثقافة و الفنّ.

ملحق أعدّه شادي الشماوى :

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ بصدد الثورة الثقافية

==

فهرس الكتاب 13 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 13 –

الماويّة تنقسم إلى إثنين

الفصل الرابع : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (1): ردّ من أفغانستان.

ردّ على رسالة غرّة ماي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية .

(الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني)

الفصل الخامس : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (2): ردّ من المكسيك.

الخلاصة الجديدة للشيوعية و بقايا الماضي .

المنظمة الشيوعية الثورية ، المكسيك – ماي 2012

الفصل السادس : خلافات عميقة بين الحزبين الماويين الأفغاني و الإيراني :

أ- الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) سقط في تيه طريق " ما بعد الماركسية – اللينينية – الماوية ".

ب- نظرة على الإختلافات بين الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) و الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني .

فهرس الكتاب 14 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 14 –

برنامج الحزب الشيوعي الإيرانى (الماركسى - اللينينى – الماوى) (2000)

الدولة و الحزب :

الدولة و الإيديولوجيا :

الدولة و الدين :

الدولة و الثقافة :

الدولة و الدعاية :

الحرّية و القمع و المقاربة المتصلة بالمعارضة :

الإقتصاد الإشتراكى :

العلاقة بين البلدان الإشتراكية و الثورة العالمية :

تناقضات النظام العالمى و صورة العالم الراهن :

II / الثورة فى إيران و البرنامج الأدنى

لمحة عن إيران المعاصرة

الهيمنة الإمبريالية :

الرأسمالية البيروقراطية :

شبه الإقطاعية :

ثلاثة جبال و علاقات إنتاج مهيمنة على المجتمع :

الدولة شبه المستعمرة فى إيران :

الجمهورية الإسلامية و ثورة 1979 :

الطبقات و موقعها فى سيرورة الثورة فى إيران

طبقات البرجوازية – الملاكين العقاريين :

البرجوازية الوسطى (أو البرجوازية الوطنية) :

البرجوازية الصغيرة المدينية :

المثقّفون :

الفلاحون :

الفلاحون الأغنياء :

الفلاّحون المتوسّطون :

الفلاحون الفقراء و الذين لا يملكون أرضا (أشباه البروليتاريا فى الريف) :

شبه البروليتاريا المدينية :

الطبقة العاملة :

بعض التناقضات الإجتماعية المفاتيح

النساء :

القوميات المضطهَدَة :

الشباب :

طبيعة الثورة و آفاقها

فى المجال السياسى :

فى المجال الإقتصادى :

فى المجال الثقافى :

الخطوات الفورية و إرساء إتجاه التغيير

بشأن العمّال :

بشأن الفلاحين :

بشأن النساء :

بشأن القوميات المضطهَدة :

بشأن التعليم :

بشأن الدين و النشاطات الدينية :

عن بعض أمراض المجتمع

البطالة :

الإدمان على المخدّرات :

البغاء :

المدن المنتفخة و اللامساواة بين الجهات :

السكن :

الوقاية الصحّية و الرعاية الطبيّة :

الجريمة و العقاب :

العلاقات العالمية :

طريق إفتكاك السلطة فى إيران

أدوات الثورة الجوهرية الثلاث : الحزب الشيوعي و الجبهة المتحدة و الجيش الشعبى :

قواعد الإرتكاز و السلطة السياسية الجديدة :

الإعداد للإنطلاق فى حرب الشعب :

نزوح سكّان الريف و نموّ المدن :

مكانة المدن فى حرب الشعب :

الأزمة الثورية عبر البلاد بأسرها :

حول إستراتيجيا الإنتفاضة المدينية :

حرب شاملة و ليست حربا محدودة :

لنتقدّم و نتجرّأ على القتال من أجل عالم جديد!

فهرس الكتاب 15 / 2014 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 15 –

مقال " ضد الأفاكيانيّة " و الردود عليه

نقاش حاد و جدال ملحّ : النضال من أجل عالم مغاير راديكاليّا و النضال من أجل مقاربة علمية للواقع.

لريموند لوتا

I - إختراق حيوي : " القوّة المحرّكة للفوضى " كديناميكية حاسمة للرأسمالية :

أ- خلفية :

ب- حفريّات فى الإقتصاد السياسي :

II - رفض معالجة طبيعة المراكمة الرأسمالية – أو لماذا " الرأسمالي تجسيد لرأس المال " :

مزيدا عن المنافسة :

III - القوّة المحرّكة للفوضى و العالم الذى يخلقه رأس المال و يدمّره :

أ- الأزمة البيئية :

ب- التمدين والأحياء القصديرية :

ت- الأزمة العالمية ل2008-2009 :

IV - الرهانات : نظام لا يمكن إصلاحه ... هناك حاجة إلى الثورة :

- الهوامش :

ملحق : فهارس كتب شادي الشماوي .

فهرس الكتاب 16 / 2014 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 16 –

الأساسيّ من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته

الملحق 1 : رسالة مفتوحة إلى الشيوعيين الثوريين و كلّ شخص يفكّر جدّيا فى الثورة بصدد دور بوب أفاكيان و أهمّيته.

الملحق 2 : فهارس كتب شادي الشماوي .

==

فهرس الكتاب 17 / 2014 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 17 –

قيادات شيوعيّة ، رموز ماويّة

18- لنتجرّا على أن كون مثل تشانغ تشنغ

الفصل الثاني : تحيّة حمراء لشانغ تشن – تشياو أحد أبرز قادة الثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى الماويين

1- التجرّأ على صعود الجبال من أجل تحرير الإنسانية (جريدة " **الثورة** ")

2- عاصفة جانفي بشنغاي (جريدة " **الثورة** ")

3- بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية (تشانغ تشن- تشياو)

4- على رأس الجماهير و فى أقبية سجون العدوّ : مدافع لا يلين عن الشيوعية.(أخبار "**عالم نربحه** ".)

الفصل الثالث : إبراهيم كايباكايا قائد بروليتاري شيوعي ماوي

1- لن ننسى الرفيق إبراهيم كايباكايا

2- موقف حازم إلى جانب حقّ الأمّة الكردية التى تعاني من الإضطهاد القومي الوحشي فى تركيا ، فى تقرير مصيرها

3- خطّ كايباكايا هوطليعتنا – مقتطف من الماوية تحيى و تناضل ، تكسب و تواصل الكسب

4- بصدد الكمالية (مقتطف)

5- المسألة القومية فى تركيا

الفصل الرابع : شارو مازومدار أحد رموز الماوية و قائد إنطلاقة حرب الشعب فى الهند

1- خوض الصراع ضد التحريفية المعاصرة

2- لننجز الثورة الديمقراطية الشعبية بالنضال ضد التحريفية

3- ما هو مصدر التمرّد الثوري العفوي فى الهند؟

4- لنستغلّ الفرصة

5- مهامنا فى الوضع الراهن

6- لنقاتل التحريفية

7- المهمّة المركزيّة اليوم هي النضال من أجل بناء حزب ثوري حقيقي عبر النضال بلا مساومة ضد التحريفية

8- حان وقت بناء حزب ثوري

9- الثورة الديمقراطية الشعبية الهندية

10- الجبهة المتحدة و الحزب الثوري

===

فهرس الكتاب 18 / 2015 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 18 –

من ردود أنصار الخلاصة الجديدة للشيوعيّة على مقال " ضد الأفاكيانيّة " لآجيث

2- الحزب الشيوعى النيبالى – الماوي (الجديد) و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية :

مقدّمة

الجزء الأوّل : الوضع اليوم و إدعاءات الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي

الجزء الثاني : الحركة الشيوعية العالمية و الحزب الجديد

المنعرج اليميني فى النيبال : مناسبة للغبطة لدى بعض المراكز

ملاحظات مقتضبة ختاميّة عن الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي و الصراع صلب الحركة الأممية الثورية ، و الخلاصة الجديدة للشيوعية :

ملحق من إقتراح المترجم

الثورة النيبالية و ضرورة القطيعة الإيديولوجية و السياسية مع التحريفية .

كلمة للمترجم :

مفترق طرق حاسم : رسالة مناصر للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي المعاد تنظيمه .

3- الشيوعية أم القومية ؟

مقدّمة

1- موقفان متعارضان ، هدفان مختلفان و متعارضان جوهريا :

2- مواصلة تطوير علم الشيوعية أم التمسك بأخطاء الماضى و تمجيدها ؟

3- النظام الرأسمالي – الإمبريالي نظام عالمي :

4- فى البلدان المضطهَدَة : القتال من أجل بلد رأسمالي مستقلّ أم من أجل ثورة تتبع الطريق الإشتراكي كجزء من الإنتقال إلى الشيوعية العالميّة ؟

5- إدماج بلدان فى النظام الرأسمالي – الإمبريالي جعل الثورة الإشتراكية ممكنة فى البلدان الأقل تطوّرا رأسمالياّ :

6- البروليتاريا : طبقة أمميّة فى الأساس أم " بصفة خاصة قوميّة شكلا و مميّزات " ؟

7- الأساس الفلسفي للأممية البروليتارية :

8- عدم قدرة القوميّة الضيّقة على تصوّر السيرورة العالميّة و تفاعلها الجدلي مع التناقضات الداخليّة للبلدان :

9- ما الذى تعلمنا إيّاه التجربة التاريخية الحقيقيّة للثورة البلشفيّة ؟

10 – هل أنّ حملة الحروب الإمبريالية محدّدة أساسا بخصوصيّات كلّ بلد ؟

11- القوميّة و الإقتصادويّة بإسم " الخصوصيّات " أم تغيير الظروف إلى أقصى درجة ممكنة للقيام بالثّورة ؟

12- الأممية – العالم بأسره فى المصاف الأوّل :

13- فى البلدان الإمبريالية " نداء العزّة القوميّة " أم تطبيق الإنهزاميّة الثوريّة ؟

14- الإيديولوجيا الشيوعية فى البلدان المضطهَدَة يجب أن تكون أيضا الشيوعية و ليس القومية :

15- التغيير التاريخي – العالمي من النظام الرأسمالي – الإمبريالي إلى النظام الشيوعي العالمي :

16- الشيوعية أم القوميّة ؟

الهوامش :

4- آجيث – صورة لبقايا الماضى

I - تمهيد : طليعة المستقبل أم بقايا الماضي

II - الثورة الشيوعية و الشيوعية كعلم و مهمّة البروليتاريا ولماذا الحقيقة هي الحقيقة :

- رفض آجيث للشيوعية كعلم

- الماديّة التاريخية : نقطة محوريّة فى الماركسية

- المنهج العلمي فى كلّ من العلوم الطبيعية و الإجتماعية

- آجيث يرفض المنهج العلمي فى العلوم الإجتماعية

- آجيث وكارل بوبر

III - الموقع الطبقي و الوعي الشيوعي :

- " مجرّد المشاعر الطبقية " و الوعي الشيوعي

- دفاع آجيث عن تجسيد البروليتاريا

- مساهمة لينين الحيوية فى الوعي الشيوعي

- البروليتاريا وكنس التاريخ

- القومية أم الأممية ؟

- التبعات السلبيّة للتجسيد فى الثورات الإشتراكية السابقة

IV - هل للحقيقة طابع طبقي ؟

- " الحقيقة الطبقية " كنزعة ثانوية فى الثورة الثقافية

- آجيث و التحزّب الطبقي

V - إستهانة آجيث بالنظريّة :

- نظرة ضيّقة للممارسة و الواقع الإجتماعي

- " الممارسة المباشرة " لماركس و إنجلز لم تكن مصدر تطوّر الماركسية

- يجب على التحزّب أن يقوم على العلم

- الدروس المكلفة ل" الحقيقة السياسيّة "

VI - بعض النقاط عن الفلسفة و العلم :

- مكانة الفلسفة فى الماركسية

- آجيث يفصل بين الفلسفة و العلم

- مقاربة آجيث شبه الدينيّة للمبادئ الأساسية للماركسية

- الحقيقة المطلقة و الحقيقة النسبيّة و تقدّم المعرفة

- إلى أي مدى يمكن أن نكون متأكّدين من معرفتنا ؟

VII - الثورة الشيوعية ضرورية و ممكنة لكنّها ليست حتميّة ... ويجب إنجازها بوعي :

- ماركس و أفاكيان بصدد " الترابط المنطقي " فى التاريخ الإنساني

- الديناميكية الحقيقية للتاريخ و النظرات الخاطئة صلب الحركة الشيوعية

- الحرّية و الضرورة و تغيير الضرورة

- فهم آجيث الخاطئ للحرّية و الضرورة

- قفزة لكن ليس إلى حرّية **مطلقة**

- لا جبريّة فى الثورة

- كيف نفهم القوانين التاريخية ؟

VIII - آجيث يجد نفسه بصحبة ما بعد الحداثة و الدين :

- تقييم أفاكيان الجدلي للتنوير

- هجوم آجيث على التنوير و تشويهه لوجهات نظر أفاكيان

- عن موقف ماركس تجاه الحكم البريطاني فى الهند

- معارضة آجيث ل " الوعي العلمي "

- العلم و المعرفة التقليدية

- آجيث يسقط فى أحضان ما بعد الحداثة

- تعويض الحقيقة ب " رواية شخصية "

- نقد غير علمي للرأسمالية

- معانقة آجيث لمدرسة فرانكفورت

- آجيث و التقليد الكانطي

IX – آجيث يدافع دفاعا بشعا و معذّبا عن الدين و سلاسل التقاليد :

- وضع حجاب على إضطهاد النساء

- التذيّل للقومية و تجميل الأصولية

- أفاكيان بشأن الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " و الصراع الإيديولوجي مع الدين

- الإختيار بين الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " أم التقدّم بطريقة أخرى ؟

X - الخاتمة

فهرس الكتاب 19 / 2015 :

الماوية : نظرية و ممارسة – 19 –

نصوص عن الإنتفاضات فى بلدان عربيّة من منظور الخلاصة الجديدة للشيوعيّة

الفصل الرابع : مصر و تونس و الإنتفاضات العربية : كيف وصلت إلى طريق مسدود و كيف الخروج منه - مقال من مجلّة " تمايزات " :

ملحق 1 : من المقالات الهامة الأخرى .

ملحق2 : مقال إسرائيل ، غزّة ، العراق و الإمبريالية : المشكل الحقيقي والمصالح الحقيقيّة للشعوب

ملحق 3 : فهارس كتب شادي الشماوي.

==

فهرس الكتاب 20 / 2015 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 20 –

نضال الحزب الشيوعيّ الصينيّ ضد التحريفيّة السوفياتية 1956 - 1963 :

تحليل و وثائق تاريخية

===

فهرس الكتاب 21 / 2015 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 21 –

مقدّمات عشرين كتابا عن " الماويّة : نظريّة و ممارسة "

و فى ثنايا هذا العدد 21 من " **الماوية : نظريّة و ممارسة** " ، فضلا عن المقدّمات التى ألّفنا للأعداد السابقة لهذه المجلّة ، بعض الخواتم من تأليفنا و أيضا ملاحق أردناها مكمّلة و متمّمة لمضامين الكتاب برمّته . و هذه الملاحق هي على التوالي :

الملحق 1 : قراءة فى شريط – العدو على الأبواب – ستالينغراد (Enemy at the gates)

الملحق 2 : فهارس كتب شادي الشماوي

الملحق 3 : روابط تحميل العشرين كتابا من مكتبة الحوار المتمدّن

الملحق 4 : كتابات شادى الشماوي و تواريخ نشرها بموقعه الفرعي فى الحوار المتمدّن

(لتنزيل الكتاب بأكمله نسخة بى دة أف ، عليكم بمكتبة الحوار المتمدّن)

http://www.4shared.com/file/p--2OUQsce/__-______-__.html

====================================

فهرس الكتاب 22 / 2015 :

الماوية : نظرية و ممارسة – 22 –

المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ

تأليف بوب أفاكيان

فهرس الكتاب :

==========

تفاصيل الفصول السبعة (إضافة من المترجم) :

فهرس الكتاب 23 / 2016 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 23 –

لا تعرفون ما تعتقدون أنّكم " تعرفون " ...

الثورة الشيوعيّة و الطريق الحقيقىّ للتحرير :

تاريخها و مستقبلنا

ريموند لوتا

عدد خاص من جريدة " الثورة " (عدد 323) ، 24 نوفمبر 2013

www.revcom.us

http://revcom.us/a/323/you-dont-know-what-you-think-you-know-en.html

محتويات الكتاب 23 :

- أكاذيب الفكر التقليدي

- نحتاج إلى ثورة و عالم جديد تماما

الفصل الثانى : بزوغ الفجر – كمونة باريس

- إستخلاص ماركس الدرس الأساسي من الكمونة : نحتاج إلى سلطة دولة جديدة

الفصل الثالث : 1917 – الثورة تندلع عبر روسيا

- لينين و الدور الحيوي للقيادة الشيوعية
- نوع جديد من السلطة
- تغييرات راديكالية فى وضع النساء
- التغييرات الراديكالية : الأقلّيات القومية
- الفنون
- جوزاف ستالين
- بناء إقتصاد إشتراكي
- الصراع فى الريف
- تغيير الظروف و تغيير التفكير
- منعرج : سحق الثورة فى ألمانيا و وصول النازيين إلى السلطة
- الأخطاء و النكسات
- مسألة توجّه
- نوعان من التناقضات
- علاقة حيويّة : التقدّم بالثورة العالمية و الدفاع عن الدولة الإشتراكية

الفصل الرابع : ربع الإنسانيّة يتسلّق مرتفعات تحرير جديدة

- ولادة ثورة
- الصين عشيّة الثورة
- إستنهاض الجماهير لتغيير المجتمع بأكمله
- مسألة لم تحسم : إلى أين يتجه المجتمع ؟

- القفزة الكبرى إلى الأمام

- طريق تطوّر سليم و عقلاني

- الحقيقة حول المجاعة

الثورة الثقافيّة : أعمق تقدّم فى السير نحو تحرير الإنسان إلى الآن

- خطر الإنقلاب على الثورة

- إطلاق العنان للشباب للشروع فى الثورة الثقافيّة

- الطبيعة المتناقضة للإشتراكية

- " كانت ثورة حقيقيّة "

- النقاش الجماهيري و التعبئة الجماهيرية و النقد الجماهيري

- الأشياء الإشتراكيّة الجديدة

- " طبيعة الإنسان " و التغيير الإجتماعي

- إرسال المثقّفين إلى الريف

- أين الخطأ فى " التاريخ من خلال المذكّرات " ؟

- المعركة الكبرى الأخيرة لماو تسى تونغ

الفصل الخامس : نحو مرحلة جديدة من الثورة الشيوعية

- بوب أفاكيان يتقدّم بالخلاصة الجديدة للشيوعية

- التعلّم من الثورة الثقافيّة و المضيّ أبعد منها

- العالم يحتاج إلى الخلاصة الجديدة للثورة الشيوعية

الهوامش :

الملاحق

بحثان حول الإبستيمولوجيا :

- **" لكن كيف نعرف من الذى يقول الحقيقة بشأن الشيوعية ؟ "**

- **ردّ قارئ لجريدة " الثورة " على " أين الخطأ فى " التاريخ من خلال المذكّرات " ؟**

التاريخ الحقيقي للثورة الشيوعية

==

ملاحق إضافية من إقتراح المترجم :

الملحق 1 : لهوغو تشافيز إستراتيجيا نفطية ... لكن هل يمكن لهذا أن يقود إلى التحرير ؟

الملحق 2 : كوريا الشماليّة ليست بلدا إشتراكيّا

الملحق 3 : الإستعمار من جديد بإسم التطبيع وراء إعادة إرساء العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة و كوبا

الملحق الرابع : فهارس كتب شادى الشماوى

=======================================

فهرس الكتاب 24 / 2016 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 24-

الصراع الطبقيّ و مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا :

الثورة الثقافيّة البرولتاريّة الكبرى قمّة ما بلغته الإنسانيّة فى تقدّمها صوب الشيوعيّة

بمناسبة الذكرى الخمسين للثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى التى ألهمت و لا تزال تُلهم عبر العالم قاطبة ملايين الشيوعيين الثوريين و الجماهير الشعبيّة التوّاقين لتحرير الإنسانيّة و تشييد عالم آخر ضروري و ممكن ، عالم شيوعي ، و مساهمة منّا فى مزيد التعريف بهذه الثورة و رفع رايتها الحمراء ، أتممنا صياغة فصول أضفناها إلى أخرى سبق نشرها لتأليف هذا الكتاب الذى ننشر اليوم.

الفصل الخامس :

الثورة الثقافية فى الصين...الفنّ والثقافة...المعارضة والصراع...والمضيّ بالثورة نحو الشيوعية (بوب أفاكيان)

خاتمة الكتاب

ملاحق (3) : 1- قرار ال16 نقطة.
2 - ماو تسي تونغ يحلّل الثورة الثقافية .
3- الرئيس ماو تسي تونغ يناقش مظاهر البيروقراطية.

المراجع الأساسية المعتمد
أدبيات إضافية متوفّرة على الأنترنت

فهارس كتب شادي الشماوي

===================================

إضافات إلى الجزء الأوّل من الكتاب

(1)

Prisoners write about Bob Avakian

What People Are Saying about Bob Avakian and *BAsics*

Comments and Reviews

(2)

سيرة مختصرة لبوب أفاكيان

المزيد بصدد بوب أفاكيان

عن موقع

Revolution Newspaper | revcom.us

==================================

(3)

حول القادة و القيادة

==

الجزء الثانى : عن أهمّية الخلاصة الجديدة للشيوعية

1- ما هى الخلاصة الجديدة لبوب أفاكيان؟

لينى وولف ، جريدة " الثورة " عدد 129 ، 18 ماي 2008

2- إطار نظري جديد لمرحلة جديدة من الثورة الشيوعية

مقتطفات من كتاب : **" العلم و الثورة – حول أهمّية العلم و تطبيقه على المجتمع و الخلاصة الجديدة للشيوعية و قيادة بوب أفاكيان " لأرديا سكايبراك - 2015**

3- الخلاصة الجديدة للشيوعية : التوّجه و المنهج و المقاربة الجوهريّين و العناصر الأساسيّة

بوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية - صائفة 2015

جريدة " **الثورة** " عدد 395 ، 13 جويلية 2015

3- إضافات إلى الجزء الثانى من الكتاب

(1)

ستّة قرارات صادرة عن اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعى الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

(1 جانفي 2016 ، نشرت فى جريدة " **الثورة** " عدد 423 ، 25 جانفي 2016)

(2)

حان وقت التنظّم من أجل ثورة فعلية

رسالة من اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية

(جريدة " **الثورة** " عدد 440 ، 23 ماي 2016)

(3)

مبادئ نوادى الثورة

(جريدة " **الثورة** " عدد 444 ، 20 جوان 2016)

(4)

كيف يمكننا الإنتصار – كيف يمكننا فعلا القيام بالثورة

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية

جريدة " **الثورة** " عدد 457 ، 19 سبتمبر 2016

==

ملاحق الكتاب 25

(1)

إلى الشيوعيّين الثوريّين فى العالم و أفغانستان : قطيعتنا مع الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني

مجموعة الشيوعيّين الثوريّين - أفغانستان – سبتمبر 2015

(2)

حاجة ملحّة : رفع راية الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان ، الإطار الجديد الضروري للمرحلة الجديدة للثورة !

بيان للمجموعة الشيوعيّة الثوريّة بكولمبيا ، غرّة ماي 2016

(3)

هذا نداء إستعجالي لغرّة ماي ! لا وقت نضيّعه !

عالم مغاير جذريّا ممكن ! فقط إن رفعنا راية الخلاصة الجديدة للشيوعية !

الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) - غرّة ماي 2016

(4) فهارس كتب شادي الشماوي

=======================================

=======================================
===============

فهرس الكتاب 26 / 2017

الماويّة : نظريّة و ممارسة -26-

المعرفة الأساسيّة للحزب الشيوعىّ الصينىّ (الماويّ – 1974)

ينبغى الاعتراف تماما بالطابع المتواصل للصراع الطبقي و الصراع بين الخطين

يجب التحلّى بالرّوح الثوريّة للذهاب ضد التيّار

يجب تسوية العلاقة بين "الحبل الرئيسي " و "عقد الشبكة " بطريقة صحيحة

V- مبادئ الحزب الثلاثة حول الأشياء التى يجب القيام بها و الأشياء الثلاثة التى يجب عدم القيام بها

ممارسة الماركسية و نبذ التحريفية

العمل من أجل الوحدة و نبذ الانشقاق

التحلى بالصراحة و الاستقامة و عدم حبك المؤامرات و الدسائس

"الأشياء الثلاثة التى يجب القيام بها و الأشياء الثلاثة التى يجب عدم القيام بها " هي المبادئ الأساسية التى يجب على أعضاء الحزب احترامها

VI - القيادة الموحّدة للحزب

يجب أن يقود الحزب كلّ شيء ، هذا مبدأ أساسي فى الماركسية – اللينينيّة

القيادة الموحّدة للحزب هى بالأساس قيادة إيديولوجيا و خطّ سياسى

المسك الجيّد بالمسائل الهامة و تعزيز القيادة الموحّدة للحزب

يجب على أعضاء الحزب الشيوعي أن يخضعوا عن وعي للقيادة الموحّدة للحزب وأن يحافظوا عليها

VII - المركزية الديمقراطية فى الحزب

المركزية الديمقراطية هى المبدأ التنظيمى للحزب

المسك بالعلاقة بين القيادة الجماعية و المسؤولية الشخصيّة بطريقة صحيحة

تطوير الديمقراطية داخل الحزب و الحفاظ على الوحدة الممركزة

VIII- الإنضباط فى صفوف الحزب

الإنضباط ضمان لتطبيق الخطّ

الإحترام الواعى للإنضباط الحزبى

التطبيق الصحيح للإنضباط الحزبى

IX- أساليب عمل الحزب الثلاث العظمى

أساليب العمل الثلاث العظمى عادة جيدة فى حزبنا

أسلوب دمج النظرية بالممارسة

أسلوب الحفاظ على علاقات وثيقة مع الجماهير

أسلوب عمل ممارسة النقد و النقد الذاتى

X – تكوين خلف قضيّة الثورة البروليتاريّة

تكوين خلف قضيّة الثورة مهمّة إستراتيجيّة هامة

تكوين خلف القضيّة الثوريّة و إختيارهم فى خضمّ النضال

ليعمل الحزب كلّه لإنجاز عمل تكوين خلف للثورة على أفضل وجه

XI – مهام منظّمات الحزب القاعدية

أهمّية الدلالة التى يكتسيها تعزيز بناء منظّمات الحزب القاعدية

المهام القتالية لمنظمات الحزب القاعدية

يجب على منظّمات الحزب القياديّة أن تضمن بناءها الخاص

XII - الدور الطليعى و النموذجى لأعضاء الحزب

الدور الطليعى و النموذجى لأعضاء الحزب فى غاية الأهمية

للنهوض بالدور الطليعى و النموذجى يجب أن نتّبع " المتطّلبات الخمس "

عن وعى نعيد تشكيل نظرتنا للعالم بهدف الإنخراط فى الحزب إيديولوجيا

XIII- ظروف الإنخراط فى الحزب و إجراءاته

شروط الإنخراط فى الحزب

XIV- رفع راية الأممية البروليتارية

==

==

فهرس الكتاب 27 / 2017

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 27 -

متابعات عالميّة و عربيّة – نظرة شيوعيّة ثوريّة (2016-2013)

مقدّمة

الجزء الأوّل : متابعات عالميّة

المحور 1 : كوكب الأرض في خطر!

المحور الثانى : إضطهاد النساء و النضال من أجل تحطيم النظام الإمبريالى و الأصولية الدينية البطريكيين

المحور الثالث : الإمبرياليّة و الهجرة و الموقف الشيوعى الثوري

5 - الحضارة الغربيّة : " الموت للمهاجرين ! "

6 - عالم من المهاجرين و الإمبريالية و الحدود : غير مقبول و غير ضروري

7 - عدد كبير من الموتى فى البحر الأبيض المتوسّط : " لم يحدث شيء "

8 - أفغانستان : عقود ثلاثة من الهجرة الجماعية

9 - إلى متى يتواصل القبول بالمجازر فى البحر ؟

10 - منظّمة أطبّاء بلا حدود تتّخذ موقفا ضد السياسة الخبيثة للإتحاد الأوروبي تجاه مواجهة العدد التاريخي المتصاعد من المهاجرين إلى عالم لا يرحّب بهم

المحور الرابع : الإنتخابات الأمريكيّة و صعود الفاشيّة وضرورة ثورة شيوعية حقيقيّة وإمكانيّتها

الإنتخابات الأمريكية 1 : مزيد الإضطهاد والجرائم ضد الإنسانيّة فى الأفق... وضرورة ثورة شيوعية حقيقيّة وإمكانيّتها

1- المرشّحون للرئاسة يصرّحون بنيّتهم إقتراف جرائم حرب
2- الولايات المتّحدة الأمريكيّة : حول صعود دونالد ترامب ... و ضرورة ثورة حقيقيّة وإمكانيّتها

3- مقاربة علميّة جدّية لما يقف وراء صعود ترامب

بعض مؤلّفات بوب أفاكيان حول كيف وصلنا إلى هذا الوضع – و إمكانية شيء أفضل بكثير

4- ردّا على ترامب : الإجهاض ليس جريمة !

5- سؤالان إلى لويس فراخان و " أمّة الإسلام "

6- لنتعمّق فى أطروحات برنى سندارس

الإنتخابات الأمريكية 2 : ترامب و كلينتون وجهان لسياسة برجوازية إمبريالية واحدة

1- سيكون إنتخاب الديمقراطيين دعما لجرائم الحرب

2- لا – ليست إمبراطوريتنا !

ردّ ثوري على خطاب هيلاري كلينتون ضد ترامب

3- لماذا لا يجب علينا أن نصفّق لحكّامنا... و لماذا من الأفضل أن يخسروا حروبهم

الإنتخابات الأمريكية 3 : نقد الشيوعيين الثوريين لمواقف الخضر و نعوم تشومسكي

1- إلى الخضر : فى ظلّ هذا النظام لا تغيّر الإنتخابات أبدا أي شيء

نحتاج إلى الإطاحة بهذا النظام و ليس إلى التصويت له

نحتاج إلى ثورة فعلية !

2- لسنا فى حاجة إلى " التصويت للأقلّ شرّا " أو إلى " التصويت لطرف ثالث "

نحن فى حاجة إلى الإطاحة بالنظام برمّته فى أقرب وقت ممكن !

الإنتخابات الأمريكية 4 : موقف الحزب الشيوعي الثوري من إنتخاب فاشيّ لعين رئيسا للولايات المتحدّة

1- وقع إنتخاب فاشيّ لعين رئيسا للولايات المتحدّة –

لا يجب أن توجد أيّة أوهام بأنّ الأمر سيكون على ما يرام . لن يكون كذلك

2- لماذا لن أصوّت فى هذه الإنتخابات و لماذا يجب أن لا تصوّتوا أنتم أيضا ... و لماذا أدافع عن حقّ السود و غيرهم من المضطهَدين فى الإنتخاب !

3- لماذا لم تكن هيلاري كلينتون قط و ليست و لا يمكنها أن تكون مدافعة عن النساء

الإنتخابات الأمريكيّة 5 : بإسم الإنسانيّة ، نرفض القبول بأمريكا فاشيّة

1- بإسم الإنسانيّة ، نرفض القبول بأمريكا فاشيّة

إنهضوا ... إلتحقوا بالشوارع ... إتّحدوا مع الناس فى كلّ مكان لبناء مقاومة بكلّ السبل الممكنة

لا تقفوا : لا تساوموا ...لا تقبلوا بالتسويات ، لا تتواطؤوا

2- كيف يسير هذا النظام الرأسمالي – الإمبريالي و لماذا يجب الإطاحة به

3- أسئلة تطرج عادة بشأن الثورة والشيوعية (فى الولايات المتّحدة الأمريكية)

الإنتخابات الأمريكية 6 : ما هي نواة فريق إدراة دونالد ترامب الفاشي ؟ و ما هي إستراتيجيّته ؟

1- مع تشكيل ترامب لفريقه الفاشيّ ، يجب ان تتعزّز المقاومة !

2- مايك بانس : مسيحي فاشيّ ضربات قلبه ليست بعيدة عن رئاسة الولايات المتحدة

3- إعادة تكليف بانون الفاشي كأكبر القادة الإستراتيجيّين لدي ترامب

4- مستشار الأمن القومي لدى ترامب : الجنرال مايك فلين – " فى حرب مع الإسلام "

5- للإشراف على وكالة المخابرات المركزيّة إختار ترامب : مايك بمبيو – داعية للتعذيب و تمزيق حكم القانون

6- المدّعي العام لترامب جاف سيشينز : فارض تفوّق البيض و التطرّف البطرياركي

7- دونالد ترامب لن " يستعيد مواطن الشغل الأمريكيّة " ...بل بإسم مواطن الشغل الأمريكيّة سيرتكب فظائعا جديدة

8- ما يعنيه فوز ترامب للنساء : خطر لا يضاهى و الحاجة إلى قدر كبير من المقاومة الجماهيريّة

9- فوز ترامب – كارثة على البيئة تتطلّب مقاومة جماهيريّة

10- ترامب يهاجم الممثّلين ويقدّم فكرة عن مقاربته للفنّ والمعارضة : لن يسمح بأي نقد

11- إلى الذين لا زالوا ينظرون إلى برنى سندارس ...

12- يقول أوباما وكلينتون " لنتجاوز الأمر " لكنّ عشرات الآلاف يتمرّدون فى الشوارع

13- دفوس السكرتيرة الجديدة لل" تعليم " : الإقتطاع من التعليم العمومي و فرض المسيحيّة الفاشيّة

المحور الخامس : نظام عالمي إمبرياليّ قابل للإنفجار

1 ـ إستفتاء فى فنيزويلا : مكيدة الولايات المتحدة و حدود مشروع هوغوتشافيز و تناقضاته

2 ـ كوريا الشمالية ـ الولايات المتحدة : من يمثّل تهديدا نوويّا حقيقيّا ؟ و ما هي خلفية النزاع ؟

الجزء الثانى : متابعات عربيّة

فهرس الكتاب 28 / 2017

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 28 -

ماتت الشيوعية الزائفة ...

عاشت الشيوعية الحقيقية !

تأليف بوب أفاكيان

محتويات العدد 28 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " ، فضلا عن مقدّمة المترجم :

ماتت الشيوعية الزائفة ... عاشت الشيوعية الحقيقية !

الجزء الأوّل

الهجوم الراهن ضد الماركسيّة : المراوغات و الردود

الجزء الثاني

مرّة أخرى حول التجربة التاريخيّة للثورة البروليتاريّة – مرّة أخرى حول كسب العالم

القيام بالثورة و دفع الإنتاج

خاتمة

الديمقراطية :
أكثر من أيّ زمن مضى بوسعنا و يجب علينا إنجاز أفضل من ذلك

ملحق " الديمقراطية :

أكثر من أيّ زمن مضى بوسعنا و يجب علينا إنجاز أفضل من ذلك " حول الديمقراطة البروليتارية

(اللجنة المركزية لإعادة تنظيم الحزب الشيوعي الهندي (الماركسيّ – اللينينيّ))

13 / بعض المسائل الإضافيّة :

14 / الخاتمة :

ملحق الكتاب

فهارس كتب شادي الشماوي

فهرس الكتاب 29 / 2017

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 29 -

دفاعا عن الشيوعية الثوريّة و تطويرها

ضد مايكل هاردت ، أنطونيو نغرى، ألان باديو، سلافوج تزتزاك و برنار دى مالو

محتويات هذا الكتاب 29 ، أو العدد 29 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " إضافة إلى المقدّمة :

2- الفصل الثاني : حول " الإمبراطوريّة " : الشيوعية الثوريّة أم " الشيوعية " دون ثورة ؟

I- الإمبريالية أم " الإمبراطوريّة " ؟

II - ما هي الرأسماليّة ؟

- ما الذى يدفع الإمبريالية إلى الأمام ؟

- قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج

- ما الذى يدفع ماذا ؟

- إعادة إحياء نظريّة روزا لكسمبورغ

- سيادة وحيدة ؟

III- التحرّر الوطني و الدولة

- الإمبرياليّة و أنماط الإنتاج ما قبل الرأسماليّة

- التحرّر الوطني - لا يزال مهمّة من مهام البروليتاريا

- تواصل أهمّية الفلاّحين و المسألة الزراعيّة

IV – قانون القيمة و " العمل غير المادي "

- تحليل طبقي مضطرب

- أجر مضمون إجتماعيّا

V – الديمقراطية و الفوضويّة و الشيوعيّة

- الديمقراطية و الحكم الطبقي

- إضمحلال الدولة ... في ظلّ الرأسماليّة !

3- الفصل الثالث : ألان باديو و دكتاتورية البروليتاريا أو لماذا يساوى نبذ " إطار الدولة - الحزب " نبذا للثورة

I- لماذا تصلح الدولة الإشتراكية وكيف ستضمحلّ و لماذا ينتهى ألان باديو إلى جانب الدولة البرجوازية

1- ملاحظة سريعة عن الفلسفة

2- ألان باديو لاطبقية الدولة و الشكلانية

II- الحزب في المجتمع الإشتراكي : " غير ملائم " أم وسيلة للتحرير ؟

1- مرّة أخرى عن روسو و التمثيليّة

2- " الخضوع البيروقراطي اللاطبقي " أم مرّة أخرى ، هل الخطّ هو الحاسم ؟

3- القيادة الشيوعية المؤسساتيّة و تناقض القادة – المقادين و رأي الخلاصة الجديدة بهذا الصدد

4- الفصل الرابع : القدح في الشيوعية و التزلّف للإمبريالية - تزييف سلافوج تزتزاك للحقائق و جلبه العار لنفسه

I- تحدّيات حقيقيّة و بدائل حقيقيّة و مسؤوليّات حقيقيّة

II- يرفض الخوض في الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان بينما يهاجمها هجوما غير مسؤول

III – مناهضة مسعورة للشيوعيّة تلبس قناع التفكير الجديد

IV – موقف تزتزاك المعادي لمناهضة الإمبرياليّة

V - خاتمة : تصفية حساب و دعوة إلى نقاش جريئ و صريح

- ملحق : سلافوج تزتزاك أحمق متعجرف يتسبّب في ضرر كبير

5- الفصل الخامس : فهم الماويّة فهما علميّا و الدفاع عنها بصلابة و تطويرها ، بهدف بلوغ مرحلة جديدة من الشيوعية : أفكار جداليّة حول مقال برنار دى مالو " ما هي الماويّة ؟ "

مفهوم دى مالو للماويّة :

نهاية مرحلة و بداية مرحلة جديدة :

الديمقراطيّة الراديكاليّة أم الشيوعيّة العلميّة :

المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ :

الصراع من أجل الدفاع عن ماو تسى تونغ و إرساء أرضيّة مزيد التقدّم :

ماو (و ماركس) ك " ديمقراطيّين راديكاليّين " :

الخلط بين الشيوعيّة و الديمقراطيّة :

تجاهل دروس الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى :

الثورة الوطنيّة الديمقراطيّة :

ما معنى القيادة البروليتاريّة ؟

ماركسيّة العالم الثالث ؟

الخطّ الجماهيري :

" الممارسة معيار الحقيقة " :

ملاحظات نهائيّة :

فهرس الكتاب 30

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 30 -

الماركسيّة و النسويّة

تجميع و نشر

شهرزاد موجاب

فهرس الكتاب 31 / 2018

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 31 -

العلم و الثورة الشيوعيّة

فصول و مقالات من كتابات أرديا سكايبراك

- ظهور أنواع جديدة و تعزيزها :

- ظروف مفاتيح فى تطوّر الإنسان :

- الأدلّة الواضحة و المتراكمة عن التطوّر من قردة إلى إنسان :

- لماذا نوعنا من الهومينيد هو الوحيد الذى لا يزال منتصب القامة [واقفا] ؟

- ما الذى يجعلنا خاصّين جدّا ، و إن بالنسبة لأنفسنا ؟

- القفزتان الكبيرتان فى تطوّر الهومينيد :

- سلسلة مراحل إنتقاليّة من الملامح الأشبه بالقردة إلى ملامح أشبه بالإنسان :

- هل كان الهومينيد الأوائل" مجرّد قردة " دلالة تطوّر التنقّل على قدمين على طريق التحوّل إلى إنسان:

- لذا ، هل نحن مجرّد حادث ؟

- تلخيص و نظرة عامة :

- صلة بيئيّة ممكنة :

- نوع واحد – عبر العالم بأسره :

نوع يغيّر العالم تغييرا جذريّا

إضافات إلى الفصل السابع

الإنسان و الديناصورات ؟! فكرة عبثيّة أخرى لأنصار فكر الخلق .

الحمض النووي لدى الشنبنزي ولدى الإنسان : إلى أي مدى نتقارب ؟

هل كان توماي أحد أسلافنا ؟

ميف ليكي تمسك بآخر إكتشافاتها للأحافير

هل أن الهومو أركتوس أوّل أنواع الإنسان التى غادرت أفريقيا ؟

جميعنا أتينا من أفريقيا

ماذا يقول لنا علم التطوّر عن " الأعراق " الإنسانيّة ؟

ألا يزال الإنسان يتطوّر ؟

V- الباب الخامس: إطار نظري جديد لمرحلة جديدة من الثورة الشيوعية - مقتطفات من:

" العلم و الثورة - حول أهمّية العلم و تطبيقه على المجتمع و الخلاصة الجديدة للشيوعية و قيادة بوب أفاكيان "

إطار نظري جديد لمرحلة جديدة من الثورة الشيوعية

ما الجديد فى الخلاصة الجديدة ؟

الإختراقات النظريّة و التطبيق العملي للخلاصة الجديد

دستور الجمهورية الإشتراكية الجديدة – تطبيق ملموس لرؤية ثاقبة للخلاصة الجديدة

الخلاصة الجديدة : المضي صراحة صوب الحقيقة – و نبذ مفهوم " الحقيقة الطبقية "

بوب أفاكيان : مزيج نادر جدّا من – النظريّة العالية التطوّر و المشاعر و الصلات العميقة مع الذين يحتاجون بأكبر يأس إلى هذه الثورة

تهمة " عبادة الفرد " – جاهلة وسخيفة و فوق كلّ شيء تتجاوز المعقول

القيادة : هل تخنق المبادرة أم تطلق لها العنان ؟

لماذا من المهمّ جدّا التوغّ فى مؤلّفات بوب أفاكيان و ما يعنيه ذلك

رؤية آملة – على أساس علمي

التفاعل الجدّى مع الخلاصة الجديدة – و الفرق الذى يمكن أن تحدثه

هبّات كبرى فى العالم و الحاجة الكبيرة للمقاربة العلمية للخلاصة الجديدة

فهرس الكتاب 32 / 2018

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 32

ماو تسى تونغ و بناء الإشتراكية

(نقد لكتاب ستالين " القضايا الإقتصادية للإشتراكية فى الإتحاد السوفياتى " و لكتاب" الاقتصاد السياسى ، السوفياتى ")

11- تغيير المثقّفين :

12- العلاقات بين التصنيع و حركة التعاونيّات فى الفلاحة :

13- عن الحرب و الثورة :

14- هل أنّ الثورة أصعب فى البلدان المتخلّفة ؟

15- هل الصناعة الثقيلة أساس التحويل الإشتراكي ؟

16- ميزات أطروحة لينين حول الإنطلاق فى الطريق الإشتراكي :

17- نسق التصنيع مشكل حاد :

18- إن طوّرنا فى آن معا المؤسسات الكبرى و المتوسّطة و الصغرى فلأجل تصنيع بنسق سريع :

19- هل يمكن لنظامين إشتراكيين للملكية أن يتعايشا لفترة زمنيّة طويلة ؟

20- لا يمكن للتحويل الإشتراكي للفلاحة أن يرتبط بالآلات فحسب :

21- ما يدعى " التعزيز النهائي " :

22- عن الحرب و السلم :

23- هل " الإجماع " محرّك لتطوّر المجتمع ؟

24- حقوق العمّال فى ظلّ النظام الإشتراكي :

25- هل المرور إلى الشيوعية ثورة ؟

26- " ليس من الضروري مطلقا أن تستخدم الصين شكلا حادا من صراع الطبقات " : أطروحة مدّعاة !

27- المدّة اللازمة لتحقيق بناء الإشتراكية :

28- مرّة أخرى ، عن العلاقات بين الصناعة و التحويل الإشتراكي :

29- عن التناقض بين علاقات الإنتاج و قوى الإنتاج الإشتراكية :

30- حتميّة المرور من نظام الملكيّة التعاونيّة إلى نظام ملكيّة الشعب بأسره :

31- الملكية الخاصة :

32- التناقض هو القوّة المحرّكة للمجتمع الإشتراكي :

33- السيرورة الديالكتيكية للمعرفة :

34- النقابات و نظام المسؤوليّة الفرديّة :

35- أخذ النظريّة و المبادئ نقطة إنطلاق ليس منهجا ماركسيّا :

36- هل يمكن نشر التجارب المتقدّمة دون عناء ؟

37- عمل التخطيط :

38- أولويّة رفع إنتاج وسائل الإنتاج و التطوير المتوازي للصناعة و الفلاحة :

39- المفاهيم الخاطئة عن حتميّة التوزيع :

ملاحق النصّ الثالث

1- مشكلة تصنيع الصين :

2- حول مكانة الإنسان فى المجتمع و قدراته :

3- التعويل على الجماهير :

4- بعض المقارنة بين سيرورة التطوّر السوفياتيّة و سيرورة التطوّر الصينية :

5- سيرورة تشكيل الخطّ العام و تعزيزه :

6- التناقضات بين البلدان الإمبريالية :

7- لماذا يمكن للثورة الصناعيّة الصينيّة أن تكون أسرع ؟

8- المشكل الديمغرافي :

فهرس الكتاب 33 / 2019

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 33 -

متابعات عربيّة و عالميّة – نظرة شيوعيّة ثوريّة (2)

(2017 - 2018)

" لنتخلّص من كافة الأوهام المتصلة بهذا النظام و إنتخاباته ! نحتاج إلى حركة من أجل الثورة ! "

- 17 - دحض الأكاذيب الكبرى المشوّهة للشيوعيّة (1) : طبيعة الإنسان تقوّض أهداف الشيوعيّة و تجعلها غير صالحة مهما كانت مبادؤها نبيلة أو نوايا المدافعين عنها صادقة

- 18 - دحض الأكاذيب الكبرى المشوّهة للشيوعيّة (2)

الكذبة 2 : لأنّ الإشتراكية – الشيوعيّة ضد طبيعة الإنسان ، تلجأ إلى عنف الدولة و القتل الجماعي لفرض مُثلها العليا

- 19 - دحض الأكاذيب الكبرى المشوّهة للشيوعيّة (3) الكذبة 3 :

كانت ثورة أكتوبر فى روسيا " إنقلابا " نظّمه لينين و الحزب الشيوعى البلشفى . لقد كانوا متعطّشين إلى السلطة و إنتزعوها من أجل أنفسهم

- 20 - دحض الأكاذيب الكبرى المشوّهة للشيوعيّة (4)

الكذبة 4 : الشيوعيّة شكل من أشكال الكليانيّة . سعى آدولف هتلر و جوزاف ستالين إلى فرض الهيمنة الكلّية على المجتمع – من خلال القمع الذى إجتاح كلّ مظهر من مظاهر حياة المجتمع و الأفراد ، و الإيديولوجيات المتلاعبة بالعقول

- 21 - الولايات المتّحدة الأمريكيّة : إعدادات لتحرّكات جماهيريّة فى 4 نوفمبر مطالبة برحيل نظام ترامب / بانس الفاشي

الثلاثة آمال الكاذبة التى يمكن أن تتسبّب فى قتل الملايين ... و شيء واحد يمكن أن ينهى هذا الكابوس

نادى الثورة – أسئلة متكرّرة

- 22 - موقف الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة من نقل ترامب للسفارة الأمريكية إلى القدس

- 23 - إهانة أنجيلا ماركال و الدعوة فى بولونيا إلى " محرقة للمسلمين "

- 24 - أمريكا – قوّة خير فى العالم ؟ قولوا هذا إلى الشعب اليمني

الجزء الثانى : متابعات 2018

-1-

الحزب الشيوعى الإيرانى الحزب (الماركسي – اللينيني – الماوى) : سنقاتل جمهوريّة إيران الإسلاميّة و سننظّم الشعب من أجل الثورة ! الموت للجمهوريّة الإسلاميّة – لنناضل من أجل جمهوريّة إشتراكيّة جديدة فى إيران !

-2-

لندعم نضالات النساء فى إيران ضد الإرتداء الإجبارى للحجاب !

منظّمة نساء 8 مارس (إيران – أفغانستان)- 8 مارس 2018

-3-

لماذا تعنى الانتخابات الإيطاليّة أخبارا سيّئة بالنسبة إلى العالم و ما العمل إزاء ذلك

-4-

أفريل 1968 : تمرّد السود الذى زلزل أمريكا و العالم

-5-

الثورة الشيوعية و لا شيء أقلّ من ذلك !

بيان الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي - اللينيني - الماوي) بمناسبة غرّة ماي العيد العالمي للطبقة العاملة

-6-

إمبراطورية إستغلال ، عالم بؤس و الثورة التى تصرخ الإنسانيّة من أجلها

ريموند لوتا

-7-

نظام ترامب / بانس الفاشي يقترف جرائما ضد الإنسانيّة :

ترامب يعيد تأكيد " صفر تسامح " تجاه ذوى البشرة السمراء و يتعهّد بإبقاء أبناء اللاجئين مع أوليائهم – في معسكرات إعتقال

-8-

هناك حاجة إلى دفن النظام الرأسمالى و ليس إلى محاولة " دَمَقرَطَتِهِ " : أندرياس مانوال لوبز أوبرادور و الجيش الزاباتى للتحرير الوطنى و الثورة الضروريّة

المنظّمة الشيوعيّة الثوريّة ، المكسيك - 28 أفريل 2018

-9-

هايتى : أيام خمسة من التمرّد الملهم ضد ارتفاع الأسعار الذى فرضته الإمبرياليّة ... و الحاجة الملحّة للثورة

-10-

المملكة المتّحدة [بريطانيا] : قائد حزب العمل ، كوربين ، و العنصريّة الصهيونيّة و الإنعطاف الأوروبى نحو اليمين

-11-

الإعدام السياسى للولا و رمى الفاشيّة بظلالها على البرازيل

-12-

البرازيل عقب الانتخابات : لحظة حيويّة

-13-

مكاسب كبرى للحزب الشيوعى الفليبينى خلال الخمسين سنة من خوض الثورة

خوسي سيسون ، 23 أوت 2018

-14-

برنامج الجبهة الوطنية الديمقراطية الفليبينيّة

ملحق : فهارس كتب شادي الشماوي

فهرس الكتاب 34 / 2019

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 34 -

حرب الشعب الماويّة فى الفيليبين

فضلا عن المقدّمة ، يحتوى هذا الكتاب على فصول خمسة و ملاحق ستّة ، تفصيلها كالآتى ذكره :

الفصل الثانى : برنامج الثورة الديمقراطية الجديدة

(3) - حول قضيّة البيئة فى العالم و فى الفليبين

- حماية البيئة من منظور الأمم المتحدة و الرأسمالية الإحتكاريّة :

- تحطيم البيئة في الفليبين :

- أصدقاء البيئة و أعداؤها :

- سجلّ آداء الحركة الثوريّة :

الفصل الثالث : نقد الحركة الأممية الثورية لإنحرافات ظهرت فى الخطّ الإيديولوجى و السياسى للحزب الشيوعى الفليبيني

(1) - رسالة مفتوحة إلى الحزب الشيوعى الفليبيني من هيئة الحركة الأمميّة الثوريّة

آكينو : الحليفة المتردّدة أم العدوّة الملعونة :

" النقد الذاتي " للمكتب السياسي :

القضاء على الجهاز السياسي الرجعيّ أم إعادة تنظيمه :

" الكلّ سراب ... ما عدا سلطة الدولة " :

إختصار العدوّ في مجرّد حزب صغير :

معلومات إضافيّة عن الجبهة المتّحدة :

التراجع في الحكم على الإمبريالية الإشتراكية :

ما هو الطريق إلى السلطة ؟

مفاوضات وقف إطلاق النار :

الخروج عن الماركسية – اللينينية يعنى موت الثورة :

الماركسيّة - اللينينيّة و الفكر الماوي مفتاح الثورة الفليبينيّة :

(2) - الحزب الشيوعى الفليبيني و الأصدقاء الزائفون للثورة الفليبينيّة

فكر ماو تسى تونغ :

إنكار النضال ضد التحريفيّة :

رغبة ليواناغ في حزب " مستقرّ و جاد " :

مفهوم ليواناغ للوحدة :

لندفن الأحقاد و لننكبّ على العمل :

الأممية البروليتارية أم الإستسلام في الداخل و الخارج :

الفصل الرابع : نقد ذاتي و حركة تصحيح

(1) - خمسة أنواع من الإنتفاضيّة

(2) - وضع حركة التصحيح و الحركة الثورية

التصحيح الإيديولوجي و توطيد الذات :

التلخيص و النقد الذاتي :

النضال ضد الخونة التحريفيّين :

دروس التربية الحزبية ذات المستويات الثلاثة :

مزيد تعميق حركة التصحيح :

(3) - وضع ماو تسى تونغ فى قلب حياة الحزب

إعادة تأكيد مبادئنا الأساسيّة و تصحيح الأخطاء

1- فى حقل الإيديولوجيا :

مستوى متدنّى من التربية الإيديولوجية :

حرب الشعب و مرحلتا الثورة :

صفت واحد ضد التحريفية :

التحدّى الكبير الجديد أمامنا :

الفصل الخامس : خمسون سنة من خوض الحزب الشيوعى الفليبينى للثورة

(1) - مكاسب كبرى للحزب الشيوعى الفليبينى خلال الخمسين سنة من خوض الثورة

- المكاسب الإيديولوجية للحزب الشيوعي الفليبيني :
- المكاسب السياسيّة للحزب الشيوعي الفليبيني :
- المكاسب التنظيميّة للحزب الشيوعي الفليبيني :

الغرض من الإحتفال في خضمّ حرب الشعب و أزمة النظام الحاكم

(2) - حول نظام دوترتى و الذكرى الخمسين لتأسيس الحزب الشيوعى الفليبينى

(3) - لنحتفى بالذكرى الخمسين للحزب و لقيادته للثورة الفيليبينيّة إلى إنتصارات أكبر

الكساد الاقتصادي المديد للنظام الرأسمالي العالمي و إحتدام المنافسة بين القوى العظمى :

سلطة دوترتى و إرهابه و طغيانه في خضمّ تدهور الأوضاع شبه الإستعماريّة و شبه الإقطاعية في الفيليبين :

نمّو قوّة الحزب بشكل مستمرّ مع إشتداد مقاومة الشعب :

لنحتفى بالذكرى الخمسين للحزب ونقود الثورة إلى إنتصارات أكبر :

لنحتفى بالذكرى الخمسين للحزب ونقود الثورة إلى إنتصارات أكبر :

ملاحق الكتاب (6)

(1) - الأهمّية التاريخية لحرب الشعب فى الفليبين

(2) - لماذا لا يقدر نظام آرويو أن يحطّم الثورة المسلّحة و إنّما يتسبّب فى تقدّمها

+ دعوة من الحزب الشيوعي الفيليبيني للإعداد للذكرى الأربعين لتأسيسه فى السنة القادمة بالتسريع فى التقدّم

+ الأزمة الإقتصادية العالميّة والمحلّية تدفع الشعب إلى شنّ نضال ثوريّ

(3) - بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفليبيني بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيسه

1- أزمة إقتصادية ومالية غير مسبوقة :

2- الوضع الميؤوس منه للنظام الحاكم فى الفيليبين :

3- الإنتصارات العظيمة للحزب الشيوعيّ الفليبينيّ :

4- خطّة من أجل نقلة نوعيّة فى الثورة المسلّحة :

أ- تربية الكوادر وتدريبها على الخطّ الإيديولوجيّ الماركسيّ-اللينيني-الماويّ والخطّ السياسيّ العام للثورة الديمقراطية الجديدة :

ب- التعجيل بضمّ المرشّحين لعضويّة الحزب من الحركة الجماهيريّة الثوريّة

ت- تشديد حملات إستنهاض الشعب وتعبئته على أساس الخط العام للثورة الديمقراطية الجديدة :

ث- دعم الكفاح المسلّح الثوريّ من اجل تحقيق أقصى ما يمكن من الإنتصارات السياسيّة و العسكريّة :

ج- رفع الإصلاح الزراعي إلى مستوى جديد و أرقى :

ح- تطوير الجبهات الأنصاريّة لتصبح قواعد إرتكاز مستقرّة نسبيّا :

خ- تطوير مختلف التحالفات فى ظلّ سياسة الجبهة المتّحدة من أجل بلوغ أوسع الناس :

د-إعلاء راية الأمميّة البروليتاريّة و التضامن الواسع المناهض للإمبرياليّة :

(4) - لنوفّر متطلبات التقدّم بحرب الشعب من الدفاع الإستراتيجي إلى التوازن الإستراتيجي

ا- الإنهيار الإقتصادي و الفوضى العالميين المتواصلين :

ب- الأزمة الدورية للنظام الفاسد تستفحل :

ت- الحزب يقود الثورة :

ث- مهامنا النضالية الجديدة :

(5) - بلاغ عن المؤتمر الثانى للحزب الشيوعى الفليبينى

- تعديلات في القانون الأساسي :

- تحيين البرنامج العام :

- انتخابات :

- قرارات :

(6) - فهارس كتب شادي الشماوي

++

فهرس الكتاب 35 / 2019

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 35 -

إختراقات

الإختراق التاريخي لماركس و مزيد الإختراق بفضل الشيوعية الجديدة

خلاصة أساسيّة

تأليف بوب أفاكيان

++

فهرس الكتاب 36 / 2020

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 36 -

تقييم علمي نقدي للتجربتين الإشتراكيّتين السوفياتيّة و الصينيّة :

" كسب العالم ؟ واجب البروليتاريا العالميّة و رغبتها "

تأليف بوب أفاكيان

محتويات الكتاب ، فضلا عن مقدّمة المترجم هي :

الجزء الأوّل :

" كسب العالم : واجب البروليتاريا العالميّة و رغبتها "

لبوب أفاكيان / العدد 50 من مجلّة " الثورة "

الجزء الثاني :

(1) عرض موجز لوجهات نظر حول التجربة التاريخيّة للحركة الشيوعيّة العالمية و دروسها اليوم

(مجلّة " **الثورة** " عدد 49 / 1981)

(2) مسألة ستالين و " الستالينيّة " - مقتطف من خطاب " نهاية مرحلة و بداية مرحلة جديدة " لبوب أفاكيان

(مجلّة " **الثورة** " عدد 60 ، سنة 1990)

الملاحق - 4 – (من إقتراح المترجم)

1- الخلاصة الجديدة للشيوعية : التوّجه و المنهج و المقاربة الجوهريّين و العناصر الأساسيّة – خطوط عريضة

(وثيقة نشرت سابقا في كتاب " **إختراقات - الإختراق التاريخي لماركس و مزيد الإختراق بفضل الشيوعية الجديدة- خلاصة أساسيّة** ")

2- ستّة قرارات صادرة عن اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية

(وثيقة نشرت سابقا في كتاب **" عن بوب أفاكيان و أهمّية الخلاصة الجديدة للشيوعية**

تحدّث قادة من الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ")

3- إطلالة على موقع أنترنت مذهل يديره ريموند لوتا : " هذه هي الشيوعية " - إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح

أ- مجاعة 1933 في الإتّحاد السوفياتي : ما الذى حصل فعلا و لماذا لم تكن " مجاعة متعمّدة "

ب- دحض الأكاذيب الكبرى المشوّهة للشيوعيّة

ت- إطلالة على صفحات / مداخل من موقع " هذه هي الشيوعيّة " - إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح

4- فهارس كتب شادي الشماوي

++

فهرس الكتاب 37 / 2020

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 37 -

إضطهاد السود فى الولايات المتحدة الأمريكية

و الثورة الشيوعيّة العالميّة

بصورة تفصيليّة محتويات هذا الكتاب 37 أو العدد 37 من مجلّة " **الماوية : نظريّة و ممارسة** "، فضلا عن مقدّمة المترجم التي تضمّنت تعريب وثيقتين لماو تسى تونغ متصّلتين بإضطهاد السود في الولايات المتّحدة الأمريكيّة ، هي :

الفصل الثالث : البديل التحرّرى الشيوعي الثورى

إضطهاد السود و جرائم هذا النظام و الثورة التى نحتاج

(الحزب الشيوعى الثورى ، الولايات المتحدة الأمريكية / أكتوبر 2008)

الفهرس :

4- لماذا " العائلات القويّة " ليست الحلّ .

5- حدود الفكر القومي .

6- لماذا " الحلم " طريق مسدود .

7- الطريق الخاطئ لباراك أوباما.

III- الإشارة إلى الأمام : الحلّ هو الثورة :

- ثورة شيوعية .

- تصوّروا : سلطة الدولة الثوريّة الجديدة و القضاء على إضطهاد السود .

- كيف يمكن لمثل هذه الثورة أن تتطوّر ؟ و كيف ستكون ؟

IV- التحدّى الذى علينا مواجهته :

الهوامش :

هوامش الكتاب (2) :

1- **محطّة هامة من محطّات النضال ضد إضطهاد السود : معركة 22 - 23 - 24 أكتوبر 2015**

I- قفزة فى النضال ضد جرائم الشرطة فى الولايات المتّحدة : الإعداد لتحرّكات كبرى فى نيويورك فى 22 و23 و 24 أكتوبر 2015

كلمة للمترجم

1- حقيقة جرائم الشرطة والسجن الجماعي فى الولايات المتّحدة

2- لننهض-أكتوبر لإيقاف الفظائع التى ترتكبها الشرطة

نداء من كورنال واست و كارل ديكس

3- كارل ديكس يتحدّث عن " لننهض - أكتوبر "

4- لننهض ضد عنف الشرطة

نشطاء من الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) – شمال أمريكا

II - تصاعد النضالات من أجل إيقاف إرهاب الشرطة و جرائمها فى الولايات المتحدة الأمريكية (22 و 23 و 24 - أكتوبر 2015)

كلمة المترجم

1- هذه تحيّة بصوت عالى للمقاومين القادمين إلى 24 أكتوبر

الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

2- رسالة من كورنال واست و كارل ديكس

3- كارل ديكس فى مسيرة 24 أكتوبر : " لنقم بكلّ ما بوسعنا القيام به لإيقاف فظائع جرائم الشرطة فى حقّ شعبنا . ثمّ لنقم حتّى بأكثر من ذلك لأنّه يجب إيقاف هذا "

4- الآلاف فى شوارع مدينة نيويورك من أجل " لننهض – أكتوبر " : إيقاف إرهاب الشرطة ! إلى جانب من أنتم !

2- **فهارس كتب شادي الشماوي**

++

فهرس الكتاب 38 / 2020

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 38 -

الشيوعية الجديدة – علم وإستراتيجيا و قيادة ثورة فعليّة ، و مجتمع جديد راديكاليّا على طريق التحرير الحقيقي

تأليف بوب أفاكيان

و محتويات الكتاب 38 ، فضلا عن مقدّمة المرتجم :

- أهمّية " نقطة مظلّة الطيران " - حتّى الآن و أكثر حتّى مع ثورة فعليّة

- *دستور الجمهوريّة الإشتراكية الجديدة في شمال أمريكا* - اللبّ الصلب مع الكثير من المرونة على أساس اللبّ الصلب

- محرّرو الإنسانيّة

<u>الجزء الثالث : المقاربة الإستراتيجيّة لثورة فعليّة</u>

- مقاربة إستراتيجيّة شاملة

- التسريع بينما ننتظر

- قوى الثورة

- فصل الحركة الشيوعيّة عن الحركة العمّاليّة ، و القوى المحرّكة للثورة

- التحرّر القوميّ و الثورة البروليتاريّة

- الأهمّية الإستراتيجيّة للنضال من أجل تحرير النساء

- الجبهة المتّحدة في ظلّ قيادة البروليتاريا

- الشباب و الطلبة و الأنتلجنسيا

- الصراع ضد أنماط التفكير البرجوازيّة الصغيرة بينما نحافظ على التوجّه الإستراتيجي الصحيح

- " الإثنان تحقيق أقصى قدر "

- " أوقفوا الخمسة "

- العامودان الفقريّان

- العودة إلى **" بصدد إمكانيّة الثورة "**

- الأمميّة – الإنهزاميّة الثوريّة

- الأمميّة و البُعدُ العالميّ

- الأمميّة – التقدّم بطريقة أخرى

- نشر الإستراتيجيا في صفوف الشعب

- توجّه جوهريّ

<u>الجزء الرابع () : القيادة التي نحتاج</u>

- الدور الحيويّ للقيادة

- نواة قياديّة من المثقّفين – والتناقضات التي تنطوي عليها

- نوع آخر من " الهرم "

- الثورة الثقافيّة صلب الحزب الشيوعي الثوري

- حاجة الشيوعيّين إلى أن يكونوا شيوعيّين

- علاقة عدائيّة جوهريّة – و تبعات ذلك الحيويّة

- تعزيز الحزب – نوعيّا و كمّيا أيضا

المَلاحق :

فهارس كتب شادي الشماوي

فهرس الكتاب 39 / جانفى 2021

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 39 -

متابعات عالميّة و عربيّة – نظرة شيوعيّة ثوريّة (3)

(2020 - 2019)

ترجمة و تقديم شادي الشماوي

مقدّمة :

الجزء الأوّل : متابعات 2019

الجزء الثاني : متابعات 2020

القسم الأوّل : مقالات 2020 بصدد جائحة كوفيد – 19

القسم الثانيّ : بقيّة مقالات سنة 2020

ملحق : فهارس كتب شادي الشماوى

فهرس الكتاب 40 / أكتوبر 2021

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 40 -

لنتخلّص من كافة الآلهة ! تحرير العقل و تغيير العالم راديكاليّا !

تأليف بوب أفاكيان – إنسايت براس ، شيكاغو ؛ الولايات المتحدة الأمريكية ، 2008

فهرس الكتاب 41 / أكتوبر 2021

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 41 –

مقالات بوب أفاكيان 2020 و 2021

و محتويات هذا الكتاب 41 ، العدد 41 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " مثيرة و معبّرة للغاية ، وهي زيادة على هذه المقدّمة المقتضبة :

الجزء الأوّل : مقالات بوب أفاكيان سنة 2020

الجزء الثاني : مقالات هامة بصدد بوب أفاكيان (سنة 2020)

3- بوب أفاكيان و القانون و العدالة و وضع نهاية للإضطهاد و الإستغلال

4- " بقدر ما كنت أتفاعل مع كتابات بوب أفاكيان بقدر ما كنت أتحرّق شوقا للخروج من السجن "

5- إلى الذين ينهضون و يستفيقون : لكي نتحرّر حقّا ثمّة حاجة إلى العلم و القيادة

الجزء الثالث : مقالات بوب أفاكيان سنة 2021

1- سنة جديدة ، الحاجة الملحّة إلى عالم جديد راديكاليّا – من أجل تحرير الإنسانيّة جمعاء

2- ميزة من الميزات التى تختصّ بها الشيوعيّة و تتفوّق بها على الدين

3- بوب أفاكيان حول الجنون الفاشيّ و الحماقة البالغة ل" جماعة المتيقّظين " : صنف جديد من " القوّتين اللتين فات أوانهما "

4- السلع و الرأسماليّة – و التبعات الفظيعة لهذا النظام – شرح أساسي

5- لي أفانس و تحرير السود و الثورة التى نحتاجها بشكل إستعجالي لتحرير الإنسانيّة قاطبة

6- مجزرة تولسا العنصريّة : أعمق درس

7- بوب أفاكيان يردّ على تهم " عبادة الفرد " : جهل و جُبن

8- مقرفة حدّ الغثيان هي كامل " سياسة الهويّة " و سياسة " المتيقّظين "

الثورة و التحرّر و ليس الإصلاحات و الثأر السخيفين : عن الحركات و المبادئ و المناهج و الوسائل و الغايات

9- هذا زمن نادر حيث تصبح الثورة ممكنة – لماذا ذلك كذلك و كيف نغتنم هذه الفرصة النادرة

10- حول الكوفيد و أهمّية تلقيح الجماهير و المشكل الحقيقيّ جدّا للفرديّة المستشرية

11- بوب أفاكيان حول نقاط هامة فى النظريّة و المنهج المتّصلين بالحرّية و تقييد الحرّية

12- التلاقيح وسيلة حيويّة للتعاطى مع كوفيد - و ليست لا " مؤامرة " و لا " مكيدة " حاكتها الحكومة و الشركات الكبرى - أهمّية الفهم و المقاربة العلميّين

13- بوب أفاكيان حول الفوضويّة و الفوضويّون – بعض النوايا الطيّبة لكن ما من حلّ جوهريّ و بعض المشاكل الكبرى

14- بوب أفاكيان يُصدر تحدّيا لبيل ماهر- يا بيل ماهر ، إليك حقيقة " سياسيّا خاطئة " لا يمكن " منعها ": أمريكا ليست و لم تكن قط عظيمة ؛ بإستثناء فى طريقة واحدة هي أنّها أكبر مضطهد و مدمّر للبيئة فى العالم . هل لك الجرأة على رفع التحدّى و محاولة الردّ عليه ؟

15- اليعاقبة (Jacobins) الأمس و اليعاقبة اليوم : ملخّص مقتضب

16- بوب أفاكيان : مرّة أخرى حول لماذا ليست كلّ الدكتاتوريّات سيّئة ، ولماذا ينبغى أن نرغب فى دكتاتوريّة إشتراكية و أن نقاتل من أجلها

17- لماذا يؤمن الناس بالهراء الأكثر سخافة و شناعة ؟ التشويهات الطائشة للواقع و الأوهام القاتلة ل " التقدّم بلا آلام " و الحاجة الملحّة إلى ثورة حقيقيّة معتمدة على العلم

18- لا حقّ لقتل البشر باسم الدين – " الإستثناءات الدينيّة " ليست سببا شرعيّا لرفض التلاقيح

19- لماذا العالم مضطرب جدّا و ما الذى يمكن فعله لتغييره تغييرا راديكاليّا – فهم علميّ أساسي

20- **تشجيع الناس على عدم التطعيم بالتلاحيق يبقى على جائحة الكوفيد و يتسبّب في قتل مزيد من البشر – خاصة المزيد من السود**

21- **إلغاء العبوديّة – الحقيقيّ و الخياليّ**

22- **الماركسيّة الحيّة مقابل الماركسيّة المبتذلة – ثورة تحريريّة و ليست *إصلاحيّة* بلا حياة**

23- **" التحكّم الديمقراطي للعمّال " وهمٌ ضارٌ : من غير الممكن تحقيقه فى ظلّ الرأسماليّة و مُدمّر فى ظلّ الإشتراكيّة – نحتاج إلى تغيير ثوريّ للمجتمع و العالم و ليس إلى مواصلة الديمقراطية البرجوازيّة للرأسماليّة أو إعادة تركيز الرأسماليّة**

24- **أمّة الإسلام ليست قوّة من أجل بل قوّة ضد التحرير – نحتاج ثورة حقيقيّة**

فهرس الكتاب 42 / جوان 2022

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 42 –

الثورة الشيوعيّة فى الولايات المتّحدة الأمريكيّة : ضروريّة و ممكنة...

خطابات ثلاثة لبوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعى الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

- 2-" بصدد إستراتيجيا الثورة "

- مقاومة السلطة و تغيير الناس من أجل الثورة :

- التعلّم من رئيس حزبنا ، بوب آفاكيان ، و نشر معرفة و تأثير قيادته ذات الرؤية الثاقبة ، و الدفاع عن هذا القائد النادر و الثمين و حمايته :

- ترويج جريدة حزبنا " الثورة " بأكثر قوّة و شمولية :

- 3 - مزيد من الأفكار عن " بصدد إمكانية الثورة "

- 4 - كيف يمكننا الإنتصار – كيف يمكننا فعلا القيام بالثورة

- لماذا نحتاج إلى ثورة فعليّة

- ما نحتاج القيام به الآن

- كيف يمكننا أن نلحق بهم الهزيمة

الفصل الثاني - الخطاب الثاني : أمل من أجل الإنسانيّة على أساس علميّ و القطيعة مع الفرديّة و الطفيليّة و الشوفينيّة الأمريكيّة

1- لا أمل مقابل لا ضرورة مستمرّة

2- مشكل الفرديّة / الأنانيّة

- الفرديّة **الخبيثة** و الفرديّة **الغافلة**

- الفرديّة ، هراء الانتخابات البرجوازية و وهم " التقدّم بلا ألم "

- الطفيليّة و الشوفينيّة الأمريكيّة و الفرديّة

- سياسات الهويّة و الفرديّة

- الفرديّة و " اللامبالاة "

3- المصالح الخاصّة و المصالح العامة – التمييز بين المصالح الطبقيّة و أعلى مصالح الإنسانيّة

4- مقارنة بين وجهة نظر الشيوعيّة و مقاربتها و وجهة نظر الرأسماليّة و مقاربتها لمذهب الفرديّة و الشخصيّة الخصوصيّة

5- وجهات نظر متباينة بشأن معنى الحياة و الموت : ما الذى يستحقّ الحياة و الموت من أجله ؟

- كسر قيود الفرديّة الطفيليّة

6- لا ضرورة مستمرّة و الأمل على أساس علميّ : عالم مختلف راديكاليّا و أفضل بكثير ممكن حقّا ، لكن ينبغي النضال من أجله !

هوامش

الفصل الثالث - الخطاب الثالث : شيء فضيع أم شيء تحريريّ حقّا : أزمة عميقة و إنقسامات متعمّقة و إمكانيّة حرب أهليّة مرتقبة – و الثورة التى نحتاج بصفة إستعجاليّة ؛

أساس ضروريّ و خارطة طريق أساسيّة لهذه الثورة

...

ملاحق الخطاب الثالث (5)

1- ثورة حقيقيّة ، تغيير حقيقي نكسبه – المزيد من تطوير إستراتيجيا الثورة

- النضال ضد الفاشيّة الآن و النضال المستقبلي الشامل

- إلحاق الهزيمة ب " التطويق و السحق " و التقدّم بالنضال الثوري

- " عدد من جريدة الثورة خاص بالجولة الوطنيّة تنظّموا من أجل الثورة – ماي 2019 : 5-2-6 : 5 أوقفوا ؛ 2 خيارات و 6 نقاط إنتباه

2- سنة جديدة ، الحاجة الملحّة إلى عالم جديد راديكاليّا – من أجل تحرير الإنسانيّة جمعاء

3- بيان و نداء للتنظّم الآن من أجل ثورة فعليّة

هذه الثورة ليست مجرّد " فكرة جيّدة " – إنّها عمليّا ممكنة

4- هذا زمن نادر حيث تصبح الثورة ممكنة – لماذا ذلك كذلك و كيف نغتنم هذه الفرصة النادرة

- أوّلا ، بعض الحقائق الأساسيّة

- لماذا يعدّ هذا الزمن زمنا تصبح فيه الثورة ممكنة حتّى في بلد قويّ مثل هذا

- ما يجب القيام به لإغتنام هذه الفرصة النادرة للقيام بالثورة

- خاتمة

5- لماذا العالم مضطرب جدّا و ما الذى يمكن فعله لتغييره تغييرا راديكاليّا – فهم علميّ أساسي

- مثال توضيحي لهذه العلاقات و الديناميكيّة الأساسيّتين : لماذا لا يزال السود مضطهَدين بعدُ بخبث ؟

- يتوفّر الآن أساس تحرير كافة الناس المضطهَدين و كافة الإنسانيّة

- من أجل التغيير الجوهريّ للمجتمع ، ينبغي إفتكاك السلطة

- هذه الثورة ممكنة و الحاجة إليها ملحّة

الفصل الرابع - دستور المجتمع البديل : دستور الجمهورية الإشتراكية الجديدة فى شمال أمريكا (مشروع مقترح)

تقديم : حول طبيعة هذا الدستور و هدفه و دوره

يشمل هذا الدستور مدخلا و ستّة أبواب :

الباب الأوّل : الحكومة المركزية .

الباب الثاني : الجهات و المناطق و المؤسسات الأساسية .

الباب الثالث : حقوق الناس و النضال من أجل إجتثاث الإستغلال و الإضطهاد كافة .

الباب الرابع : الإقتصاد و التطوّر الإقتصادي فى الجمهورية الإشتراكية الجديدة فى شمال أمريكا .

الباب الخامس : تبنّى هذا الدستور .

الباب السادس : تنقيحات هذا الدستور .

بمثابة الخاتمة : التنظيم من أجل ثورة فعليّة : سبع نقاط مفاتيح

ملحق الكتاب 42 : فهارس كتب شادي الشماوي

فهرس الكتاب 43 / ديسمبر 2022

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 43 –

الحزب الشيوعى الثوريّ – مقتطفات من أقوال ماركس وإنجلز ولينين وستالين وماو تسى تونغ؛ و نصوص لبوب أفاكيان

و فضلا عن المقدّمة المقتضبة ، محتويات هذا الكتاب 43 أو العدد 43 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " هي الآتي ذكرها :

الجزء الأوّل : الحزب الشيوعيّ

1- للقيام بالثورة البروليتاريّة ، لا بدّ من حزب شيوعي

2- الحزب الشيوعي هو الحزب السياسيّ للطبقة العاملة . و الطبقة العاملة هي القوّة القياديّة و الفلاّحون هم حلفاؤها الأصلب

3- الغاية الوحيدة من وجود الحزب الشيوعي هي تحرير الإنسانيّة عن طريق الثورة البروليتاريّة ، الإشتراكية و الشيوعيّة

4- يجب على الحزب أن يمارس الأمميّة البروليتاريّة و يجب أن يُبنى كجزء من حركة البروليتاريّا العالميّة

5- المهمّة المركزيّة للحزب الشيوعي هي إطلاق حرب الشعب و قيادتها

6- يجب أن يقود الحزب كلّ شيء

7- وحده حزب يستوعب النظريّة الماركسيّة – اللينينيّة – الماويّة بوسعه أن ينهض بمهمّة الطليعة المناضلة

8- دمج النظريّة و الممارسة . دمج الحقيقة العالميّة للماركسيّة و الممارسة الملموسة للثورة في بلد معيّن

9- هناك حاجة إلى حزب طليعي يعرف كيف يرفع وعي الجماهير إلى مستوى فهم مصالح الطبقة البروليتاريّة

10- الجماهير تصنع التاريخ و من واجب الحزب أن ينصهر فيها و يتعلّم منها

11- النضال الثوريّ من أجل إفتكاك السلطة هو الرئيسيّ و النضال المطلبيّ متمّم ضروريّ

12- عندما لا يوجد حزب شيوعيّ ، المهمّة الأكثر إلحاحا على كاهل الشيوعيّين و الشيوعيّات هي تشكيله

13- صحّة أو عدم صحّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي يحدّد كلّ شيء . و الحلقة المفتاح في تشكيل الحزب البروليتاري هي صياغة خطّ و برنامج صحيحين

14- يتطوّر الصحيح في نضاله مع الخاطئ عبر الجدال و صراع الخطّين

15- قبل أن نتوحّد و من أجل أن نتوحّد ، لا بدّ من تحديد الإختلافات تحديدا صارما و دقيقا

16- النضال ضد الإمبرياليّة خدعة دون النضال ضد الإنتهازيّة

17- لا بدّ من و يمكن تكوين قادة و ثوريّين محترفين

18- ممارسة النقد و النقد الذاتيّ

19- المركزيّة الديمقراطيّة هي المبدأ التنظيمي للبروليتاريا

20- ينبغي مواصلة الثورة في ظلّ الإشتراكيّة للإطاحة بالقادة السامين للحزب أتباع الطريق الرأسمالي

21- يضع الشيوعيّون و الشيوعيّات في المقام الأوّل مصالح الشعب و الثورة

الجزء الثانى : نصوص لبوب أفاكيان

(1)

بوب أفاكيان : لا بدّ من حزب ثوريّ إذا أردنا القيام بالثورة – الفصل الثانى : هل يمكن أن نستغنى عن القيادة ؟

الديمقراطية التشاركيّة :

الفوضويّون :

مسألة فلسفيّة :

" الماويّون " :

الضرورة و الحرّية و الحزب :

الخيار الحقيقيّ الوحيد :

(2)

الأهمّية الحيويّة للقيادة ، القيادة مكثّفة كخطّ

الخطوط و القاعدة الإجتماعيّة – علاقة جدليّة :

ما هي القيادة الشيوعيّة ؟

(3)

خطّ ثوريّ فى تعارض مع " الإقتصاديّة " / الإقتصادويّة و الشوفينيّة

+ ملحق من إقتراح المترجم : الحركة رائعة ... لكنّها ليست كلّ شيء ... الشعب يحتاج إلى الثورة

(4)

كلّ ما نقوم به هدفه الثورة

" إثراء فكر ما العمل ؟ "

- التسريع بينما ننتظر – عدم الركوع للضرورة :

- الدور الثوري المحوري للجريدة الشيوعيّة :

- مقاومة " النزوع العفوى إلى كنف البرجوازية " :

عمل ثورى ذو مغزى

- نشر الثورة و الشيوعية بجرأة :

- ثقافة تقدير و ترويج و نشر شعبي :

- مقاومة السلطة و تغيير الناس ، من أجل الثورة :

- بناء الحزب :

ملحق الكتاب : فهارس كتب شادي الشماوي

فهرس الكتاب 44 / جانفي 2023

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 44 –

متابعات عالميّة و عربيّة – نظرة شيوعيّة ثوريّة (4)

(2022-2021)

و محتويات الكتاب 44 أو العدد 44 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " ، فضلا عن المقدّمة ، هي التالية :

الجزء الأوّل : متابعات 2021

10- الطفيليّة الإمبرياليّة و إعادة التشكّل الاجتماعي و الطبقي في الولايات المتّحدة من سبعينات القرن العشرين إلى اليوم : إستكشاف النزعات و التغيّرات

11- نوال السعداوي : كاتبة ناضلت طوال حياتها ضد إضطهاد النساء ، 1931-2021

12- بيان و نداء للتنظّم الآن من أجل ثورة فعليّة

13- إنسحاب الولايات المتّحدة من أفغانستان : النهاية الرسميّة لحرب وحشيّة و عدوان إمبريالي

14- إحتيال بيدن أثناء قمّة المناخ : تسميم الكوكب و خداع الناس

15-غرّة ماي في الولايات المتّحدة الأمريكيّة تحت شعار : " نعلن أنّنا بشر و نرفض القبول بأيّ شكل من أشكال العبوديّة ! "

16- بيان غرّة ماي 2021 للحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) : لتسقط جمهوريّة إيران الإسلاميّة الفاشيّة ! تحيا جمهوريّة إيران الإشتراكية الجديدة !

17- بيان غرّة ماي 2021 للمجموعة الشيوعيّة الثوريّة ، كولمبيا : من حقّنا أن نثور ! لنعدّ للثورة و لا شيء أقلّ من ذلك !

18- خداع الذات و الخداع السياسي زمن ارتفاع حرارة الكوكب ... تعبير ربيكا سلنيت عن رضاها عن الرأسماليّة و تغيّر المناخ

19- بعد سنة من قتل جورج فلويد و التمرّد الجميل و الثورة التي نحتاج : دروس حيويّة ثلاثة

20- إيقاف إطلاق النار و تواصل إضطهاد الفلسطينيّين إضطهادا إجراميّا ... إلى أين سيمضى كلّ هذا ؟

21- إحتفال الصين بمائويّة الحزب الشيوعي الصيني : ليس الحزب الحاليّ حزب ماو تسى تونغ و الثورة ... و إنّما هو حزب معادي للثورة و حزب الرأسماليّة – الإمبريالية

22- تواصل مواجهة المهاجرين للفظائع على حدود الولايات المتّحدة الأمريكيّة

23- أدلّة على تسارع أزمة البيئة : فيضانات تحطّم أرقاما القياسيّة ... حرائق فتّاكة و موجات حرارة مرتفعة ... و إنبعاثات الكربون من الأمازون

24- حياة الأمريكيّين ليست أهمّ من حياة الناس الآخرين ! توزيع تلقيح كوفيد – عالم لامساواة فاحشة

25- " نحن نتعطّش إلى الماء و هم يتعطّشون إلى دمائنا

26- نيران غضب خوزستان و الصرخات المنتشرة ب " الموت للجمهوريّة الإسلاميّة " (الإيرانيّة)

27- مُني إمبرياليّو الولايات المتّحدة بهزيمة في أفغانستان و عاد نظام طالبان الإضطهادي إلى السلطة

28- طالبان تضع يدها على أفغانستان و أمريكا تنسحب مهزومة ... أين تكمن مصالح الإنسانيّة ؟

29- حول أفغانستان و منتهى إضطهاد النساء : ليس بوسع مضطهِد أن يحرّرها من مضطهِد آخر – نحتاج إلى ثورة !

30- " تصنيع " الإستغلال الجنسيّ و العولمة الإمبرياليّة و النزول إلى الجحيم

31- بيان تأسيس الحركة الشيوعيّة الجديدة لأفغانستان

32- بيان من الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) حول المساجين السياسيّين ناهد تغافى و مهران رؤوف و غيرهما ...

33-" دستور الجمهوريّة الإشتراكيّة الجديدة في شمال أمريكا " ينصّ صراحة و مباشرة على حقّ الإجهاض و تحرير النساء

34- حذاري ! غرّة سبتمبر : الأمومة الإجباريّة و التيقّظ الفاشيّ أصبحا قانونا في التكساس ، الولايات المتّحدة

35- الشوفينيّة – الإمبرياليّة ليعاقبة

36- لنعقد مقارنة : التعليم اليوم ... و التعليم غدا في ظلّ الجمهوريّة الإشتراكيةّ الجديدة

تنشأة جيل من المفكّرين النقديّين الذين يبحثون عن – و يكتشفون – الحقيقة

37- حول وفاة أبيماييل غوزمان ، " الرئيس غنزالو " [رئيس الحزب الشيوعي البيروفي]

38- نضال و نداء و تعبئة في مدينة المكسيك ضد تغيّر المناخ العالمي

39- ندوة غلاسغو للمناخ في الحسبان – الحكومات و الناس و الكوكب ...فى هذا الوضع المزري ، هناك حاجة إلى الثورة ...وهي ممكنة – رسالة إستعجاليّة من ريموند لوتا

40- حركة الشمس البازغة و سياسات الضغط على النظام لإنقاذ البيئة ذات النهايات المسدودة أو... لا أحد ممّن يهتمّون بشأن الكوكب يرغب في التذيّل للحمار الديمقراطي

41- مجون كلاسغو ... كيف يجرؤون على زعم " قيادة البيئة "

42- ماذا وراء واجهة "الإختراق " في إتّفاقيّات قمّة المناخ 26 – الفشل و الخداع في غلاسكو و عدم إمتلاك هذا النظام لإجابة عن ارتفاع حرارة الكوكب

43- لنجعل اليوم العالمي للتحرّك – 24 نوفمبر لمناهضة " حملة براهار العسكريّة 3 " التي تشنّها حكومة مودى الفاشيّة - يتكلّل بالنجاح !

44- عرض مقتضب لجرائم الجمهوريّن و الديمقراطيّين و الولايات المتّحدة ضد الإنسانيّة – الحزب الجمهوريّ حزب فاشيّ و الحزب الديمقراطي كذلك آلة جرائم حرب كبرى و جرائم ضد الإنسانيّة – لا يمكن إصلاح هذا النظام – يجب الإطاحة به

45- أحد المحاربين القدماء في الفيتنام : كنّا قتلة أطفال لمصلحة الإمبرياليّة الأمريكيّة

46- الذكرى 150 لكمونة باريس : أفق كمونة باريس - الثورتان البلشفيّة و الصينيّة كإمتداد و تعميق لها مقتطف من كتاب بوب أفاكيان " ماتت الشيوعية الزائفة ... عاشت الشيوعية الحقيقية ! "

47- لماذا نحتاج *قطعا* إلى حزب طليعي للقيام بالثورة

48- تحمّل مسؤوليّة خطّ الحزب على أعلى مستوى

49- ماذا يعنى أن نملك حزبا منظّما على أساس الخلاصة الجديدة للشيوعيّة [الشيوعيّة الجديدة] و ما الفرق الذى يحدثه ذلك ؟

الجزء الثاني : متابعات 2022

أ- مقالات متنوّعة

+++++++++++++++++++++++++++++++++++

1- منطق المافيا الكامن وراء عقوبات الولايات المتّحدة ضد روسيا

2- الولايات المتّحدة الأمريكيّة : الرقابة على الكتب و حرّية التعبير في ما يتعلّق بالأعراق / الأجناس البشريّة والجنسانيّة " تزداد شدّة...و طموحا...و صرامة "

3- هل تعلمون ؟ 10 معطيات واقعيّة بشأن الوضع الإستعجالي لحقّ الإجهاض !

4- شغل الأطفال و تدمير البيئة بالكنغو ... و السرّ الصغير القذر ل " الطاقة النظيفة "

5- وحوش البيت الأبيض و تجويع الأطفال في أفغانستان : إدارة بيدن تتحرّك بحسم ... لتصعّد من الأزمة و العذابات

6- الثلاثاء 8 مارس اليوم العالمي للمرأة لننزل إلى الشوارع عبر البلاد قاطبة و لنعلن عن رفضنا أن نترك المحكمة العليا تنكر إنسانيّة النساء و تدوس حقوقهنّ – الإجهاض عند الطلب و دون إعتذار !

7- لماذا يحتجّون على الكنيسة الكاثوليكيّة ؟ لألفي سنة من منع الإجهاض و إضطهاد النساء !

8- لنتنظّم الآن من أجل ثورة فعليّة تجتثّ إضطهاد النساء و تحرّر الإنسانيّة – نداء إلى النساء المتمرّدات و إلى جميع الذين يمقتون العنف الموجّه ضد النساء و الإنتهاكات و الإهانات التي تحاصرهنّ

9- روسيا تغزو أوكرانيا و الولايات المتّحدة تصدر تهديدات و عقوبات و خطر حرب أوسع نطاقا يلوح في الأفق - ماذا يحدث و لماذا يحدث ذلك و أين تكمن مصالح الإنسانيّة ؟

10- بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد النساء – العنف ضد النساء في أفغانستان عنف ضد كافة نساء العالم !

11- نيران غضب النساء و إنعكاساته على نضالات الشعوب !

12- بيان تضامن من عصيان [إلى النساء المناضلات في الولايات المتّحدة] بمناسبة 8 مارس ، اليوم العالمي للمرأة 2022

-13- تقرير هام جديد للأمم المتّحدة حول تأثيرات التغيّر المناخيّ – الجزء الثانيّ – ما الذى سيقوم به مجتمع إشتراكي جديد بشكل مختلف ؟ و سيقوم به ! مثال بسيط

14- تقرير هام للأمم المتّحدة عن تأثيرات التغيّر المناخي – 3.3 مليار إنسان يتعرّضون بدرجة عاليّة للأذى جرّاء التغيّر المناخي : الآن !

15- كشف الأكاذيب و التعمّق إلى ما تحت السطح – الديناميكيّة الأوسع للنظام الإمبريالي العالمي التي تدفع الحرب في أوكرانيا ... و درس من الإتّحاد السوفياتي لمّا كان إشتراكيّا حقّا

16- الحرب في أوكرانيا ... رفع راية الطاقة المتجدّدة ... بيل ماك كيبن يريدنا أن نصطفّ إلى جانب إمبرياليّة الولايات المتّحدة

17- رسالة من الحركة الشيوعيّة الجديدة بأفغانستان (JAKNA) إلى الشعب الأوكراني على خطّ نار غزو و حرب إمبرياليّين !

18-" موجة الإرهاب " الحقيقيّة في إسرائيل : تفاقم قمع الميز العنصريّ و الإبادة الجماعيّة

19- بعض المبادئ المفاتيح للتطوّر الإشتراكي المستدام

20- نحتاج إلى ثورة ولا شيء أقلّ من ذلك ! الانتخابات في ظلّ هذا النظام لن تغيّر شيئا أبدا!

21- غرّة ماي 2022 ثوريّة أمميّة

22- تمرّد المضطهَدين [في إيران] و الأسباب العميقة للإرتفاع الجنوني في أسعار الخبز

23- عاش تمرّد الجماهير المضطهَدَة في إيران – رسالة تضامن من الحركة الشيوعيّة الجديدة في أفغانستان إلى تمرّد الجماهير المضطَهَدَة في إيران

24- تصاعد الجوع في العالم تصاعدا فظيعا و غير ضروريّ تماما – " لا حقّ في الأكل " في ظلّ هذا النظام – الإنسانيّة في حاجة إلى الثورة و لا شيء أقلّ من ذلك !

25- التنظيم من أجل ثورة فعليّة : سبع نقاط مفاتيح

26- الحكم الصادر عن المحكمة العليا [للولايات المتّحدة] بالتراجع عن رو مقابل وايد [قانونيّة الإجهاض] غير شرعيّ ! إنّنا في حاجة إلى المقاومة و الثورة !

27- الحكم الصادر عن المحكمة العليا [للولايات المتّحدة] بالتراجع عن رو مقابل وايد [قانونيّة الإجهاض] غير شرعيّ ! إنّنا في حاجة إلى المقاومة و الثورة

28- المنظار الفضائي لجامس واب : " المجرّات على حافة الزمن!" ؛ ملاحظات تقييميّة من قارئ لجريدة " الثورة "

29- ردّا على " بيان ضد " لننهض من أجل الإجهاض " ": دفاعا عن تحرير الإنسانيّة و القيادة التي نحتاج لبلوغ ذلك

30- نحتاج إلى النقاش النزيه و ليس إلى الهجمات اللامبدئيّة : مزيد من الردّ على الهجمات التي تعرّضت لها منظّمة " لننهض من أجل حقوق الإجهاض "

31- التراجع عن حقوق الإجهاض [في الولايات المتّحدة] غير شرعيّ ! يجب إلغاء هذا القرار ! إلى الشوارع لمطالبة الحكومة الفيدراليّة بوجوب إعادة تركيز قانونيّة الإجهاض عبر البلاد كافة و الآن !

32- إيران : موجة إعدامات و قمع في خضمّ تصاعد الإحتجاجات الجماهيريّة

33- جولة بيدن في الشرق الأوسط توفّر دليلا حيويّا على أنّ الحزب الديمقراطي آلة كبرى لجرائم الحرب و الجرائم ضد الإنسانيّة

34- تُسجن و تُعذّب النساء الإيرانيّات لمقاومتهنّ الحجاب الإجباريّ – أطلقوا سراحهنّ جميعا !

35- الجذور العالميّة لإضطهاد النساء و النضال العالمي ضدّه

36- فضح الأكاذيب و كشف الحقائق – حول وفاة ميخاييل غرباتشاف ، القائد السابق للاتّحاد السوفياتي

37- الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) : قد بدأت عمليّة دفن إجباريّة إرتداء الحجاب و دمج الدين و الدولة ! و علينا أن ننهي العمليّة !

38- الرهانات الكبرى في أوكرانيا و التهديد بحرب نوويّة و مصالح الإنسانيّة : 4 نقاط أساسيّة

39- الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسيّ – اللينينيّ – الماويّ) : الثورة لا شيء أقلّ من ذلك !

40- الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينينيّ – الماويّ) : يا شعوب العالم ، لتجعلى صرخة الثورة من إيران صرختك !

41- المضطهَدون الذين يقعون في أحابيل كذبة " اليهود يتحكّمون في كلّ شيء " يتعرّضون للخداع و يتركون العدوّ الحقيقيّ جانبا

ب - مقالات عن بوب أفاكيان

++++++++++++++++++++++++++++++++++++

ت- مقالات لبوب أفاكيان

++++++++++++++++++++++++++++++

5- بوب أفاكيان يتكلّم عن " عبادة الفرد " : تهمة سخيفة و جاهلة و غير مسؤولة – إنّما نحن نطبّق منهجا و مقاربة علميّين و نغيّر العالم في سبيل تحرير الإنسانيّة

6- بوب أفاكيان : بصدد دوافع أعمالي و كيف يرتبط هذا بالأهداف و المنهج و المبادئ الأساسيّين

7- الشوفينيّة الأمريكيّة الوقحة : " معاداة الإستبداد " ك " غطاء " لدعم إمبرياليّة الولايات المتّحدة

8- الطفيليّة الإمبرياليّة و" الديمقراطيّة " : لماذا يساند عدد كبير من الليبراليّين والتقدّميّين بلا خجل إمبرياليّت "هم "

9- مبدأ أساسي بشأن الحرب في أوكرانيا

10- الطفيليّة الإمبرياليّة و " الديمقراطيّة " : لماذا يساند عدد كبير من الليبراليّين و التقدّميّين بلا خجل إمبرياليّت - هم -

11- بوب أفاكيان يفضح المتقدّمين لخدمة هذا النظام الإضطهاديّ

12- قوى إضطهاد وحشيّ و إعتذارات منافقة للقتلة المقترفين للإبادات الجماعيّة – ما الذى يجب أن " يُلغى "

13- كلمات أربع و بعض الأسئلة الأساسيّة موجّهة إلى الليبراليّين الذين يحبّون أمريكا

14- الطفيليّة الإمبرياليّة و تأثيراتها الرهيبة على الجماهير القاعديّة - و المخرج الثوريّ

15- ضباب الحرب و وضوحها

16- حوار مع بوب أفاكيان [حول قضايا حارقة : البيئة و الهجرة و حقوق الإنسان و الطبقات و حرّية الصحافة و سلاسل العمل – التزويد] (الحوار بأكمله)

17- " عصابة صعاليك شرعيّين " ، صعاليك يملكون أسلحة نوويّة

18- الجنون الهستيري لشين بان و خطر حرب نوويّة

19- أوكرانيا : حرب عالميّة ثالثة خطر حقيقيّ و ليست تكرارا للحرب العالميّة الثانية

20- الحرب العالميّة الثالثة و البلاهة الخطيرة

21- الثورة : أمل الفاقدين للأمل– بوب أفاكيان يتحدّث عن " ليس لنا مستقبل وعلى أيّ حال سنموت في سنّ الشباب "

22- الحرب في أوكرانيا و مصالح الإنسانيّة : مقاربة علميّة ثوريّة مقابل التشويش الضار و الأوهام الشوفينيّة - بوب أفاكيان يردّ على أناس يجب أن يكونوا أكثر معرفة (و ربّما كانوا كذلك في وقت ما)

23- المحكمة العليا تتحرّك نحو إلغاء حقوق الإجهاض : " النزول إلى الشوارع " و رفض حدوث ذلك – بوب أفاكيان يتحدّث عن هذا الوضع الدقيق في القتال من أجل حقوق الإجهاض و الطريق إلى التقدّم و تجنّب الطرق المسدودة

24- العمل مع حزب الفهود السود ، العمل من أجل الثورة – و ليس هراء " هويّة اليقظة "

25- النضال الحيويّ من أجل حقوق الإجهاض و وضع نهاية لكافة الإضطهاد – الوحدة العريضة و الصراع الضروريّ

26- قتال جدّيّ ضد الظلم – و ليس تدافعا تافها من أجل " الملكيّة "

27- الضمائر و جوع الأطفال

28- قيادة السود و السكّان الأصليّين و ذوى البشرة الملوّنة (BIPOC)

لا وجود لشيء كهذا – القتال ضد الإضطهاد و القيادة التي نحتاج إليها

29- جلسات إستماع المحكمة بشأن أحداث 6 جانفي [2020] - و عنف هذا النظام [الرأسمالي - الإمبريالي]

30- رسالة مفتوحة إلى المنظّر الفيزيائي لي سمولين من بوب أفاكيان – قائد ثوريّ و مؤلّف الشيوعيّة الجديدة و مهندسها

31- جلسات إستماع المحكمة بشأن أحداث 6 جانفي [2020] - و عنف هذا النظام [الرأسمالي – الإمبريالي]

ملحق الكتاب : فهارس كتب شادى الشماوى

فهرس الكتاب 45 / جويلية 2023

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 45 –

صراعات حول الخطّ الإيديولوجي و السياسي للمنظمة الماويّة العالميّة الجديدة : الرابطة الشيوعيّة العالميّة

و فضلا عن المقدّمة المقتضبة، محتويات هذا الكتاب 45 أوالعدد 45 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " هي الآتي ذكرها:

القسم الأوّل :

الخطّ الإيديولوجي و السياسي للرابطة الشيوعيّة العالميّة

القسم الثاني :

صراعات حول الخطّ الإيديولوجي و السياسي للرابطة الشيوعيّة العالميّة

أ- بعض الملاحظات النقديّة حول " من أجل ندوة ماويّة عالميّة موحّدة ! – إقتراح ..." [الحزب الشيوعي الماوي – إيطاليا]

ب- حول الندوة الماويّة العالميّة الموحّدة (UMIC) [لجنة بناء الحزب الشيوعي الماوي لغاليسيا]

2- نقد تكوين الرابطة الشيوعيّة العالميّة :

أ- حول إعلان تكوين الرابطة الشيوعيّة العالميّة [الحزب الشيوعي الفليبيني]

ب- لماذا لم يشارك إتّحاد العمّال الشيوعيّ (الماركسيّ – اللينينيّ – الماويّ) [كولمبيا] في الندوة الماويّة العالميّة التي نظّمتها لجنة الندوة الماويّة العالميّة الموحّدة ؟

ت- ملاحظات حول البيان التأسيسي للرابطة الشيوعيّة العالميّة (ICL) [الشيوعيّون الثوريّون ، النرويج]

ث- من الخطأ تماما اليوم محاولة إنشاء أمميّة شيوعيّة تطبّق المركزيّة الديمقراطيّة[إتّحاد العمّال الشيوعيّين – السويد]

ج- موقفنا من تكوين منظّمة عالميّة للبروليتاريا [الحزب الشيوعي الهندي (الماوي)]

ح- موقف الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) من تشكيل الرابطة الشيوعيّة العالميّة

خ- لماذا لم يشارك الحزب الشيوعي الماوي – إيطاليا في الندوة الماويّة العالميّة (+) بصدد بيان الرابطة الشيوعيّة العالمية – ملاحظات نقديّة للجنة العالميّة للحزب الشيوعي الماوي – إيطاليا

القسم الثالث :

مواقف ماويّة أخرى تستحقّ النقاش

1- الأمميّة البروليتاريّة : سابقا و حاضرا [عضو المكتب السياسى المسؤول عن العلاقات الخارجيّة للحزب الشيوعى النيبالى (الماوى) ، باسنتا -2012-]

2- عرض موجز لوجهات نظر حول التجربة التاريخيّة للحركة الشيوعيّة العالمية و دروسها اليوم

3- الخلاصة الجديدة للشيوعية : التوّجه و المنهج و المقاربة الجوهريّين و العناصر الأساسيّة – خطوط عريضة [بوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعى الثورى ، الولايات المتّحدة الأمريكية]

ملاحق الكتاب : (2)

1- جدال بين الحزب الشيوعى الماوى – إيطاليا و هيئة تحرير موقع أنترنت " الأمميّة الشيوعيّة " :

2- فهارس كتب شادي الشماوي

+++
+++
++